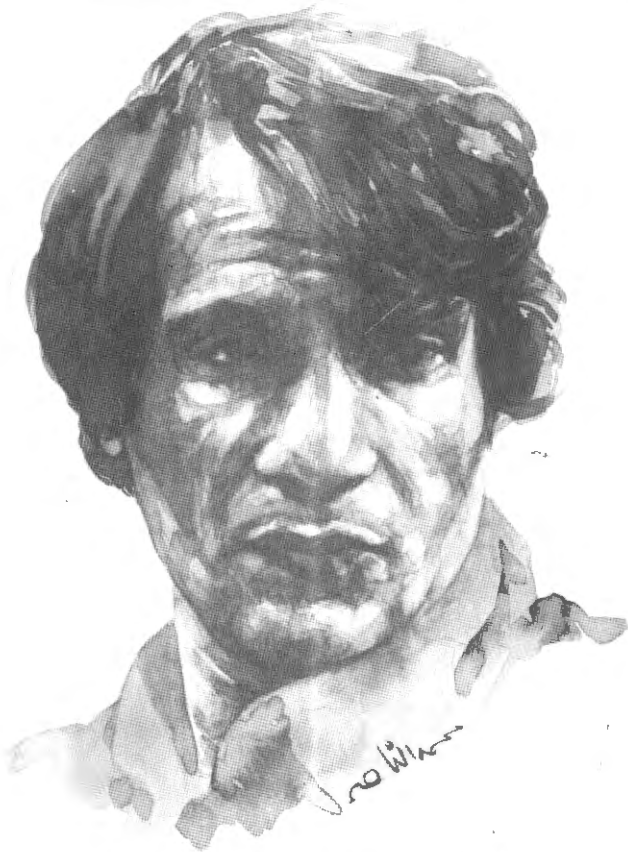


عبد الحليم حافظ

عادل البكري

دار المعارف

تصميم الغلاف الفنان : محمد الناصر

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

« وش الخـــير » !

لابد أنك سمعت الفنان عبد الحليم حافظ يغنى هذه الأغنية : على طول الحياة ، نقابل ناس ، ونعرف ناس ، ونرتاح ويا ناس عن ناس .. واحد من الذين قابلهم عبد الحليم حافظ فى بداية حياته الفنية . وعاش قريبا منه على طول الحياة .. هو الأستاذ مجدى العمروسى .. واقترب منه كثيرا ، وارتاح اليه ، ففتح له قلبه وعقله ، وبيته ، وحياته كلها . وخصه بكل أسرار حياته الفنية ، والشخصية ، ويمكننا أن نقول عنه بصدق ، انه كان ومازال شريك شبابه وكفاحه ، وتوأم روحه . وان كنا قد اخترنا عنوانا للحلقات التى ظهرت على صفحات مجلة أكتوبر على مدى ٢٠ أسبوعا - خمسة شهور كاملة - هذا العنوان : « حكايات مجدى العمروسى ، مع رفيق الشارع الطويل » . فان شارع الفن فى حياة عبد الحليم حافظ لم يكن طويلا ، كان ٢٥ سنة فقط . ولكنه حفر فى قلوب الناس مكانة عميقة ، ومكانا بارزا ، متميزا .

وقدمت الحلقات بأسلوب رشيق ، أنيق ، سهل ، وفى آخر كل حلقة حبكة درامية ممتعة ، شدت القارىء . طوال هذه الأسابيع والشهور .

وكان علينا أن نجمعها فى كتاب واحد ، بناء على رغبة القارئ . ولكى نسجل تاريخ حياة الفنان العظيم الذى لمع فى حياتنا الفنية ، كالبرق الخاطف ، ومر أمام عيوننا كالشهاب . وكان جزءا من تاريخ هذا البلد الأمين على فنه الحريص على فنانيه . جزءا مهما ، عشناه لحظة بلحظة ، وساعة بساعة ، ومازلنا نذكره ، وسنظل ، مادامت فينا أذن تسمع وعرق ينبض . وعلى هذه الصفحات ، نقدم بعض ملامح الصورة لأجيالنا التى لم تعرف عبد الحليم حافظ عن قرب ، ولكنها أحبته على السيرة والحيرة ، والقلق الذى عاشه على مدى ٢٥ سنة - ربع قرن - مع عمالقة الفن ، وزعماء السياسة ، وقيادات جمهوره الحبيب فى كل البلاد العربية . التى احتضنته بحبها وإعجابها ، وخلعت عليه الالقاب الرنانة ، والصفات الحميدة ، ولكن أشهر هذه الألقاب هو العندليب الأسمر .

أما الذى أطلق على عبد الحليم حافظ لقب العندليب الأسمر فهو الكاتب الصحفى جليل البندارى . وعنده حق .

وفى اللغة ، فإن العندليب طائر صغير الحجم يصدر

ألوانا مختلفة من الأصوات الجميلة العذبة . وكذلك المطرب عبد الحليم حافظ .. فهو من يومه ، رقيق الجسم ، دقيق الملامح ، شاحب الوجه ، قصير ، نحيف ، جلد على عظم ، ينطبق عليه كلام الشاعر العربى القديم ، بشار بن برد :

إن فى بردىّ جسما ناحلا
لو توكأت عليه لانهدم

ولكنه على المسرح ، وأمام الكاميرا ، وخلف الميكروفون ، يتحول إلى كائن آخر طويل عريض ، ضخم عملاق .. وعندما يغنى فإنه يلف خيوطا قوية كثيفة حول المستمعين ، والمشاهدين . تشدهم إلى صوته الدافىء الحنون . وأما نظرات عينيه ، الحزينة المنكسرة فهى المصيدة التى وقعت ، وتقع فيها ، قلوب الملايين ، نساء ورجالا ، حتى قبل أن يغنى وقبل أن ينطق بحرف . ولا فرق بين أن يغنى عبد الحليم حافظ ، أو يتكلم . وسيجد المستمع نفسه أسيرا لقوة خفية تدفعه بشدة . لأن يحب هذا الفتى نحيل العود ، شاحب الوجه ، من أول نظرة ، قبل أول كلمة .

وفى هذه المصيدة وقع رفيق عمره ، وصديق شبابه مجدى العمروسى . فكان له نعم الأخ والصديق والشريك ، ورفيق المشوار فى صدق ، وفى حب ، وفى إخلاص . ومن

اللحظة الأولى التى شاهده فيها فى بيت الإذاعى الصعيدى القديم فهمى عمر ، فى عيد ميلاده . وكان عبد الحليم يجلس فى حجرة بعيدة ، وحيدا الا من العود ومن ألحانه ، وقد جرت على فمه كلمات كان يغنيها أحب الفنانين إلى قلبه وقلوبنا معه ، الأستاذ محمد عبد الوهاب . ومن هذه اللحظة كانت الصداقة ، وكان الحب ، وكانت الخطوات الأولى فى مشوار حياة عبد الحليم الذى تنقل به من قمة إلى قمة ، ومن نجاح إلى نجاح . وتفاءل عبد الحليم حافظ بوجه صديقه مجدى العمروسى ، ووصفه بأنه « وش الخير » وكان يحرص على كتابةهذه الصفة ، فى الخطابات التى يرسلها إليه . وفى التليفون ، وعند اللقاء كان يبدؤه بهذه العبارة ، صباح الخير ياوش الخير ، ومساء الخير ياوش الخير ، وكان مجدى العمروسى سعيدا بصداقته ، حريصا على كل الخيوط التى تشده من قلبه ومن عقله إلى هذا الفتى الأسمر النحيل الحزين .. وعندما يتكلم مجدى العمروسى عن أحب الناس ، عن أعز الناس عبد الحليم حافظ ، فإن الكلمات تخرج من قلبه حارة ، قوية ، صادقة .

عـادل البـلك

عبد الحليم حافظ

حبيبي الحبيب مجدي

صباح الخير يا وسيم الخير

ارجو صرف عشرة الاف دولار نقدا او تحويلها بالتلكس والتلفراف الى جنيف على اسم اخي كيدو انطاكي وسابقيك الرصاص احسن ..

سلم لي على تيباتي بالعافيه والصحه .. وعلى اللقاء قريبا ان شاء الله

اخوك

حليم



مجدى العمروسى ، رأس المال موجود

أجمل أيام العمر

قد تكون هذه الكلمات هى مذكرات أو ذكريات أو مشوار حياة الأستاذ مجدى العمروسى المحامى وأحد أصحاب شركة صوت الفن .. مع واحد من المطربين الذين شغلونا وشغلوا حياتنا الفنية من سنوات طويلة حتى اليوم وبعد اليوم ، ولكنها أيضا محاولة لكتابة هوامش التاريخ لفترة من حياتنا كان نبض الزمن فيها أعلى وايقاع الحياة أسرع وأيامها غنية بالأحداث المثيرة والوقائع المتلاحقة . كل طلعة شمس كانت تحمل لنا مفاجأة قد تكون سارة فيمر اليوم كأنه لحظة من الفرح العظيم ، وقد تسبب لنا الألم والمرارة فتمتد فيها ساعات الليل والنهار كأنها دهر طويل ثقيل ممل .

وكان الذى يخفف عنا هذا الألم وهذه المرارة ، صوت وصورة ذلك المطرب الشاب الرقيق النحيل الذى طار فى سماء الفن بسرعة الصاروخ ولمع فيه كالشهاب : عبد الحليم حافظ .

عن عبد الحليم حافظ أو عبد الحليم شبانة - اسمه فى شهادة الميلاد - لا يحتاج إلى مناسبة ، فنحن نسمعه فى كل وقت وفى أى وقت عندما تدير أصابعنا مفاتيح الراديو والتليفزيون ونترحم عليه وعلى أيامه ونحن نعيش هذه الدوامة الهائلة من الأغانى والألحان التى تذكرنا بالزوابع والعواصف والأعاصير .

والحديث

ولكن حياة عبد الحليم حافظ ليست هى صوته القوى الأخاذ ، ولا الألحان الرائعة التى تحملها حنجرته إلى ملايين المعجبين فى العالم العربى ، ولكنها أيضا الحوادث والأحداث التى مرت على هذا العالم ، من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر ، وأنا لا استخدم هذه العبارة هنا كواحدة من المصطلحات السياسية التى كنا نسمعها ونرددها ونتغنى بها ، ولكن لأن حياة عبد الحليم حافظ القصيرة السريعة كانت تملأ هذه المساحة الجغرافية الواسعة ، وكانت له صداقاته العميقة وصلاته القوية مع الشخصيات التى كانت ومازالت تصنع الأحداث وتؤثر فيها فى المنطقة العربية ، من الملك الحسن فى المغرب الى الملك حسين فى المشرق ، وفى المغرب عاش أياما من الجمال والجلال والبهجة ، والعنف والقسوة ، حتى إنه تعرض للقتل رميا بالرصاص فى مبنى التليفزيون بالرباط ، .واتفق مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وكانت صداقة متينة وحب قوى بين الزعيم الكبير والمطرب الكبير ، وحمل على حنجرته بيانات ثورة ٢٣ يوليو ينقلها بالكلمة واللحن ، واختلف مع الرجل الثانى فى الدولة فى ذلك الوقت المشير عبد الحكيم عامر ، وكانت له معه حكايات وروايات ونوادر ، واقترب كثيرا من الأسماء التى كانت تهز الناس فى سنوات الثورة الأولى وتثير فى قلوبهم الرعب . عرف صلاح نصر ، وشعراوى جمعة ، وشمس بدران وغيرهم ، وكان يناديهم بأسمائهم الأولى وبأسماء الدلع أيضا . ويطلبهم بالتليفون فى أى وقت من الليل والنهار ، وأحب سيدة الغناء العربى أم

كلثوم وأحبته ، وأختلف معها ، ليلتها قال جملة واحدة فى الميكروفون فى احدى الحفلات ، وكانت ليلة لم يتبدد ظلامها الا بتدخل الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا .

الأب الفنى

وكان يمارس مع الفنان الكبير فريد الأطرش لعبة القط والفأر ، ولكن الأستاذ عبد الوهاب كان المعلم والموجه والأب الروحى . أو بالتعبير الصحيح الأب الفنى والشريك ، وكان له اعجابه الخاص بعدد من نجوم الغناء كان يردد أغانيهم بينه وبين نفسه .. ولكن على طريقة عبد الحليم حافظ وبأسلوبه .. وكان يحب ولكن قلبه دق بشدة وبعنف مرة واحدة . وكانت صاحبة الحكاية الوحيدة الحقيقية فى حياة عبد الحليم حافظ متزوجة من دبلوماسى كبير ، وشهدت الحكاية رمال الاسكندرية ومياه بحرها الصافى ، أو التى كانت صافية فى يوم ما . وكانت قصة توجع القلب نسجت خيوطها فى عدد من عواصم العالم وفى أغنيات كثيرة حزينة . يخرج بها ما يمتلىء به القلب ويفيض عن قدرته ، ولكن أمراضه كانت تحت القلب مباشرة فى المعدة . وكان يعرف أمراضه ويعانى منها ويخاف من الليل ، من المجهول الذى قد يأتى به فجأة ، وكان يعرف أن نهايته فى الدنيا قريبة . وأنه سوف يموت فى سن صغيرة .. لم يقلها له الأطباء وحدهم ولكن الألم الذى كان يعصره فى بيوت الأصدقاء وعلى خشبة المسرح ، ولم يكن الذين يحيطون به من الأهل والأصدقاء أو الملايين من الناس الذين أحبوه وأحبوا فنه يعرفون هذه الحقيقة بدقة وبوضوح . كان هو وحده الذى يعرفها معرفة كاملة وبيقين تام . وكان صديقه ورفيق عمره مجدى العمروسى المحامى بالاسكندرية . حتى أنه كتب وصيته وسلمها له وطلب منه الا يفض الرسالة إلا بعد عمر قصير !..

وعندما يتكلم مجدى العمروسى عن عبد الحليم حافظ . فهو الشاهد الصادق الوحيد على كل خطوة فى مشوار المطرب الكبير ابن قرية الحلوات ، واحدة من آلاف القرى المصرية التى تتشابه فى الشوارع والبيوت والناس والعادات والتقاليد والسلوك وفى الصحة وفى المرض . ومنها خرج عبد الحليم حافظ ، وبسببها انتقل إلى الدار الآخرة .

فاتح الشهية

والحديث عن عبد الحليم حافظ يبدأ بموسيقار الأجيال الاستاذ محمد عبد الوهاب فهو (الأبريتيف) أو فاتح الشهية للحديث عن الموسيقى والغناء العربى ، أما لقب الأستاذ فقد أنعم به حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول عندما استمع اليه لأول مرة فى قصر عابدين ، وتمايل الملك طربا . وخرجت الكلمات من فم جلالته بهذا النطق السامى : الله يا أستاذ ، ولما كانت كلمة الملوك لا ترد فقد أصبح اسمه ولقبه ومهنته : الأستاذ محمد عبد الوهاب مطرب الملوك والأمراء . وكان الاستاذ يستحق كل هذا وأكثر .

ومجدى العمروسى يقترب من دائرة حياة الاستاذ محمد عبد الوهاب فى حذر شديد وفى خوف بالغ وهو يقول لى : لم أقابل الاستاذ بصفتى محاميا أو رجل أعمال ، ولكن بصفتى طباخا بارعا ، وقبل أن اتعامل أو اشترك معه فى صوت الفن قابلته ٣ مرات ، وكانت المرة الأولى مع عبد الحليم حافظ وهو يتعسر فى أول مشوار فى حياته الفنية ، ويبدو أمامه طريق الفن طويلا مظلما . ويومها استمع اليه الاستاذ محمد عبد الوهاب ثم وضع فى يد عبد الحليم ورقة بخمسة جنيهات . وعندما شاهدها عبد الحليم بكى بكاء منقطع النظير حتى خيل الى أن الاسكندرية كلها كانت تبكى معه وعليه . والمرة الثانية كان معنا كمال الطويل . الذى تطوع وقال للأستاذ

عبد الوهاب : عارف ده ؟ وأشار ناحيتى . وهو يكمل حديثه : ده أحسن واحد يعمل سمك فى الاسكندرية . وبسرعة قال الاستاذ : لا يمنى عليه . وأخذنى الأستاذ تحت ذراعه وقال لى : تغدينا سمك يوم الخميس . وكان كلام الاستاذ على عينى وعلى رأسى . قالها مجدى العمروسى فى حب شديد .

وإذا كان بعض الناس يقولون عن عبد الوهاب أنه أكول فهو لا يقبل منهم هذا الرأى ولا يرفضه . وعنده نظرية يشرحها فى رقة وفى بساطة ، يبدؤها بهذه العبارة : أنا مش أكول . أنا ذواقة . والفرنسيون يعبرون عن هذا الفرق بكلمتين متشابهتين هما جورمان وهو الأكول أو النهم ، المفجوع يعنى . وجورميه وهو الذواقة . ولكنى لم أطبخ السمك لعبد الوهاب بنفسى ، اختى هى التى أعدت الأكلة ، وكانت أكلة اسكندرانية شهية من لحم الترسة . وكانوا يذبحون السلاحف المائية فى الميناء كل يوم ثلاثاء . وطريقة الذبح لها طقوس خاصة لأنه إذا لمست يد الانسان لحمها « يتزفر » وهى لا تلف بالورق أو القماش ولكنها تربط بالدوبارة وتظل ممسكا بالدوبارة حتى تصل إلى البيت وتقطع بالشوكة والسكينة بدون لمس ، وتعمل منها بعد ذلك ١٠ أو ١٥ صنفا ، بالكمونية وبالدمعة واليخنى .. الخ ، وأعجبت الترسة الأستاذ عبد الوهاب وأكل منها بشراهة شديدة .

وفى اليوم التالى قال لى عبد الحليم حافظ : انت عملت إيه فى الاستاذ ؟ أنه مريض وملازم الفراش بعد أكلة الترسة . ولم أقابل عبد الوهاب إلا بعد ٤ سنوات من ذلك اليوم . فكانت المقابلة الثالثة .

على الناصية

أما عبد الحليم فقد قابلته قبلها بسنة تقريبا فى سنة ١٩٥٢ فى بيت الاذاعى الكبير فهمى عمر زميل الدراسة فى كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية ، وكانت لحظات خاطفة استمعت فيها إليه وهو يغنى وحده على العود . كان يجلس على سرير صغير فى حجرة بعيدة ويحتضن العود كأنه طفل صغير ، ويغنى بصوت رائع : من قد إيه كنا هنا .. وسألته : هل هى أغنيتك ؟ فقال فى حياء شديد : إنها أغنية الاستاذ عبد الوهاب ، فقلت له فى صدق كأنى أقرأ خطوط المستقبل : ولكنك تنفث فيها شبابا وحيوية ، واستعدتها منه مرات ومرات حتى الثالثة صباحا ، ثم ركبنا سيارتى الاستروين الصغيرة الى المنيل ، وكان يقيم فى بيت صغير فى شارع متواضع كله رمل ومطبات ، وحتى لا يُحرج ، طلب منى أن اتركه ينزل فى الشارع الكبير على الناصية بعيدا عن البيت .

وكانت هذه هى الليلة الأولى فى صداقة طويلة عريضة امتدت كل سنوات العمر كان لى فيها الصديق والرفيق والخليل والأخ . وعرفت من عبد الحليم أنه درس فى معهد الموسيقى وتخرج فيه سنة ١٩٤٩ ، وكان من زملائه : كمال الطويل وعلى اسماعيل وسيد اسماعيل ومحمد الموجى وأحمد فؤاد حسن ، ولكن أقربهم إلى نفسه كان كمال الطويل . كان يجلس الى جواره دائما ، وكان عبد الحليم يدرس آلة الأبوا . وكان كمال الطويل فى قسم الاصوات ولكنهما كانا يذاكران دروسهما معا . وبعد التخرج التحق كمال الطويل بالإذاعة ، وكان على أيامه مسئول التنفيذ فى الاذاعة هو الأستاذ حافظ عبد الوهاب . وقدم له عبد الحليم ليجيزه كمطرب . وعقدت لجنة من ثلاثة أشخاص هم : حافظ عبد الوهاب ، وكمال الطويل ، وواحد ثالث ، واستمعوا لصوت عبد الحليم وأعجب به حافظ

عبد الوهاب وقرر اجازته . ولكن شرط الإجازة كان أجماع الثلاثة على صوته وكانت المفاجأة أن الشخص الثالث (حرن) وأصر على ألا يعطى صوته لصوت عبد الحليم الا إذا قررت اللجنة بالكامل إجازة صوت واحد من المتقدمين اسمه محمود فوزى . واعترض كمال الطويل وقال انه لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا الغناء ، ولكن مع اصرار عضو اللجنة الثالث ، قالها حافظ عبد الوهاب فى هدوء : إن الفن لا يقوم على المجاملات ولا على الخواطر . وإن الحكم على الفنان فى النهاية يكون للناس وللزمن . وأجازوا الاثنين ، ولمع عبد الحليم فى سنوات قليلة، ولم يظهر الثانى على خريطة الفن حتى كتابة هذه السطور . وفى ذلك اليوم اقترح كمال الطويل على عبد الحليم أن يسمى نفسه عبد الحليم حافظ ، بدلا من شبانة حتى لا يختلط على الناس اسمه مع اسم شقيقه اسماعيل شبانه الذى كان يعمل مطربا قبله .

أحلف بمامتى وبابايا

وإذا كان كمال الطويل قد اكتشف عبد الحليم حافظ المطرب وليس عازف الأبوا ، فإن عبد الحليم حافظ اكتشف كمال الطويل الملحن ، وأقنعه بأن يترك الغناء الذى درسه فى المعهد وأن يكتفى بالتلحين ، وقصة اكتشاف الملحن الكبير بدأت فى شاليه كمال الطويل بالاسكندرية ، وكانت السبب هذه الكلمات الساذجة التى كتبها كمال الطويل بنفسه ولحنها ليغنيها عبد الحليم حافظ ويقول فيها :

يا اسكندرية صبرك عليه
راحت فلوسى وضيعنا الماهية
وبقينا فى ورطة قوية



وكانت الأغنية من حنجرة عبد الحليم إلى أذن كمال الطويل وحده لم يسمعها أحد من الجمهور ، ولكنها كان كافية لإقناع كمال الطويل بأن يترك علم الأصوات الذى درسة فى معهد الموسيقى وأن يتجه كلية إلى التلحين .

أما أول أغنية غناها عبد الحليم حافظ فى الاذاعة من تلحين كمال الطويل فكانت من كلمات زكى بك الطويل أبو كمال ، وغنتها فايدة كامل أيضا . وفى السينما ظهر صوت عبد الحليم حافظ أول مرة ولم تظهر صورته ، وكانت الصورة للمطرب القديم عبد الغنى السيد . وقد أطلق عبد الحليم حافظ على هذا الموقف تعليقا طريفا فكان يقول لأصدقائه الذين يعرفون صوته عندما يشاهدون الفيلم : الصوت ولا الغنى ، وكان الفيلم من انتاج السيدة آسيا . و الأغنية من تلحين كمال الطويل . وقد اقترح عليه عبد الحليم حافظ أن يبحث عن مطربين يحملون ألحانه إلى الجمهور ، ورشح له اسم الفنان الشعبى محمود شكوكو ، وقابله محمود شكوكو واستمع اليه ، ولكنه غضب عندما سمع اللحن وقال لكمال الطويل : ايه المزيكا الخواجاتى دى ؟!! وطرده من المسرح ، وبعد أربع سنوات استدعاه شكوكو بطريقته الخاصة ، أرسل اليه اثنين من عنده يقولون له شكوكو بيه عايزك .

وأركبوه مركبا فى المينا ووجد نفسه أمام شكوكو الذى دفع اليه ورقة عليها كلام أغنية وهو يقول : عليه الطلاق ما أنت نازل من المركب الا بعد تلحين الكلام ده . وكان الكلام :

أحلف بتيزتى وبمامتى وبابايا
ما تدوس على طرفى لاعملك جناية

ولم ينقذ كمال الطويل من هذا السجن البحرى الا أن يلحن الكلام

ويسلمه لشكوكو ليطلق سراحه ، ثم لحن لعبد الحليم حافظ بعد ذلك ، على قد الشوق .

غضب الأستاذ

قلت لمجدى العمروسى رفيق المشوار الطويل لعبد الحليم حافظ : ومن يومها لم تترك عبد الحليم حافظ ؟ قال : أبدا شغلتنى الأيام عنه وعن أغانيه ، وكنت أعرف من بعيد لبعيد أنه يحيط نفسه بثلاثة ملحنين كبار : كمال الطويل ، ومحمد الموجى ، وعلى اسماعيل وكان معهم أيضا أحمد فؤاد حسن وكان مشغولا بتكوين فرقته الموسيقية . حتى كان يوم من أيام ١٩٥٤ . حضر عبد الحليم وقال لى : أنا عندى مشكلة وطالب مشورتك ، قلت له : وما هى المشكلة ؟

قال لى : عرضوا على بطولة فيلمين ، واحد اسمه لحن الوفاء وواحد اسمه أيامنا الحلوة . بس مش قادر أقبلهم . قلت له : ليه ؟ قال : لأن الأستاذ عبد الوهاب بعد ماسمعنى فى الاذاعة طلبنى وكان معى الاستاذ مأمون الشناوى ومحمد الموجى . وتعاقد معى على فيلمين ووضع العقود فى درج مكتبه ومن يومها لاحس ولا خبر ، وفى العقود شرط انى لا أظهر فى السينما قبل الفيلمين . فقلت له : ولا يهمك . واشرت عليه بتمثيل الفيلمين . وحصل وعرضا فى الاسكندرية فى دارين متجاورتين فى وقت واحد ، وحضر عبد الحليم ، وكمال الطويل ، ومرسى جميل عزيز ، ومحمد الموجى وأنا ، حضرنا كلنا عرض الفيلمين ونجحا نجاحا خرافيا ، وخرجنا من السينما ومشينا على البحر ونحن فى حالة فرح وسعادة الى قرب الفجر ، ثم عدنا الى البيت عندى واحتفلنا بهذا النجاح الكبير ، وكان الطبق الرئيسى للحفل هو فتة ولحمة مسلوقة .

ثانى يوم حضر الى مكتبى عبد الحليم حافظ فى لهفة وفى ذعر شديد ،

وقال : لازم تسافر معى الى مصر حالا . قلت له فى هدوء : ليه ؟! قال وهو فى قمة التوتر : الأستاذ عبد الوهاب زعلان قوى ويهدد برفع دعوى قضائية لأنى خالفت شروط العقد معه ومثلت لحن الوفاء وأيامنا الحلوة قبل أن أمثل أفلامه . وأنت الذى أشرت على بتمثيل الفيلمين. ولابد أن تكون معى فى هذه المقابلة لتبرر الموقف الذى دفعتنى اليه وتشرح للأستاذ ..

● ● ●

وطيبت خاطر عبد الحليم حافظ وحاولت تهدئته وقلت له : حاضر ياسيدى . وسافرنا الى القاهرة ومعنا مأمون الشناوى ، ومحمد الموجى وفى بيت الاستاذ محمد عبد الوهاب وكان الأستاذ فى قمة الغضب . كان اللقاء الثالث لى مع قمة الغناء والموسيقى العربية .



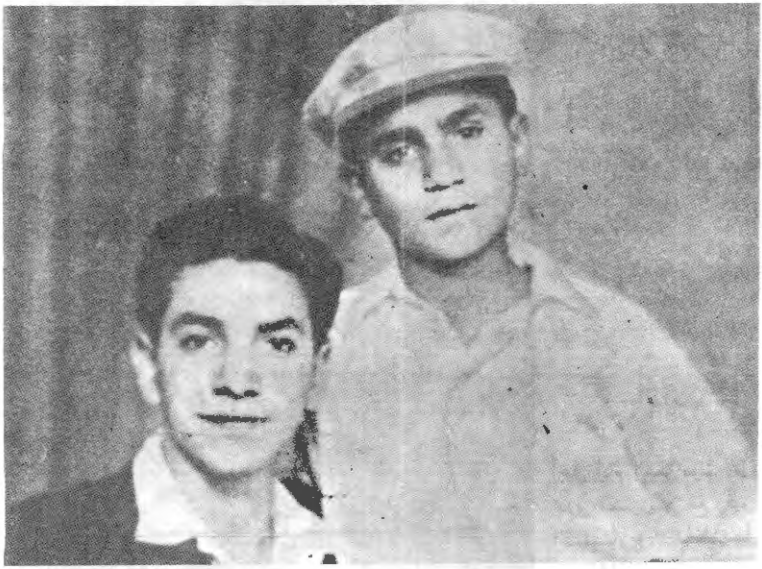
عبد الحليم بين أعز الناس ، مجدى العمروسى على اليمين ، ومحمد الموجى على اليسار .



أجمل أيام العمر مرت على مجدى العمروسى مع رفيق الشارع الطويل عبد الحليم حافظ



عبد الحليم بين يوسف وهبى والاذاعى فهمى عمر



الطفولة البريئة عبد الحليم وشقيقه



الاستاذ عبد الوهاب ، وحرمه السيدة نهلة ، أو الأسرة الفنية لعبد الحليم حافظ .

رصـــيد عبد الحـــليم

فى حياة الفنان عبد الحليم حافظ شوارع وحوارٍ ، وميادين وأزقة وعطوف أيضا ؛ فعبد الحليم حافظ مدينة هائلة .. من النغم الحالم الحزين . مدينة لها ألف باب . ولكل باب منها ألف مفتاح . وكل هذه المفاتيح وجدتها فى جيب صديق عمره ، ورفيق مشواره الفنى ، مجدى العمروسى . أغنية صافينى مرة مثلا هى أول الشارع الطويل الذى سار فيه عبد الحليم . وكان لقاؤه مع موسيقار الأجيال الأستاذ محمد عبد الوهاب واحدا من أهم ميادين حياته . وفرصة عمره . وقد منحه الأستاذ جزءا عظيما من العطاء السخى الذى جاد به عليه أمير الشعراء أحمد شوقى . وكانت بداية اللقاء بينهما غاضبة . أما نهاية اللقاء فقد وضعت كثيرا من النقاط المضيئة فى حياة عبد الحليم ، وثبتت قدميه على درجات السلم الموسيقى . عندما لحن له الأستاذ أغانى فيلمين من إنتاجه هما : بنات اليوم . وأيام وليالى .

وأشهد

أن عبد الحليم حافظ كان شديد الذكاء ، و كان يتمتع بشخصية يمكن أن تصفها بأنها شخصية اسفنجية ، تمتص دروس الحياة ، ثم تخرجها فى مناسبتها . وكان يمتص ثقافة الآخرين وتجاربهم . حتى إن الشاعر الكبير كامل الشناوى وصفه بأنه « لص ثقافة » . كان يفتح أذنيه على كلام المثقفين فيدخل عقله ويهضمه جيدا . وفى بيت الأستاذ عبد الوهاب تذكرت حكاية قديمة أبطالها : عبد الحليم حافظ وعامل فى المسرح القومى وأنا .

والحكاية أن أحد الأشخاص حضر إلى مكتبى ، وبدون مقدمات . قال لى : أنا عارف أنك تحب عبد الحليم وأنه يحبك ، وهو يقيم عندك فى البيت . فهل يرضيك أن عبد الحليم يخرب بيتى ؟!

قلت له : عبد الحليم لا يخرب بيت أحد .

قال لى : أنا عامل ستارة فى المسرح القومى . طلبت من عبد الحليم أن يحيى حفلا فى بور سعيد ، ووعدنى . وعملت الحفلة ، وبعت التذاكر . وإذا لم يحى عبد الحليم الحفل فسأدخل السجن . ومحافظ بورسعيد يخرب بيتى . وكان الرجل يحكى ويبكى ويحلف وأنا أسمع منه حتى خرجت بالصمت عن لا ونعم . وقلت له : سبنى يومين .

وبالليل وأنا على الكنبة وعبد الحليم على السرير فى بيتى . قلت له : انت تعرف فلان ؟! . قال : الراجل بتاع الستارة .. ده نصاب . قلت له احك لى بالتفصيل الممل ماحدث . بينه وبينك . وبدأ عبد الحليم الحكاية : هو قال لى عايز أعمل حفلة فى بورسعيد وتحييها وأنا مش فاكر قلت له طيب أو إن شاء الله . ولكننا لم نتفق على شىء . وطبع التذاكر وباعها ، وحدد تاريخ الحفلة . وارتفع صوت عبد الحليم وقالها بعصبية : هو أنا تحت أمره ، أعمل اللى هوه عايزه ؟ وقلت له فى هدوء : حاول أن تتذكر الألفاظ بالحرف الواحد . قال : أظن قلت له طيب . قلت له :

لازم تحيى الحفلة ، علشان ثانى مرة تعرف ترد على الناس . وتتعلم أن يكون كلامك فى حدود ماتنوى تنفيذه . ممكن تقول : إن شاء الله أو نشوف أو تعال نتفق . أما إذا قلت له طيب ، تبقى ارتبطت . والفنان اللى عايز يبنى مستقبله يتربط من لسانه .

وكانت الحفلة بعد ٤ أيام .. وبعد ٣ أيام وجدت عبد الحليم يلملم هدومه فى شنطة وقال لى : مسافر بور سعيد لأنك قلت لى إن كلمة طيب معناها أعمل الحفلة .. بكرة اتعلم . وظننته يمزح . ثم اتضح لى أنه جاد وأنه ينوى السفر فعلا . وأوصلته الى الديزل ، وعدت الى بيتى وأنا فى منتهى السعادة . وكأنى حصلت على مليون جنيه ، وعرفت بعدها أن عبد الحليم حفظ الدرس جيدا ، وأن شخصيته الاسفنجية تحتفظ بكثير من الدروس . وربما كان هذا سر ذكائه الشديد .

اللقاء الثالث

ويخرج مجدى العمروسى واحدا من المفاتيح الكثيرة التى يحتفظ بها فى قلبه وفى عقله . وهو يقول : كان اللقاء الثالث لى مع الأستاذ عبد الوهاب قبل أن نشترك معا فى العمل . وكان اللقاء مع الأستاذ متعة ، والعمل معه حلما من أحلام حياتى . وكان عبد الحليم حافظ هو الجسر القوى المتين الذى ربط بيننا . ولكن الأستاذ ساعتها كان غاضبا . والسبب عبد الحليم حافظ .

كان عبد الحليم قد انتهى من تمثيل فيلمى لحن الوفاء وأيامنا الحلوة ، وعرض الفيلمان فى الاسكندرية فى دارين متجاورتين ، ونجحا نجاحا عظيما حتى إننا - عبد الحليم وكمال الطويل ومرسى جميل عزيز ومحمد الموجى وأنا - مشينا على الكورنيش الى قرب الفجر فى حالة فرح شديد . وعدنا

الى البيت واحتفلنا على الطريقة الشعبية ، وكان الطبق الرئيسى فى الاحتفال هو الفتة واللحمة المسلوقة .

وفى اليوم التالى جاء لى عبد الحليم وقال : لازم تسافر معى الى مصر ، الأستاذ عبد الوهاب زعلان ويهددنى برفع دعوى لأنى خالفت شروط العقد معه ومثلت فيلمين قبل أفلامه .. وسافرنا فعلا ، ووجدت الأستاذ غاضبا . فسألته : ليه ؟! ورد على وعلى وجهه شىء من الغضب : من غير ليه ؟! وكانت لازمة يكررها الأستاذ فى كلامه فى مناسبتها . ثم اصحبت بعد سنوات عنوانا على آخر أغانيه الناجحة دائما ، فقلت : عبد الحليم مثل فيلمين والحمد لله نجح فيهما . والسبب انك تأخرت عليه . وكان واضحا ان الأستاذ فاهم وعارف كويس وكل خوفه أن عبد الحليم يرفض عمل الفيلمين . وهنا يظهر ذكاء عبد الحليم الذى قالها بسرعة : أنا مستعد من بكرة . ويظهر الأستاذ عبد الوهاب التاجر الشاطر وهو يقول : لكن أجرك تغير .. اتفقت معك على ٤٠٠ جنيه للفيلم . وسوف أعطيك ٢٠٠٠ جنيه عن الفيلم الواحد . ورد عبد الحليم بسرعة : آسف . أمثل الفيلمين ، وآخذ الأجر اللى انا ماضى عليه فى العقود . وحاول مأمون الشناوى ومحمد الموجى إقناعه . ولكنى حسمت الموضوع وقلت : ياجماعة عبد الحليم يتكلم صح . هو تعاقد على كده . يعمل الفيلمين بكده . وكفاية ان الأستاذ يلحن .. وهذه دفعة كبيرة فى طريق فنه ، وفى مستوى ألحانه .

كان عبد الحليم قد استوعب الدرس القديم مع عامل الستارة فى المسرح . استوعبه بسرعة وبعمق .

فاتحة خير

وبدأ الأستاذ عبد الوهاب فيلمى بنات اليوم ، وأيام وليالى . وقدم فيها ألحانه الخطيرة . وسمعنا فى أيام وليالى : أنا لك على طول . وتوبة . وعلشانك ياقمر . وشغلونى . وايه ذنبى ايه . واستمتعنا مع بنات اليوم بأغنيات : كنت فين . وياقلبى ياخالى . وعقبالك يوم ميلادك . وأهواك . وظلموه .

قلت : كانت أفلام الأستاذ عبد الوهاب فألا حسنا على عبد الحليم وكانت فاتحة خير .

وقال مجدى العمروسى : امسك الخشب ! فى سنة واحدة هى سنة ١٩٥٥ مثل عبد الحليم مجموعة افلام عرضت كلها فى أوقات متقاربة : لحن الوفاء وليالى الحب وأيام وليالى ، وفى سنة ١٩٥٦ : موعد غرام ودليلة ، وفى سنة ١٩٥٧ عرض له : بنات اليوم والوسادة الخالية ، وفتى احلامى . وبعدها كل سنة فيلم ، فى سنة ١٩٥٨ شارع الحب . وفى ٥٩ حكاية حب ، وفى ٦٠ البنات والصيف و١٩٦١ يوم من عمرى ، وفى سنة ٦٢ الخطايا . ثم توقفت الافلام ٥ سنوات وكانت لهذه الفترة أسبابها عند عبد الحليم ، وظهر له بعدها فى سنة ٦٧ معبودة الجماهير . وآخر أفلامه أبى فوق الشجرة فى سنة ١٩٦٩ ، واستمر عرضه فى سينما ديانا ٥٢ أسبوعا ، حتى إن الناس كانت تسمى محطة الاتوبيس أمام السينما باسم الفيلم .. محطة أبى فوق الشجرة .



وكانت سنة ١٩٥٩ أهم منعطف فى حياة مجدى العمروسى : حضر عبد الحليم الى الاسكندرية . وفوجئت به يقولى لى : حضر نفسك علشان تروح ويايا مصر - يعنى القاهرة - قلت : أعمل ايه فى مصر ؟ أنا راجل

اسكندرانى وأحب اسكندرية ، ولايمكن اسيبها . قال ونظرات عينيه وحركة يديه تؤكد المعنى ، وتضغط على كل حرف يخرج من قلبه : أنا محتاج لك جدا فى مصر . ولن أكمل مشوار حياتى الا وانت معى فى مصر . قلت له : طيب ! أعطنى شهرين ثلاثة ، أصفى القضايا ، وارتب شئون مكتبى . وقال لى عبد الحليم: ولا يهمك كل حاجة اقدر أرتبها . وفعلا فى شهر نوفمبر تركت الاسكندرية ، وحضرت الى مصر . وكان ده أول شغلى مع عبد الحليم .

وحتى شهر يونيو ١٩٦٠ كنت مقيما فى بيت عبد الحليم ، وكنت أنام فى نفس السرير الذى ينام عليه . وفى يوم أخذنى إلى عمارة الايوبيليا ، وطلعنا الى مكتب فى الدور الرابع ، من حجرتين وصالة وتليفون ، والمكتب مفروش فرشا كاملا وفيه صالة اجتماعات . وقال لى : ده مكتبك ! وخلال ٦ شهور كان عندى كل عقود وحسابات عبد الحليم . وبدأت اقرأ كل ورقة . ولفت نظرى شيئان . عقد مع شركة الشرق للتوزيع ، وكانت من أكبر شركات التوزيع والانتاج فى مصر ، وصاحبها جان خورى ومحمود شافعى أبو منيب شافعى . ولفت نظرى أيضا أن رصيد عبد الحليم فى الدفاتر وفى البنك ٥٠٠ جنيه فقط .

قرأت الرقم مرات ومرات من خلال دموعى التى نزلت من عينى . ووجدت عبد الحليم يقف ورائى وقال : بتعيط ليه ؟! قلت فى ذهول : معقول ياحليم من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٩ . وكل هذه الأفلام ، وكل هذه الحفلات ، نتيجتها فى البنك ٥٠٠ جنيه بس ؟ ! قال وبسمة الارتياح والهدوء تظهر على وجهه : ياأستاذ مجدى ، قيمتها أنى انتقلت أنا وعائلتى من البيت القديم فى وسط الرملة فى المنيل . الذى خجلت منه وأنت توصلنى بسيارتك . ومن التليفونات التى كنت أخرج لها من شقتى حافى القدمين لأرد على المعجبين عند الجيران . ومن الترام والاتوبيس الذى

كنت اتشعبط فيه . أصبح لى شقة فى أحسن عمارات العجوزة فى عمارة السعوديين . واخوتى لهم شقة فى نفس العمارة . وتحت البيت عربة شيفورليه ، وفيها سائق . ثم الـ ٥٠٠ جنيه التى تبكى منها وعليها الآن .

العقد فى جيبى

النقطة الثانية ، عقد شركة الشرق . وكان عبد الحليم متفقا على ٣ سنوات . فى كل سنة يعمل ٣ أفلام . وبعملية ضرب بسيطة يصبح المجموع ٩ أفلام . وأجره فى الفيلم ٧ آلاف جنيه ، دون أى ترقية أو زيادة فى الأجر . قال لى : دى مهمتك يابطل تقدر تغير العقد . قلت : اعتقد ، أقدر أغيره . وفعلا قابلت جان خورى ومحمود شافعى صاحبى الشركة . وقلت لهما : عبد الحليم عايز يفسخ العقد وعنده عقود أفضل . وأصيبا بالذعر . وقالا : أى طلبات لعبد الحليم ننفذها ماعدا أن يترك الشركة . قلت: خلاص نتفق من جديد ، قالا لى : تحت امرك . قلت : الأفلام التسعة . تبقى ٦ أفلام يعنى فيليمين كفاية فى السنة . وفى السنة الأولى أجره ١٥ ألف جنيه وفى الثانية ١٧ ألف جنيه . وفى الثالثة ٢٠ ألف جنيه . قالا : موافقان ! وقبلا كل الشروط . ورفضا أن انزل الا والعقد مكتوب وموقع وفى جيبى . ولا ينقصه الا توقيع عبد الحليم .

☆ ☆ ☆

فى ذلك الوقت عبد الحليم كان يبحث لى عن شقه اسكن فيها . وفى يوم فى شهر فبراير سنة ١٩٦٠ . جاءنى عبد الحليم وقال لى : ياالله نروح مشوار . نزلت معه . وأخذنى الى عمارة عالية جدا . أظن كانت أعلى عمارة فى القاهرة فى ذلك الوقت . برج الزمالك . وركبنا الاسانسير ، وطلعنا الدور الـ ١١ وأخرج من جيبه مفتاحا . وقال لى : افتح ياسمسم ! قلت له : انت مجنون نفتح بيوت الناس ؟ ! قال لى بلهجة

آمرة ساخرة : قلت لك افتح الباب ، فتحت الباب ودخلنا ، لقيت شقة ٤ غرف وصالة كبيرة ، ومفروشة بالكامل ، بكل مستلزماتها : الصالون والسفرة ، وحجرتى نوم . والسراير عليها المراتب والملايات . والمطبخ فيه الشوك والسكاكين والملاعق والأطباق . السرفيس كله . وقال لى بسرعة : مبروك عليك . وسابنى ونزل . ومازلت أقيم الى الآن فى نفس الشقه مع أنها ضاقت على وعلى الأولاد . ولم يأخذ منى عبد الحليم مليما واحدا . ومازلت احتفظ بالشقة . وبالجميل فى عنقى الى اليوم .

صوت الفن

كان عبد الحليم حافظ يسجل اسطوانات أغانيه فى شركة كايروفون وكان الأستاذ عبد الوهاب أحد أصحابها ويشاركه الحاج وحيد فريد المصور الكبير فى شركة افلام اسمها العالم العربى . وقال لى عبد الحليم : يا عم مجدى من اختصاصاتك الإشراف على كل شئونى وعقودى ، أما أغانى فأنا حر فيها . طبعا لك رأى فى الغناء ، ولكن كمستمع .

وفى شهر يناير سنة ١٩٦٠ لحن عبد الوهاب لعبدالحليم أغنية فوق الشوك مشانى زمانى . وكان عقد عبد الحليم قد انتهى مع شركة كايروفون ، وكان أجره عن الاسطوانة ٣٠٠ جنيه . وعند تسجيل أغنية فوق الشوك ، وبعد المشاورة والمحاورة معى ، قال لهم : أنا أجرى ٢٠٠٠ جنيه + ٢٠٪ من أرباح الأغنية . فرفضوا ، وقال عبد الحليم : أسيب الشركة . وحاول الأستاذ عبد الوهاب التوفيق بين وجهتى النظر ، وحاول إقناع المسئولين فى الشركة بالاستجابة لطلبات عبد الحليم ورفضوا ، وهنا تظهر الصلة القوية التى قامت بين الأستاذ وعبد الحليم . قرر الأستاذ عبد الوهاب أن يترك الشركة وقرر – وهذا هو الأهم – أن يكوّن مع عبد الحليم شركة جديدة . فقامت شركة صوت الفن فى يونية

١٩٦٠ ، ودلت هذه النظرة على مدى ما يتمتع به الأستاذ من ذكاء وبعد نظر ، وعلى مدى تقديره لصوت وفن عبد الحليم حافظ . ولم يكن فى حساب عبد الحليم أن يصبح صاحب شركة . فهو فنان يعتمد على حنجرته وحباله الصوتية ، أما الحسابات والدفاتر ، واجمع ، واطرح ، فهو بعيد عنها تماما . ولكنه اقتنع بعد هذا الحوار السريع :

قلت له : بعد تنفيذ العقود التى وقعتها لن تعمل عند أحد . سوف تعمل عند عبد الحليم حافظ .

قال : ازاى !

قلت : الحاج وحيد فريد فض شركته من يومين مع رمسيس نجيب . نكون شركة معه .

قال : منين ياحسرة ! من الخمسميت جنيه اللى فى البنك ؟ !

قلت له : ابتعد أنت عن المسائل المالية ولاتشغل بالك بها .. أنا مسئول عنها . وحضرتك بصوتك وفنك رأس مال كبير . والحاج وحيد فريد بعينه وعدسته رأس مال كبير . وستكونان مصدر جذب لنجوم ونجمات مصر لتصوير الأفلام وتسجيل الأغانى .

ثم قلت له هذه الجملة السريعة الحاسمة ، وأنا أعنى كل كلمة فيها : المال موجود فعلا ، ولا تحمل هما لحكاية الفلوس .



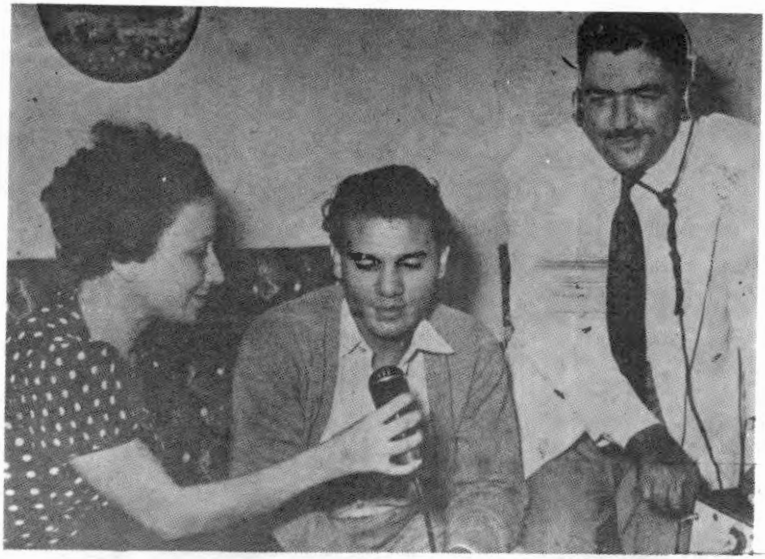
ووافق عبد الحليم وقامت شركة العالم العربى ، وارتفعت قامتها بعد أن انضم لها العملاق الأستاذ محمد عبد الوهاب . واندمجت أفلام العالم العربى مع شركة صوت الفن . واصبح للشركة ثلاثة أصحاب : الأستاذ عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ والحاج وحيد فريد . وبعد سنة واحدة أصبحت شريكا فى شركة الاسطوانات . أما الذى منح للشركة الجديدة اسمها فكان الكاتب والشاعر الكبير كامل الشناوى . قال يومها :

سيكون اسمها « صوت الفن » وكتب بخط يده كلمة يقدم بها هذا العمل للناس يقول فيها :

« ان صوت الفن ليست شركة لصنع الاسطوانات بقدر ما هى شركة لتأدية رسالة الفن الغنائى العربى . شركة يساهم فيها رأس المال بنصيب محدود . ويساهم فيها الفن بنصيب ليس له حدود » وقدمت الشركة افلام الخرساء ، والبنات والصيف ، والخطايا ، وأبى فوق الشجرة . ومولد يادنيا . وقامت بتوزيع افلام كثيرة .

● ● ●

فى ذلك الوقت كانت خطوات عبد الحليم سريعة ، وصعوده مستمر ، ونجاحه مؤكد . كان بينه وبين القمة ، فركة كعب ، صوته فى كل أذن ، وصورته فى كل قلب ، وأغانيه على كل لسان ، وأفلامه تملأ سوق الفن . والعروض تنهال عليه من المنتجين . وبدأت نفسيته المتعبة تستريح قليلا . وكان كل سنة يسافر إلى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف . وفى رحلة صيف أجر عبد الحليم شقة فى عمارة فى سيدى بشر لتكون مصيفا له ولعائلته . وفى هذه العمارة ، صادف أول حب فى حياته ، واعتقد أنه آخر حب فى حياته . الحب الذى استمر معه سنوات عمره الخاطفة كالبرق . السريعة كالشهاب .



مع الاذاعية الناجحة آمال فهمى



حوار حول الألحان مع كمال الطويل



مجدى العمروسى مع الأستاذ .. صورة للذكرى

لم يتزوج
وهذه هى الأسباب!

إذا سمعت الأمثال الشعبية تجرى على لسان جدتك قل لها آمين ، صدقها على طول الخط ، فهذه الأمثال الشعبية خلاصة حكمة وتجارب وخبرات آلاف السنين ، تجمعت كلها فى حروف وكلمات قليلة العدد عظيمة الفائدة . فإذا سمعت جدتك تقول : قيراط حظ ولا فدان شطارة فكلامها مظبوط ١٠٠ ٪ .. وإذا قالت « تبقى فى بقك وتقسم لغيرك » . قل لها .. كلام جميل .. كلام معقول . وأمثال كثيرة نتذكرها ونحن نسمع أغنية صافينى مرة . ولكن كلمات هذه الأغنية لم يكتبها سمير محبوب لعبد الحليم حافظ ولا لحنها له محمد الموجى كانت لمطرب آخر من سكان الأدوار العليا فى الغناء فى ذلك الوقت .

والحكاية أن أغنية صافينى مرة كتبت ولحنت للمطرب القديم عبد الغنى السيد .. وحفظت الفرقة الموسيقية اللحن واستمع إليها عبد الغنى السيد . فلا الكلمات أعجبته ولا اللحن دخل مزاجه . وقلب شفتيه لتخرج منهما كلمة قبيحة من حرفين يجدها هواة الكلمات المتقاطعة فى الصوت الذى يصدر من النائم المجهد . وخرج من مكان البروفة غاضبًا . فكانت الأغنية من حظ ونصيب عازف الأبوا فى نفس الفرقة الموسيقية التى كانت ستصاحب المطرب القديم .. كانت من حظ عبد الحليم حافظ وكانت الصاروخ الذى حمله إلى قلوب الملايين من المعجبين بالصوت الجديد واللحن والكلمات الجديدة ، وكانت قاعدة الانطلاق فى نفس الوقت ، وغنى بعدها أغنيات يا مغرمين ، يا مواعدنى بكره .. ولقاء ، وإلهى ليس لى إلاك عونا .. وأصبح عبد الحليم معروفًا مشهورًا .. والناس تشير إليه فى كل مكان .. ويطلبون أغانيه فى الحفلات ، وبعد أن كان كمال الطويل ومحمد الموجى يوزعان الألحان بين نجاح سلام ونجاة وصباح ومحمد قنديل بدآ يركزان أعمالهما على عبد الحليم ، ولعبد الحليم .

ولما كانت سنة ١٩٥٥ كتبت شهادة ميلاد عبد الحليم حافظ الفنية وأصبح له كيان مستقل .. ووجود مؤكد وبصمة واضحة فى سجلات الغناء ، وعلى شاشة السينما ظهر له فيلمان فى وقت واحد : لحن الوفاء ، وأيامنا الحلوة ، أخرجهما إبراهيم عمارة وحلمى حليم ، وكانا على درجة كبيرة من الذكاء ، فلم يعتمدا على اسم وشهرة المطرب الجديد وكان معه فى الأفلام السيدة شادية والفنان القدير حسين رياض وسيدة شاشة العرب فاتن حمامة والعالمى عمر الشريف .. والفنان الشاب فى ذلك الوقت أحمد رمزى ، وكانت لهم مكانتهم فى قلوب الجماهير . وانتشرت الأغنيات

ونجحت الأفلام ، وأصبح اسم عبد الحليم حافظ على كل لسان وصورته فى قلوب الناس ..

وكانت الدنيا فى عز الصيف وفى الاسكندرية وعبد الحليم حافظ نازل من العمارة التى أجر فيها شقة ، شاف فى الأسانسير واحدة ست قال عنها عبد الحليم حافظ : عنيها أجمل عنين خلقها ربنا ، اللهم صل على كامل الأوصاف ، ثم تأتى بعد ذلك باقى الأوصاف والألوان فهى متوسطة الطول ، بيضاء البشرة ، سوداء الشعر ، زرقاء العينين .. وسحب هذا الجمال الأخاذ عبد الحليم حافظ من عينيه فمشى وراءها مبهورًا مسحورًا .. وركبت سيارتها فركب سيارته وراءها ، دخلت السيارة سراى المنتزه ، فدخل وراءها ، ونزلت فى أول بلاج مجاور لباب القصر .. وربما كان بلاج عايدة ، فنزل وراءها ، ومشت إلى كابينتها ، فمشى عبد الحليم وراءها . وكانت الكابينة بالصدفة مجاورة لكابينة الكاتب الصحفى الكبير إحسان عبد القدوس .. وبعد أن كانت الشلة تسهر كل ليلة فى شاليه كمال الطويل انتقل المجلس كله إلى كابينة إحسان عبد القدوس .



ويستعيد مجدى العمروسى رفيق الشارع الطويل مع عبد الحليم حافظ ذكرياته ، بسرعة استدعاء المعلومات من الكومبيوتر ، والحمد لله أن له ذاكرة حافظة وعقلا واعيا وهو يحفظ كل ما سمعه من عبد الحليم حافظ ويعيده بالكلمة وبالحرف ويتذكر التفاصيل الصغيرة التى مرت به وهو يقول :

ترك عبد الحليم حافظ شقته الصغيرة فى المنيل واتجه إلى العجوزة واختار عمارة السعوديين بالذات . أخذ فيها شقة ٧ غرف فى الدور السابع - وكان يتفاءل كثيرًا بهذا الرقم - وأقام فيها مع أخيه محمد وابن خالته شحاته وابنة خالته فردوس زوجة شحاته . أما إخوته علية وإسماعيل

فأخذ لها شقة فى الدور الثانى فى نفس العمارة ، وفى سنة ١٩٥٨ أحيا عبد الحليم حافظ أول حفل كبير من حفلات أضواء المدينة فى حديقة أنطونيادس .. وكنت أنا لما أروح مصر علشان أحضر بروفات أو تسجيل أغنية كنت أبات فى فيلا كمال الطويل فى المنيل فى شارع الأخشيد وكان ساكنا فيها وحده ، هو والبيانو الذى عمل عليه أعذب وأغلب ألحانه لعبد الحليم .. وكمال الطويل لا يستعمل العود كما يستعمله خلق الله من العازفين أو الملحنين ، تصور ، أنه يعتبره بديلاً للطبلة ، فيطبل على ظهره بدلاً من اللعب على أوتاره أما الألحان فيضبطها على البيانو .. مزاجه كده .

أول نزيف

وفى القاهرة فى سنة ١٩٥٦ ، والتاريخ لا يفارق ذاكرة مجدى العمروسى ابدا .. كنت أحضر تسجيل أغنيته سمراء يا حلم الطفولة من شعر الأمير عبد الله الفيصل ولحن كمال الطويل واذكر أننا كنا فى رمضان وعرفت أن عبد الحليم حافظ عند صديق له اسمه مصطفى العريف وساعة أذان المغرب بالضبط انفجر الدم من معدته .. وحدث له أول نزيف فى حياته .. وكان الدم غزيرا متدفقا لدرجة أفزعت عبد الحليم وأذهلت من حوله ، وبين القلق والتوتر والحيرة استدعوا د . زكى سويدان ، وكان من أشهر أطباء المعدة فى ذلك الوقت ، ونقله إلى مستشفى العجوزة ولمدة ١٥ يوما بين الراحة وتعاطى الأدوية من الفم إلى الوريد ، ونقل الدم قال د . سويدان إن المسألة ليست هينة وإن مرضه يحتاج الى علاج أكثر ، وعناية أشد . وقال له أمامنا : يا عبد الحليم اعتقد أن النزيف سببه دوالى فى المعدة وإن أشهر جراح متخصص فى هذا الشأن اسمه البروفسير تانر فى لندن سأكتب تقريرا عن حالتك الصحية ولابد من عرضك عليه .

وسافر عبد الحليم ، وفى لندن كشف عليه د . تانر بدقة وبكل الأجهزة الموجودة عنده من الأشعة بكل ألوانها الى المنظار بكل مقاييسه . وقال له إن النزيف سببه دوالى المعدة والمرىء وإن سبب الدوالى مرض البلهارسيا وهى التى أثرت فى الكبد ولابد من اجراء عملية مسجلة فى المراجع الطبية باسم « عملية دكتور تانر » يستأصل فيها جزءا من المعدة فيه الدوالى ، وعملها عبد الحليم وعاش ٣ سنوات بدون نزيف .

لماذا لم يتزوج ؟

وعندما عرف عبد الحليم حافظ أسباب وأبعاد مرضه بدأت الابتسامات تنسحب من على وجهه ومن حوله وعائلته الصغيرة وأصدقائه وعائلته الكبيرة ، الجماهير التى تعرفه وتحبه وبدأ الخوف يسكن قلوب الجميع ، وفعلا بعد ثلاث سنوات فقط كان عبد الحليم حافظ على موعد مع النزيف فى كل سنة فى نفس الميعاد .

وعرف طريقه إلى كبار الأطباء والمتخصصين ، أو هم الذين عرفوا طريقهم إليه فى البيت وفى المسرح وفى مبنى الإذاعة والتليفزيون وكان د . يس عبد الغفار يتابعه خطوة بخطوة فرسم له خط مرضه وخطة العلاج . ٣ حقن كل يوم واحدة فى الوريد طولها ١٠ سم على الريق . أول ما يقوم من النوم والباقى فى العضل . وكان يتنقل دائما فى سيارته ومعه السائق والنوت الموسيقية والعود والتومارجى ، الذى يحتار طويلا أين يضع الحقنة التالية فى جسم عبد الحليم . وراحت الراحة وراح الاطمئنان ومَسحت الابتسامة من على وجهه .. وحل مكانها الحزن والخوف والدموع .

وكان يتذكر معبودته فاتنة الاسكندرية ويسأل عن الزواج . كان يسأل نفسه قبل أن يسأل أطباءه وكان يكلم نفسه ، ونسمعه يقول بمناسبة ومن

غير مناسبة: ياترى لو اتجوزتها ، تبقى ممرضة أو تبقى زوجة .. أنا ٣/٤ يومى فى السرير ، والنزيف مستمر على طول . وفى مرة تشجع عبد الحليم وسأل د . يس عبد الغفار وقال له الطبيب الكبير : ليس لديك مانع من الزواج بشرط الاعتدال . وقال له عبد الحليم وهو يحاوره : أنا لا أرضى بالظلم يا دكتور . يعنى أتقدم لواحدة وأقول لها تعالى شاركينى رحلة المرض والعذاب والنزيف . لا يا دكتور أنا أفضل أعيش وحدى ولا أتعس أحدا ثانيا معى .

كان عبد الحليم قد دخل شارع الضباب ، وهو الذى طلب من الرحبانية تأليف أغنية عن حياته بعد الحالة التى وصل إليها فكانت كلمات الأغنية الحزينة تقول : ياشارع الضباب مشيتك أنا مرة بالعذاب ، ومرة بالهنا ، واستمر الضباب فى حياة عبد الحليم حافظ يزيد ويتكاثف يوما بعد يوم ، وكانت أعماله الفنية أوراق نعى تملأ الأغانى والألحان ، وظهرت الإشاعات تحيط عبد الحليم من الجهات الأربع وسمعنا كلاما كثيرا عنه وانه يدعى المرض وأنه يستجدى عطف الناس وشفقتهم .. وانه قد أعجبته صورة الشاب النحيل الضعيف المريض دائما ، وهو يؤكد على هذه الصورة ويتمارض اكثر واكثر . ويصل الكلام الى أذنى عبد الحليم ، ويرفع يديه الى السماء ويدعو الى الناس كلهم : يارب سامحهم .. يارب ابعد عن الناس الأمراض والآلام والأوجاع .

أبى فوق الشجرة

ولكن رحلة العذاب مع المرض لم تضعف عزيمة عبد الحليم ، ولم تنل من اصراره على الاستمرار فى طريقه الفنى ، كانت رحلة العذاب والألم هى القاطرة التى تجر عربات اعماله الفنية . كان يعمل بسرعة وكانت لديه الرغبة فى التجديد المستمر ، كان يبحث عن الكلام الذى يهز وجدان

الناس ويحرك مشاعرهم ويعزيه عن أمراضه وأوجاعه .

وكان هذا الفتى الصغير الجسم ، الناحل العود ، الضعيف البنية ، المنكسر الخاطر يخوض معارك فنية لا يقوى عليها الأصحاء الأقوياء . كانت عمليات التسجيل تهد الحيل ، ولكنه كان يصر على ان يحضر كل البروفات ، وكان يصر أكثر على اجراء بروفة عامة (جنرال) بالموسيقيين وآلاتهم وملابسهم كاملة فى نفس المكان والجو الذى يتم فيه التسجيل ، ويقف على قدميه بالساعات الطوال وكوب الشاى فى يده ويصرخ من أعماقه عند سماع غلط ، أو لخبطة فى اللحن ، وكنا ننصحه ونقول له يا عبد الحليم وفر الزعيق وريح حنجرتك للتسجيل . ونفس المجهود كان يقوم به فى عمليات المونتاج حتى اننا كنا نتناوب النوم على الكراسى فى الاستديو ، أما هو فيظل واقفا يعيد ويزيد فى الأغنية وفى عملية القص واللزق التى يتطلبها المونتاج حتى ينتهى منها على أجمل وجه فى شرائط الفيديو . وعلى أجمل وجهين فى شرائط الأغانى المسموعة .



وفى فيلم أبى فوق الشجرة كانت واحدة من معاركه .. ومع من ؟! مع الكاتب الكبير احسان عبد القدوس وكان لإحسان عبدالقدوس قلمه وكلمته ورأيه وعناده وصلابته وصلاته القوية بالمسئولين ورجال الثورة ، وقدرته وتفوقه فى المعارك الصحفية . واعترض مجدى العمروسى على اسم الفيلم من البداية .. قال انه اسم غريب ومحير وقد لا يعجب الناس : يعنى إيه أبى فوق الشجرة ، هو أبو قردان أو غراب ولكن عبدالحليم كان مقتنعا بالاسم ، وكلم احسان وقال له : مجدى يتفق معك على فيلم أبى فوق الشجرة حتى لا يكون حرج من النواحى المالية . وذهبت الى الأستاذ احسان عبد القدوس فى بيته ولم يأخذ الأمر وقتا طويلا ، وكتبنا العقد بالقصة وطلب احسان ان يكتب هو القصة والسيناريو ونكلف غيره

بالحوار . وفجأة طلبنى عبد الحليم وقال لى يا مجدى أنا باعت لك واحد اسمه حسين كمال ، نتفق معه على اخراج ابى فوق الشجرة . وصعقت وذعرت واعترضت وقلت : انت بتقول ايه يا عبد الحليم . انت مجنون . حسين كمال مين اللى يخرج فيلم لعبدالحليم حافظ ! كان حسين كمال قد أخرج فى ذلك الوقت فيلمى البوسطجى والمستحيل ، وأشاد بهما النقاد ، وبشروا بأنه مخرج سوف يكون له شأن . ولكن وللحقيقة أيضا فإن الفيلمين لم يكونا تجاريين ، أى أفلام شباك بالتعبير الذى يستعمله السينمائيون . قال عبد الحليم يا مجدى انت تحكم على الرجل قبل ان تراه وتقعد معاه ! وكان الذى يخرج افلام عبد الحليم هم مخرجو الصفوة أو القمة : صلاح أبو سيف وحلمى حليم وعز الدين ذو الفقار وحلمى رفلة . وآخر فيلم لعبد الحليم عملناه سنة ١٩٦٠ هو فيلم الخطايا لمخرج الروائع الراحل حسن الإمام وكان أول فيلم يعرض فى السينما لمدة ١٢ أسبوعا ، وهذا معناه منتهى النجاح . وعرض فى سينما ديانا وكان عبد الحليم يتفاءل بسينما ديانا ويحب ان تعرض افلامه فيها .

وقبل ان يحضر حسين كمال كانت كلمات عبد الحليم تسبقه فى أذنى : بس أرجوك يا مجدى تقابل الرجل كويس .

بين الفن والتجارة

وثانى يوم جاء حسين كمال . ولم استطع ان اقابله كما كان يرجو عبد الحليم . كنت قلقا ومتخوفا. ولم اخف على حسين كمال هذه الحقيقة . ولكنى رأيت فيه شابا وسيم الملامح جميل الصورة حسن المظهر ، مهندم ، ملمع ، وكان يمسك فى يده شنطة صغيرة يعلقها على كتفه ، كانت موضة ولكن حكاية الشنطة رغم تفاهتها جعلتنى أزداد اقتناعا بوجهة نظرى ، واثناء حديثى مع حسين كمال أوضح لى انه يعرف انى محام وأنه لا علاقة لى

مباشرة بالفن . وكان صبورا وهادئا واستمع لى الى النهاية لم يقاطعنى اطلاقا . وبعد ان طلبت له التحية قهوته التى يشربها سادة ، قلت له : وأنا أقرأ اسمه من ورق أمامى ، : يا أستاذ حسين كمال ، واضح ان الأستاذ عبد الحليم مقتنع بك . ولكن أرجوك ان تعلم انى مسئول عن نجاح العمل وفشله وبدايتك فى البوسطجى والمستحيل ، اهنئك عليها ، ولكنها لم تكن يا أستاذ حسين كمال افلام شباك ، واحنا شركة تجارية يهمها النجاح التجارى . وأنا لا أتدخل فى عملك الفنى ولكنى أنبهك من الآن ان تضع فى اعتبارك الناحية التجارية .. وكلام كثير . وانتظرت أن يغضب أو يثور أو يبدى اعتراضا : أبدا ، ولكنه بمنتهى الهدوء والابتسامة على وجهه – وعلى فكرة حسين كمال له ابتسامة مريحة جميلة – قال : أحب أن أقول لك إنى مقتنع بمنطقك . وإنه لا تعارض بين الفن والتجارة . والفن الناجح تقبل عليه الناس . وأوعدك من الآن أن نتشاور جميعا فى الأعمال الفنية التى أقوم بها لكم . الأستاذ عبد الوهاب ، والأستاذ عبد الحليم حافظ والحاج وحيد فريد وأنت . قلت وقد استراحت نفسى لهذا المخرج الشاب : على بركة الله .

وكان آخر فيلم مثله عبد الحليم حافظ قبل أبى فوق الشجرة هو فيلم معبودة الجماهير . واستغرق تصويره ٤ سنوات . ولم يكن أحد يصدق أبدا أن هذا الفيلم سينتهى . وقد أغضب هذا التأخير المشترين والموزعين وسبب لهم عقدة نفسية حتى أنهم لم يقدموا على التعاقد معنا . مع أنهم عرفوا أننا ننتج فيلما لقصة الكاتب الكبير احسان عبد القدوس . وخفت أن يتكرر تأخير تصوير الفيلم . وكانت مشكلة التصوير عند عبد الحليم حافظ أنه يخاف من النزيف الذى قد يفاجئه فى أى ساعة فى الليل والناس نيام . فلا ينام الا بعد أن يستيقظ كل من حوله .. وقد انقلب ليله نهارا ، ونهاره ليلا .. وكانت مشكلة مكلفة جدا لعمليات الانتاج ومعطلة

للتصوير . ولكننا وجدنا لها الحل المناسب .

وفى أثناء تصوير الجزء الخارجى من فيلم أبى فوق الشجرة طلب حسين كمال من عبد الحليم أن يلبس المايوه وينزل البحر ، وظل عبد الحليم داخل الكابينة . ولم يخرج . ذهب إليه حسين كمال يتعجله لأنه يؤخر التصوير .

● ● ●

وكان عبد الحليم يجلس داخل الكابينة وحيدا حزينا . وقال له : يا حسين أنت شفت جسمى ؟ وخلع فانلته فإذا بجسم عبد الحليم كله شوارع ، خطوط بالطول وبالعرض من أثر العمليات الجراحية التى أجريت له . ونزلت الدموع من عينى حسين كمال . ثم تماسك بسرعة . وأخذ يهون الأمر على عبد الحليم . وقال له : حنصور .. وحتقلع . وأنا المسئول ، ولن تظهر هذه التشوهات للناس . وتم تصوير المشهد ، ثم عرض على ملايين المتفرجين ، وحتى اليوم لم يلاحظ ٩٠ ٪ من الجمهور ما كان فى جسم عبد الحليم من تشوهات . وكانت الاجتماعات كثيرة فى بيت عبد الحليم بسبب الفيلم الجديد . ويومها قالوا للكاتب الكبير احسان عبد القدوس ان عبد الحليم « يلعب » فى قصته أبى فوق الشجرة ، وانه يضيف وأنه يحذف على كيفه . وقال احسان عبد القدوس لعبد الحليم حافظ : انت ناوى تعمل كاتب قصة . وكادت العلاقات بينها تفسد بسبب إشاعة .



الفنانة شادية وعبد الحليم حافظ ، ولقطة من فيلم معبودة الجماهير .



منيرة المهدية وعبد الحليم بينهما أكثر من جيل





فى مستشفيات لندن .. بداية مشوار العلاج ، ونهايتـه أيضا .

حكاية مصطفى أمين وحكاية شعب !

خسارة .. خسارة ، ان عبد الحليم حافظ لم يمثل قصة أستاذنا وملاذنا مصطفى أمين « لا » . مع أنه استأذن الصحفى والكاتب الكبير ، ووافق . وقالوا إن الإنتاج جزائرى مصرى مشترك . ومن إخراج واحد من كبار المخرجين الجزائريين . أحمد الراشدى . ولكن عبد الحليم رحل عن دنيانا قبل أن يبدأ التصوير . واشترى القصة نجم النجوم ، عادل إمام . ولم يظهر الفيلم . وقالوا : عزت العلايلى . ولكن حظ القصة ونصيبها قال « لا » . وقرر إحسان عبد القدوس أن يكتب قصة حياة عبد الحليم حافظ . وكفاحه من القرية إلى قمة الغناء العربى . وكان ينوى أن يضع لها عنوانًا « تائه بين السماء والأرض » والتائه هو عبد الحليم طبعًا . ولم يكتب إحسان القصة ولم يمثل عبد الحليم الفيلم .

ولم تكن علاقة عبد الحليم بالصحفيين وكبار الكتاب مجرد علاقة بين فنان أو مطرب وكاتب أو صحفى . ولكنها كانت الصداقة القوية المتينة ، عميقة الجذور . وكان يعتبر الصحافة مدرسته . والصحفيين أساتذة ومدرسين . فكان يمضى نهاره فى مدرسة أخبار اليوم . أما الفترة المسائية ففى مدرسة روز اليوسف ، يتنقل فيها بين إحسان وأحمد بهاء وفتحى غانم وصلاح جاهين وجمال كامل . وهو الذى رسم له صورته التى يضعها رفيق عمره مجدى العمروسى فوق رأسه من ١٦ سنة . منذ رحيل الفنان الرقيق الحالم . وكان يتنقل بين صحفيين وكتاب آخرين يأخذ من كل واحد منهم جزءا من ثقافته وجانبًا من خبراته . وكان يقول : إن المعايشة هى نصف الطريق إلى المعرفة !

ولكن علاقة عبد الحليم بالصحافة والصحفيين لم تكن كلها سمنا على عسل . كانت الخلافات ، والزوابع . والأعاصير والأنواء والزلازل أحيانًا . وحتى بعض الأقلام الصديقة لم تكن ترحمه ، عندما تصدر منه كلمة قليلة الحروف . كلمتان خاطفتان من خمس حروف كانتا السبب فى كتابة عشرات المقالات تهاجم المغنى الذى اعتدى على الذوق العام ، وحطم تقاليد المسرح ، وتطاول على ولى النعم ، الجمهور : « بس بقه » قالها عبد الحليم فى لحظة غضب قبل أن يبدأ غناء قصيدته الرائعة ، « قارئة الفنجان » . وانهدمت الدنيا على رأسه ، ولا عمارة مصر الجديدة ساعة الزلزال . وشاية همس بها بعضهم فى أذن الكاتب الراحل إحسان عبد القدوس كانت السبب فى مقال من الصنف الحراق ، يلسع به المغنى الذى رمى الميكروفون من يده ، ليمسك بالقلم بأطراف أصابعه ، ويكتب القصة والسيناريو .

إيه العبارة ؟!

والحكاية إنه أثناء عمل السيناريو لفيلم أبى فوق الشجرة . كانت الاجتماعات كثيرة . وتتم فى بيت عبد الحليم . ويحضرها حسين كمال وسعد الدين وهبه . ومجدى العمروسى . وتطوع « أولاد الحلال وهمسوا فى أذن إحسان عبد القدوس . وكان أيامها رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم . وكتب إحسان يسخر من عبد الحليم وأنه أصبح من كتاب القصة والسيناريو المرموقين . وكان الزعل ، وكان الخصام . وانتهى كل هذا يوم عرض الفيلم على الرقابة .

☆☆☆

وكانت بطلة الفيلم الممثلة العظيمة نادية لطفى . ورأى المخرج أن يكثر من القبلات والأوضاع التى تجذب الجمهور . فكان فى الفيلم ٩٠ قبلة بالتمام والكمال . وخشى عبد الحليم أن تعترض الرقابة . ومعناه أن نصف الفيلم سوف يحذف . ونقل مخاوفه إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب . الذى وضع إصبعين على خده ، وقال : والعمل إيه ياحليم ؟! وبذكاء شديد ، وبخبث أشد قال عبد الحليم : والله يا أستاذ عبد الوهاب أنت صديق عزيز للأستاذ حسن عبد المنعم وكيل وزارة الثقافة . ويمكنك إقناعه بأن ينقل جهاز الرقابة إلى استوديو مصر لمشاهدة نسخة الفيلم . وأنا وأنت وسعد الدين وهبه وإحسان عبد القدوس نحاول أن نأخذهم فى عبنا ، ونحاول أن نمرر الحاجات التى يعترضون عليها . يعنى حضرتك تقعد جنب الأستاذ حسن عبد المنعم وأنا جنب السيدة اعتدال ممتاز . وواحد تانى جنب الأستاذ حمدى سرور . ولما ييجى المنظر اللى فيه بوسة كل واحد يكلم اللى جنبه حتى يمر المشهد . وهنا قال له الأستاذ عبد الوهاب : طيب يا حبيبى أنت بتشوف كويس ، وعارف المناظر التى يمكن الاعتراض

عليها . لكن أنا يادوب أقدر أشوف الشاشة . ويمكن أتكلم فى وقت عرض المشاهد الصالحة . فقال له عبد الحليم سوف أضع ذراعى خلفك وأغمزك . وظلوا طول عرض الفيلم كالبهلوانات حتى جاءت جملة فى الحوار توقفت عندها السيدة اعتدال ممتاز ، وأصرت على حذفها . والجملة على لسان الفنان عماد حمدى وهو يبحث عن ابنه فى الكباريه . وسأل الجرسون : ماشفتش يا ابنى شاب صغير ونحيف هنا اسمه عادل ؟ فقال له الجرسون : لا ماعندناش عادل ، فيه واحد اسمه على أجيبه لك ، وصرخت اعتدال ممتاز : قل لى يا حسن بيه معناها إيه العبارة دى ؟

ورد عليها الأستاذ عبد الوهاب بسرعة : ياست اعتدال لا تنسى إنه جرسون . وإذا سأله الزبون عن صنف وقال له ماعندناش يترفت من المحل ، يبقى على طول وبحكم العادة يرد عليه كده ! فإذا طلب الزبون بامية لازم يقول له : مفيش بامية ، أجيب لك بصارة . وضج الجميع بالضحك ، وفاتت الجملة ، وكان الفيلم رائعًا من أوله إلى آخره ، وصعب على الرقباء أن يشوهوا هذا الجمال ، فتغاضوا عن بعض المشاهد . وفى آخر الفيلم قام الأستاذ إحسان عبد القدوس . واحتضن عبد الحليم وقال له : أمال احنا كنا مختلفين على إيه ؟ الفيلم كما كتبته تمامًا . ورد عبد الحليم : وهو أنا أقدر أغير حاجة أنت كاتبها . وانتهى الخلاف بسرعة .

جليل الأدب

وموقف آخر واجهه عبد الحليم عندما بدأ نجمه يلمع ، وبدأت الأفلام تبحث عنه ، والصحافة تتتبع أخباره . وطلب منه الكاتب الساخر جليل البندارى أن يجرى معه حديثًا . وكان جليل البندارى ينشر كل أسبوع بابا ثابتًا فى أخبار اليوم بعنوان من السبت إلى السبت ، كما كان يكتب كل

يوم مربعًا صغيرًا فى الأخبار بعنوان « أنا والنجوم » فى نفس المكان الذى ورثه عنه ابنه الساخر الساحر أحمد رجب « ١/٢ كلمة » ولكن جليل البندارى ، طويل اللسان ، سليط القلم . حتى أن السيدة أم كلثوم قالت إنه جليل الأدب وخاف منه عبد الحليم ، وقال للأستاذ محمد حسنين هيكل . وكان أيامها رئيسا لتحرير آخر ساعة : الأستاذ جليل عايز يعمل معايا حديثًا !

– طيب وماله يا عبد الحليم ده شىء لمصلحتك وجليل لا يكتب إلا عن الناجحين .

● بس ده بيشتم اللى بيكتب عنهم . وأنا ما أحبش حد يشتمنى .

– سوف تخسر كاتبًا قديرًا كان من الممكن أن يفيدك !

● أنا عندى حل . نعمل الحديث فى حجرتك وأمامك . وبالشكل ده جليل لا يمكن يشتمنى .

ووافق الأستاذ هيكل . وطلب من جليل أن يجرى الحديث فى حجرته فى آخر ساعة . وقال له : أنا عايز أشوف عبد الحليم يقدر يكون على مستوى الحديث أولا . وحضر جليل بسرعة وكان أول كلام وجهه لعبد الحليم : أنت جايبنى أودة هيكل علشان ما اشتمشى يا ابن الـ .... ونطق بالشتيمة ، وكتبها أيضًا . ورد عبد الحليم وكأنه لم يسمع شتيمته بأذنه وقال : أنا اتولدت فى ٢١ يونيو سنة ١٩٢٩ فى الحلوات ... وكان الحديث من أنجح الأحاديث الصحفية التى أجراها عبد الحليم فى بداية خطواته الفنية .

☆☆☆

واقترب عبد الحليم كثيرا من الراحل كامل الشناوى . وكان فنانا عظيما وشاعرا عملاقا ، وكان رقيقا مرهف الحس ، ومتميزا فى كل شىء .

وكانت حياته مزيجا رائعا من الصحافة والفن والأدب والشعر . وكان صديقا وأبًا لكل من يعمل فى حقل الفن أو على بلاط صاحبة الجلالة . وله عبارات لاذعة وتشنيعات لاصقة ، تظل علما على من يشير إليه طول حياته . وفى أحد الأيام همس الشاعر أحمد شفيق كامل فى أذنه : تصور يا كامل بك ، عبد الحليم حافظ يكذب ! وأبدى كامل الشناوى دهشته ، وقهقه بصوت عال وهو يقول : ما تبقاش ساذج . عبد الحليم حافظ لا يصدق إلا إذا غنى . وهو الذى قال عن أغنية على قد الشوق إنها الطبق الطائر الذى حلق بعبد الحليم . وكان محايدا ، وعندما لم تعجبه أغنية فى أحد أفلام عبد الحليم قالها فى بساطة وفى جرأة : نجح الفيلم وسقطت الأغنية ، وكان لسقوطها دوى !

حديث الأربعاء

أما حديث الأربعاء مع الاعتذار للكاتب العظيم د . طه حسين . فكانت ليلة ولا كل ليلة يجتمع فيها أهل الفن والأدب والصحافة فى منزل الأستاذ مصطفى أمين ، صالون أدبى ، وندوة فنية ، ومحاضرات فى السياسة ودورس فى العلاقات وفى الاجتماع . وكان الحاضرون : على أمين وكامل الشناوى وموسى صبرى وأنيس منصور وسعيد سنبل وأحمد رجب . وفى بعض الليالى كان يحضر الأستاذ محمد عبد الوهاب والسيدة نهلة ، وأحيانا كوكب الشرق أم كلثوم ود . حسن الحفناوى . أما الليالى التى يحضرها جليل البندارى فكانت تقوم فيها وصلة ردح يكون النصيب الأكبر فيها من حظ عبد الحليم . أو كما قال مجدى العمروسى :

كانت صداقة يجتمع فيها الحب والوفاء والأستاذية والتعليم والتوجيه المخلص المفيد . وعندما بدأ العمل فى فيلم معبودة الجماهير . عن قصة

الأستاذ مصطفى أمين كنا نجتمع يوميا فى فيلته بالاسكندرية : السيدة شادية والأستاذ حلمى رفلة ، وعبد الحليم وأنا وكنا نظل فى حالة نقاش وحوار وجدل ساعات طويلة ، لم نكن نغادر الفيلا قبل الواحدة أو الثانية صباحا ، وفى الشارع أمام البيت ، كنا نشاهد رجلا طويلا ، عريضا يرتدى بالطو وكوفية فى عز الصيف ، ويمسك ورقة وقلما يكتب فيها أرقام السيارات . وفى كل مرة كان عبد الحليم يقترب من الرجل ، ويقول له : أنا اسمى عبد الحليم حافظ ، وسنى حوالى ٣٥ سنة ، ومهنتى مطرب ودى عربيتى . وأنا باسهر كل ليلة عند مصطفى بك أمين ..

وكنا نحاول أن نمنعه ، ولكنه كان يصر على أن يحكى هذا الموال للرجل كل ليلة . نوع من التحدى والعناد كان فى شخصية عبد الحليم . وعندما سجن الأستاذ مصطفى أمين كان يزوره فى السجن وكان يحمل معه بعض فصول رواياته التى كانت تنشرها دار الصياد اللبنانية . وذكر مصطفى أمين هذه الوقائع فى مذكراته وقال إنه يحتفظ لعبد الحليم حافظ بهذا الصنيع إلى الآن . وكان عبد الحليم يردد أمامنا دائما أنه لم يسدد لمصطفى بك ولو جزءًا بسيطا من الجميل العظيم ومن أفضاله عليه . كان عبد الحليم حافظ يحبه بعمق . كما يحب فى شخصه مصر كلها التى أحبها بكل العمق والإخلاص والولاء .

الحدث الأعظم !

وشهادة ميلاد عبد الحليم الفنية كتبت يوم الحدث الأعظم ، يوم ثورة ٢٣ يوليو . وبقدر ماأحبت مصر عبد الحليم وفتحت له ذراعيها . أحبها عبد الحليم بكل الحماس والإخلاص . وعلى مدى ربع قرن من حياته الفنية منذ سنة ١٩٥٢ وحتى رحيله فى سنة ١٩٧٧ . كان صوت عبد الحليم يدوى فى كل المناسبات كان ينزف دما وبغزارة ، ولكن نداء الوطن عنده

كان أقوى من المرض وأغلى من الدم . فى سنوات الثورة الأولى غنى من كلمات مأمون الشناوى ولحن رءوف ذهنى ثورتنا المصرية . كما غنى لصلاح جاهين وكمال الطويل « احنا الشعب » وفى عدوان ١٩٥٦ كان عبد الحليم فى لندن فى أول رحلة علاج طويلة . وكانت كل الطرق إلى مصر مغلقة ، وظل منفيا فى بيروت طوال فترة القتال . وعندما عاد غنى فى يومين متتاليين « الله يابلادنا الله » من كلمات أنور عبد الله ولحن الاستاذ محمد عبد الوهاب . وغنى « إنى ملكت فى يدى زمامى » . وفى عيد النصر غنى « تحت راية بورسعيد » وفى مناسبة الوحدة بين مصر وسوريا كانت كلمات اسماعيل الحبروك والحان كمال الطويل على كل لسان « ياجمال ياحبيب الملايين » .

واشترك بالغناء فى نشيد « الوطن الأكبر » لأحمد شفيق كامل والأستاذ عبد الوهاب . وفى عيد العلم فى سنة ١٩٥٩ غنى « ذات ليلة » لمرسى جميل عزيز وكمال الطويل . وكانت الجماهير تردد أغانيه الوطنية بكل الحماس وبنفس نبرة الحب الصادقة التى كانت تردد بها أغانيه العاطفية . وفى سنة ١٩٦٠ عند وضع حجر الأساس لبناء السد العالى . غنى عبد الحليم « حكاية شعب » وكانت حكاية شعب لها حكاية . يروبها لنا مجدى العمروسى رفيق الشارع الطويل فى حياة عبد الحليم حافظ :

حكاية شعب

فى يوم كنا فى بيت كمال الطويل ، وحضر أحمد شفيق كامل ومعه كلمات ، قال إنه عاملها بمناسبة وضع حجر الأساس للسد العالى . وعندما استمعنا للكلمات وجدناها غريبة على الأذن وجديدة على الغناء العربى . بل على الغناء بكل أشكاله ناس تغنى ، وواحد يدخل عليهم يسكتهم . ويقول لهم بالكلام : الحكاية مش حكاية سد . دى حكاية الكفاح اللى ورا

السد. ثم يسألهم : تسمعوا منى الحكاية ؟! ويردون كلهم فى صوت واحد : بس قلها م البداية . ويبدأ الغناء . كمال الطويل سمع الكلام ، وقال : الشكل غريب وجديد ، وفيه مخاطرة . وأمامه احتمالان . إما أن تفهمه الناس فتنجح الأغنية نجاحا باهرا . وإما أن الناس لا تفهمه ، فتفشل الاغنية فشلا ذريعا . وسكتنا جميعا ولكن عبد الحليم تحمس للتجربة حماسا لا حدود له . وأخذ يستحث كمال الطويل ، وقال له قم يا كمال ، الغنوة لابد أن تنتهى لحنا وبروفات فى ١٠ أيام ونسافر بيها . وكانت ستغنى لأول مرة على بعد ١٠٠٠ كيلو من القاهرة ، فى أسوان . وفعلا قام كمال الطويل ولحن الاغنية وسمعناها وأعجبنا بها جميعا إلا الملحن نفسه كان فى منتهى الرعب والخوف والهلع . ولكن عبد الحليم خطف شريط التسجيل من يده ، وهو يقول : بينا ياجماعة ، البروفات بكرة الساعة الثالثة .

من الأول

وفى أسوان كنا مع جلال معوض وحفل أضواء المدينة مع ١٠ آلاف مستمع . وكان ملك المغرب محمد الخامس ، وولى عهده « الأمير الحسن » . وكانت المرة الأولى التى يرى فيها عبد الحليم ويستمع إليه . وأعتقد أن هذه الأغنية كانت السبب فى الصداقة القوية المتينة التى ربطت بين الملك الحسن وعبد الحليم بعد ذلك . وبدأت المقدمة الموسيقية لأغنية « حكاية شعب » وحبسنا أنفاسنا .

ويبدو أن كل المستمعين كانوا يعيشون معنا نفس الدهشة والانبهار الذى لفنا طوال فترة الغناء لم نسمع كلمة ولا همسة ، ولا نفسا . وكأن أسوان قد خلت من سكانها . وفى نهاية الغناء توقف عبد الحليم حافظ . وكانت قلوبنا قد سقطت فى أقدامنا . وإذا بعاصفة مدوية من التصفيق

والهتاف تهز المكان هزاً . وشارك أعضاء مجلس الثورة ، وكانوا يحضرون الاحتفال ، الجماهير فى انفعالهم وهتفوا وصفقوا لعبد الحليم حافظ .

وكان بينهم عبد اللطيف البغدادى ، وكمال الدين حسين ، وصلاح سالم ، وزكريا محيى الدين ، وأنور السادات . وألحوا على الرئيس جمال عبد الناصر أن يطلب من عبد الحليم إعادة الاغنية . كانوا ينظرون إلى الرئيس عبد الناصر وهم يهتفون بأعلى الصوت ، تانى .. تانى .. من الأول .. من الأول ، وضحك عبد الناصر من الأعماق . وأشار لعبد الحليم ، وقال له : من الأول ياحليم . وحاول عبد الحليم أن يبدأ من أول الغناء ، ولكن الجماهير صاحت مرة ثانية : من الأول .. من الأول .. وعزفت الموسيقى وأعيدت الأغنية كلها . وفى كل مقطع كانت الجماهير تقاطعه وتطلب الإعادة ، فيبتسم و ينحنى ويعيد بناء على رغبة الجماهير .

● ● ●

ولكن هذا النجاح العظيم للأغانى الوطنية . وأغانى ثورة ٢٣ يوليو . لم يمنع من حرمان عبد الحليم حافظ من الغناء فى أعظم المناسبات الوطنية شأنا . قالوا لعبد الحليم حافظ لن تغنى بعد اليوم فى عيد الثورة . قالها له الرجل الثانى فى الدولة فى ذلك الوقت المشير عبد الحكيم عامر . استدعاه من القاهرة إلى الاسكندرية . وسافر إليها عبد الحليم متهللا مع الموسيقار الراحل على إسماعيل - وفى مكتب المشير كانت الصدمة الكبرى .



فى مدرسة أخبار اليوم ، مع أساتذته مصطفى أمين وكامل الشناوى ، ودرس على الواقف



وكان بين عبد الحليم ، ومعظم ملوك ورؤساء الدول العربية ، صداقة متينة .



مع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .



فى فترة الاستراحة بين التصوير بين نادية لطفى وعماد حمدى

بأمر المشير ..
عبد الحليم ممنوع من الغناء !

فى يوم من الأيام ، قالوا لأستاذنا ، وملاذنا ، وعكازنا . مصطفى أمين وهو فى السجن ، إنهم رفعوا اسمه من على الصفحة الأولى لأخبار اليوم . فقال فى كلمات تشبه طلقات الرصاص : وهل الهرم الأكبر مكتوب عليه اسم خوفو ؟! وكانت المخابرات العامة أيامها من الأجهزة سيئة السمعة . واسم صلاح نصر يثير الرعب والفزع فى قلوب الكبار والصغار ، ولا أمنا الغولة ، ولا أبو رجل مسلوخة ، وطلب مخرج فيلم معبودة الجماهير فى مبنى المخابرات ، وقال له : اسم مصطفى أمين ، لا يكتب على الفيلم ، وخرجت الكلمات الخائفة ، المرتعشة من بين شفاه المخرج : ولكنه كاتب القصة ! ورد صلاح نصر فى لهجة آمرة : ولو ، اسم مصطفى أمين لا يذكر أبدا ، فاهم !

وقال بطل الفيلم عبد الحليم حافظ فى اصرار شديد : سوف يذكر اسمه ، ويكتب بالخط العريض ، فهو صاحب القصة ، ومكسب للفيلم . وحكى لصلاح نصر الحكاية بكل تفاصيلها ، وانهم كانوا يجتمعون عند الأستاذ مصطفى أمين فى بيته فى القاهرة ، وفى فيلته بالاسكندرية ، ومعه الملحن كمال الطويل ، والمخرج حلمى رفلة ، والسيدة شاديه ، ومجدى العمروسى ، كل ليلة ، وكل يوم . حتى ليلة القبض على مصطفى أمين . وطلب أن يكون شاهدا فى القضية ، وعنده كلام كثير ، وكلام عبد الحليم حافظ يعمل له الف حساب . وكان صديقا صدوقا لكل قيادات الثورة ، من جمال عبد الناصر ، إلى عبد الحكيم عامر ، وأنور السادات ، وزكريا محيى الدين ، وكمال الدين حسين ، وصلاح سالم ، وحسين الشافعى .. وكلهم كانوا يحبون عبد الحليم .

ومن الأيام الأولى للثورة ، اكتشف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن عبد الحليم حافظ يحمل فى حنجرته سلاحا علنيا ، لا يقاوم . وهو سلاح له فاعليته المؤكدة فى المعارك التى خاضها عبد الناصر ، وهو يلم شمل الأمة العربية . وهو يواجه ثلاث دول كبرى . والتاريخ ما زال ساخنا وقريبا . وأنت تقرأ هذه الكلمات يمكنك أن ترسم خريطة العالم فى ذاكرتك ، وتعرف بسرعة أنها انجلترا وفرنسا وإسرائيل . ودول أخرى كبيرة ، وذيول صغيرة فى الشرق والغرب .

ولكن مالنا ومال التاريخ والجغرافيا ، خلينا فى عبد الناصر ، وعبد الحليم . وكان الرئيس الراحل ، يواجه العدوان ، بسواعد الرجال ، وبالمدافع والقنابل ، والطائرات والغواصات ، وصوت عبد الحليم حافظ . حتى أنه طلب من محمد حسنين هيكل ، وكان أيامها على رأس جهاز الإعلام فى مصر ، وكانوا يسمونه الإرشاد القومى .

وطلب منه شخصيا أن يضع اغنية : يا اهلا بالمعارك ، على خريطة

الاذاعة والتليفزيون ، وأن تذاع عدة مرات فى اليوم . وأن يدخل صوت عبد الحليم مباشرة ، وبدون مقدمة موسيقية ، صاروخا موجها يصيب معنويات العدو فى الصميم .

على مائدة الرئيس

أما فى ٢٣ يوليو فلم يكن يجلس إلى مائدة الرئيس عبد الناصر من الفنانين ، الا السيدة أم كلثوم ، والأستاذ محمد عبد الوهاب ، وعبد الحليم حافظ . وعلى نفس مائدة العشاء . صدر القرار الجمهورى ، أمر مباشر من الرئيس عبد الناصر أن تغنى كوكب الشرق من الحان موسيقار الأجيال . وحصل ، وغنت ام كثلوم ٦ أغنيات من الحانه وعلى نفس مائدة العشاء ، صدر القرار الجمهورى ، أمر مباشر من الرئيس عبد الناصر بأن يسافر عبد الحليم إلى الولايات المتحدة وأن يعالجه د . لينتون فى مستشفى ماساشوستس . ووجه كلامه إلى المشير عبد الحكيم عامر ، وقالها بلهجته القاطعة : يا عبد الحكيم ، عبد الحليم يسافر الأسبوع الجاى . وسافر عبد الحليم ، ومعه مجدى العمروسى ، كما أمر الرئيس الراحل ومن القاهرة إلى نيويورك فى أفخم فنادقها ، وولدورف استوريا ، ثم إلى واشنطون بالطائرة التاكسى . وهم يعاملون الراكب فيها على طريقة ركاب المينى باص فى بلدنا . وكل خطوة فى هذه الرحلة لها حكاية كبيرة . ود. لينتون هو الذى وضع أصابعه . وأذنيه على كل جزء فى جسم عبد الحليم ، وخيّره بين العلاج المر المؤلم ، طويل المدى ، أوالعملية الجراحية السريعة ، وشرح له تأثيراتها الجانبية ، على المخ والأعصاب . ورفض عبد الحليم اجراء العملية الجراحية . لأنها تسدل على المخ « ستاير النسيان » . وقال يومها : يعنى أقف على خشبة مسرح الجمهورية أغنى « المسئولية » وفجأة أنسى الكلام والغنوة ، وأدخل

على ، وحياة قلبى وأفراحه . ساعتها أموت من الخجل ، أمام الناس .

المشير ينحنى

أما العلاقة بين عبد الحليم حافظ ، والمشير عبد الحكيم عامر ، فكانت طيبة . وكان المشير يترك كل أعماله وأعبائه ، عندما يشاهد عبد الحليم ، وبالأحضان .. بالأحضان . حتى كانت حادثة ٢٣ يوليو .

والحكاية أن الجيش كان يقيم احتفالات ٢٣ يوليو فى نادى الضباط وأهم فقرات الحفل ، كوكب الشرق أم كلثوم . كانت تفتح الحفل بأغنية وطنية ، وتنهيه بأغنية عاطفية طويلة . وبينهما كان يغنى عبد الحليم حافظ ، وكانت اغنيته تنتشر بسرعة ، ويرددها الناس ، بعد ساعات قليلة ، تملأ الآذان والقلوب . أما فى هذه المرة ، فإن أم كلثوم طلبت أن تغنى الأغنيتين ، وتترك المسرح بعدها لمن يريد أن يسمع صوته للناس . وقالت للمشير عامر ، ان المسرح ليس به تكييف ، وأنا باتعب يا حكيم . وانحنى المشير كرقم ٨ ، وهو يقول : على عينى ياست . وكانت أغنيتها الوطنية « على باب مصر تدق الأكف » وتجمع بين القمم الثلاث ، فهى من تأليف كامل الشناوى ، وتلحين الأستاذ محمد عبد الوهاب .



ويقول مجدى العمروسى : وعرفت الحكاية دى من المخرج محمد سالم ، وكان مسئولا عن المسرح . وأبلغت عبد الحليم . فغضب ، وانفعل انفعالا شديدا . وأصر على أن يغنى فى موعده ، وطلب شمس بدران ، وطلب على شفيق ، والمسئولين عن مكتب المشير . ولكن الأوامر كانت قد صدرت ، وعلى الجميع السمع ، والطاعة ، وسرعة التنفيذ . وأحاطوا بعبد الحليم ، حتى لا يتهور ، أو يتصرف تصرفا غير لائق . فى تلك الليلة كان عبد الناصر عازم هيلا سلاسى امبراطور الحبشة ، والرئيسين بن بيلا

ونكروما . وكان من المقرر أن يرافقهم للمطار فى الثالثة والنصف صباحا . وانفلت عبد الحليم غاضبا إلى الشادر الذى يجلس فيه علية القوم . فقابله المشير فى الطريق . وأمسكه من شعر رأسه ، وقال له مازحا : ايه يا اخويا .. انت عامل لك حكاية ليه ؟! وتصادف فى هذه اللحظة مرور الرئيس عبد الناصر فى طريقه إلى مقعده فقال للمشير : ماله عبد الحليم ! وحكى له المشير ، الحكاية والرواية . وان الست سوف تغنى فى الأول وتروِّح . وعبد الحليم زعلان لأنه عارف أن سيادتكم مضطر توصل ضيوفك للمطار . ولن تسمع غناه .

ووضع عبد الناصر يده على كتف عبد الحليم ، وقال له : ولا تزعل يا حليم أنا ح استنى لما أسمعك . والتفت إلى سكرتيره محمد أحمد وقال : يامحمد ، قل لهم يأخروا ميعاد الطائرة إلى الساعة ٤ ونص . وتصورنا أنها أزمة سريعة ، وتعدى . ولكن عبد الحليم وقف على المسرح ، وألقى خطبة قصيرة سريعة ، كان لها أثر الزلزال على أم كلثوم ، وعلى المشير ، وعلى عبد الحليم . وقبل أن يبدأ الغناء أمسك عبد الحليم بالميكروفون . وقال هذه العبارة : أنه شرف عظيم لى أن أختتم حفلا تغنى فيه سيدة الغناء العربى أم كلثوم . ولكن الذى لا أعرفه حقا ، هل هذا شرف عظيم ، أو هو مقلب ساخن ؟! وأشار للموسيقيين للبدء فى العزف . وحدثت ضجة بين الحاضرين ، ولغط ، وهمهمة ، وأصوات مستنكرة .

ويقول مجدى العمروسى : كانت مفاجأة لى أيضا . ولو كان أخبرنى ، لمنعته ولو بالقوة ! ولكن صوت عبد الحليم ارتفع بأغنية المسئولية ، وأخذ يعيد ويزيد بناء على طلب الجماهير . ولم يترك عبد الناصر ، وضيوفه الحفل إلا بعد انتهاء عبد الحليم من الغناء .

اعتذر للست !

وثانى يوم ، يوم ٢٥ يوليو ، طلب المشير حضور عبد الحليم لمقابلته فى الاسكندرية . واعتقد عبد الحليم أن وراء هذه المقابلة ، وساما أو نيشانا . واصطحب معه الملحن على اسماعيل ، الذى وزع اللحن ، وقال له : يا على احنا مطلوبين فى الاسكندرية . وكنا ثلاثة معا . ونحن ندخل مكتب المشير . وكان يكتب شيئا على الورقة أمامه . ولم يرفع عينيه ، ولم يقم لمقابلة عبد الحليم كعادته ، ولا بالأحضان .. بالأحضان . وفهم عبد الحليم الموقف بسرعة واتجه إلى الكراسى القريبة من مكتب المشير ، وقال : اقعد يامجدى .. اقعد ياعلى .. وظهر على وجهه التحدى والغضب .. وعندما انتهى المشير من أوراقه . رفع وجهه وقال لعبد الحليم بغضب : ايه يا استاذ اللى قلته امبارح ؟!

ورد عبد الحليم فى هدوء : لم أقل إلا الحقيقة . وقال المشير بسرعة هى أم كلثوم اللى بتنظم الحفلة ، اللى بينظم الحفلة أنا يا أستاذ ! تسافر النهاردة ، وبكره تعتذر للست فى كل الجرايد والمجلات . ومرة ثانية يرد عبد الحليم بنفس الهدوء : يا سيادة المشير ، أنا مطرب صغير ، ولكنى مصرى . ويمكنك تحطنى فى السجن . ويمكنك تحدد اقامتى ، ويمكنك تمنعنى من الغناء . إنما لا يمكن ابدا تكرهنى على التنازل عن كرامتى . ولن أعتذر لأى مخلوق ، مادمت لا أخطىء .. أنا مش ح اعتذر ، سلام عليكم . والتفت الينا بسرعة : ياللا يا مجدى .. يا للا يا على . وخرج غاضبا ، وكلمات المشير تلاحقه بصوت عال : « تعالى يا مجنون .. تعالى يا عبد الحليم » . وجرى وراءه شمس بدران ، وعلى شفيق ، وفى حجرة شمس بدران حاولا اقناعه بتنفيذ طلبات المشير ، ولكنه رفض باصرار عنيد .

خطاب لعبد الناصر

وفى السنة التالية ، رفضت السيدة أم كلثوم أن يغنى معها عبد الحليم حافظ ، فى احتفالات ٢٣ يوليو ، وقالت بالفم المليان : يا أنا يا عبد الحليم . وقد كان . ولم يصدق عبد الحليم الخبر حتى أكده له شمس بدران ، عبد الحليم حافظ ليس ضمن فقرات الحفل . وهنا أغلق عبد الحليم على نفسه باب حجرته ، لا يقابل أحدًا ، ولا يكلم أحدًا . ساعتين كاملتين قبل أن يفتح باب الحجرة ، ويقول لى : يا مجدى ، محمد أحمد جاى دلوقت . من فضلك تقابله ، وتقعد معاه ، وتقول لى . وفعلاً بعد فترة قصيرة . وجدت محمد أحمد سكرتير الرئيس عبد الناصر على الباب . وعندما أدخلته إلى الصالون . وأبلغت عبد الحليم . تقدم منه بسرعة . وفى يده خطاب . وطلب منه أن يحلف على المصحف . أنه يوصل الخطاب إلى الرئيس عبد الناصر يدا بيد ، فى نفس الليلة . وأحرج محمد أحمد ، وقال له : يا عبد الحليم أنا ما احلفش . إنما أعدك ، إذا وجدت الفرصة المناسبة ، أن أسلم الخطاب لسيادة الرئيس الليلة دى . وعرفت بعد ذلك أن عبد الحليم شرح فى الخطاب تفاصيل الحكاية مع السيدة أم كلثوم ، والمشير عامر . وأرفق مع الخطاب كلمات الأغنية التى كان ينوى غناءها فى ليلة ٢٣ يوليو ، وهى أغنية ، يا أهلاً بالمعارك .

حفل خاص لحليم

وكانت العادة فى ليلة ٢٣ يوليو أن يمر المشير ، ويصطحب الرئيس عبد الناصر ، وأن يذهبا للحفل معًا ، باعتبار أن الرئيس ضيف على الحفل الذى يقيمه الجيش . ولكن فى هذه الليلة حدثت بعض الظروف ، ولم يلتق الرئيس عبد الناصر والمشير إلا فى مكان الاحتفال ، وجلسا

متجاورين كما هى العادة . وبدأ الحفل ، وقرأت المذيعة أسماء الفنانين المشتركين ، ولم تذكر اسم عبد الحليم حافظ . وإذا بالكاميرا تتجه ، برضه صدفة ، ويظهر على الشاشة الرئيس والمشير ، وكنا فى بيت عبد الحليم ، ومعنا كمال الطويل . وشاهدنا عبد الناصر يطفئ سيجارته فى عنف ، وعلى وجهه مسحة من الغضب ، وهو يكلم المشير ، لدرجة أن كمال الطويل قال : يا عبد الحليم .. الكلام ده عليك .

وشاهدنا عبد الناصر على الشاشة وكانت الكاميرا مسلطة عليه ، وهو يلتفت خلفه ويكلم د . عبد القادر حاتم ، وكان يجلس على كرسى وراءه مباشرة . وعرفنا بعد ذلك أنه كان يصدر أوامره بأن يقيم حفلاً بالاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ، يحضره جمال عبد الناصر . ويحييه عبد الحليم ، ومن يختاره من الفنانين . وبعدها بدأت الإجراءات لإقامة الحفل ، وبدأت المخابرات فى تأمين مكان الاحتفال ، وأخبروا عبد الحليم الذى اختار صاحبة الصوت الساحر فايزة أحمد . وأقيم الحفل فعلاً - لأول وآخر مرة فى الاسكندرية ليلة ٢٦ يوليو .

وقد أرسل عبد الناصر إلى عبد الحليم حافظ من يخبره بأن يغنى قبل العشاء . لأن الرئيس مرهق ، ويريد أن يغادر الحفل مبكرًا . ونفذ عبد الحليم ما طلب منه ، وخرج لوداع الرئيس عند باب المسرح . وكان المصورون يلتقطون صوره مع الرئيس وهو يسلم عليه ، وعندما لاحظ عبد الناصر حرص عبد الحليم على هذه الصور . سلم عليه مرة ثانية ، وأشار لمصوره الخاص أن يلتقط الصورة ، وقال له : ياحليم .. انشر الصور دى فى الجرايد . وكانت هذه ترضية كافية لعبد الحليم وقياسًا لدرجة حساسية عبد الناصر فى معاملة أهل الفن .



ولكن العلاقة بين عبد الحليم وأم كلثوم عادت على أحسن ما يكون ، عندما رفع عبد الحليم سماعة التليفون ، وقال لها : ياست عايز أشرب معاك فنجان قهوة . وردت عليه أم كلثوم بطريقتها الخاصة معه : تعالى لى بكره فى البيت ياواد . هكذا كانت الست تناديه دائمًا . أما العلاقة بينه وبين المشير فعادت أقوى مما كانت . وكان يزوره فى بيته الذى تحول إلى ترسانة مسلحة بعض الوقت . وفى أواخر أيام المشير ، وقبل القبض عليه ، شاهد الرئيس عبد الناصر ، عبد الحليم حافظ ، فى بيت المشير ، وكانت مقابلة ، عاصفة ، وقال له غاضبًا : أنت بتعمل إيه هنا ؟!



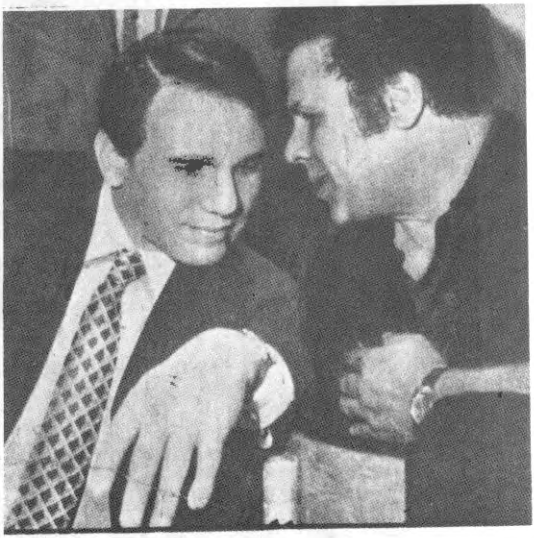
عبد الحليم حافظ ونادية لطفى فى الفيلم



الأستاذ مصطفى أمين والمشير عبد الحكيم عامر ، وصداقة فى بداية الثورة .



قبلة على يد كوكب الشرق أم كلثوم ، قد تعبر عن الحب والاحـترام . أو الاعتذار .



على اسماعيل يهمس فى أذن عبد الحليم قبل زيارة المشير .



عيون عبد الحليم وفيها الذكاء والخبث والحزن .

٣ مرات
تعرض فيها للقتل !

جبار فى قسوته .. جبار فى رقته .. أعرف أنها كلمات واحدة من الأغانى الكثيرة التى نسمعها منه ، ولكنها أيضا بعض خطوط وخيوط شخصية عبد الحليم حافظ . كان وفيا ، شديد الوفاء . وكان عنيدا ، منتهى العند وبسبب العند ، ومن فرط الاخلاص والوفاء . تعرض عبد الحليم لغضب السلطة فى أكثر من بلد . وتعرض للقتل ثلاث مرات . وأطلق عليه الرصاص بالفعل وهو على خشبة المسرح . ولكن الله سلم .

وإذا كان المشير عامر قد منعه من الغناء فى احتفالات ٢٣ يوليو . فإنه لم يترك المشير فى أزمته مع الزعيم الراحل عبد الناصر ، كان يزوره دائما فى فيلته بالجيزة عندما تحولت الفيلا إلى ترسانة مسلحة أو قشلاق بها قليل من الجنود ، وكثير من الصعايدة الذين حضروا من بلدته اسطال ومعهم أسلحتهم .

وكان مجدى العمروسى ينتظره على باب الفيلا ، وشاهد الرئيس عبد الناصر يدخلها . وكان الرئيس الراحل حريصا على أن يذهب بنفسه لإخراج صديق الشباب ورفيق السلاح ، المشير عامر . قبل أن تهاجم الفيلا . ويحدث مالا تحمد عقباه . وان كان حدث بصورة أو بأخرى بعدها بأيام قليلة .

وعندما شاهد الرئيس الراحل عبد الناصر ، عبد الحليم حافظ نادى عليه وقال له : انت بتعمل إيه هنا ؟! وقال عبد الحليم أبدا يا افندم ، أنا بازور المشير . فقال له عبد الناصر : طيب مع السلامة .. روّح انت . وبقى عبد الناصر واقفا حتى شاهد بنفسه عبد الحليم وهو يركب سيارته ويتحرك بها . ويقول مجدى العمروسى : وفى الطريق شاهدنا الدبابات تملأ الشوارع المحيطة بفيلا المشير ، ودبابات أخرى فى طريقها إليها . وعرفنا أنها نهاية الصداقة الطويلة العريضة التى ربطت بين الزعيم والمشير ، ونهاية سلطة المشير وسلطانه . ونفس الموقف تكرر من عبد الحليم عندما حددت إقامة المرحوم صلاح سالم فى منزله فى وقت من الأوقات . وكان عبد الحليم يزوره دائما . وكان يسهر معه ليالى طويلة ، وكان يسهر معهم د . مصطفى خليل لصلة القرابة والنسب التى تربطه مع المرحوم صلاح سالم .

موعد مع الغناء

وعبد الحليم حافظ كان ينتظر يومين اثنين فى السنة ، وكأنه على موعد غرامى مع ملكة جمال الدنيا ، حفلة ٢٣ يوليو وليلة شم النسيم . وضاعت منه حفلة ٢٣ يوليو بسبب الكلمة التى قالها ، وتساءل فيها ، هل هذا شرف عظيم أو هو مقلب ساخن . وكادت ليلة شم النسيم تضيع من عمره بسبب كلمتين اثنتين ، رفض أن يغنيها . وقال بغضب شديد ، وعناد أشد : أنا ما بغنيش للكلاب !

والحكاية ، إنه فى ليلة شم النسيم فى موسم ١٩٧٦ ، طلب أن يغنى قصيدة قارئة الفنجان ، وقرأ القصيدة ، وأعجب بها ، وحفظها الا كلمتين ، وقفنا فى زوره . وقال لا يمكن أن أغنيها ، وفى القصيدة يقول الشاعر نزار قبانى :

فحبيبة قلبك يا ولدى
نائمة فى قصر مرصود
« وكلاب تحرسها وجنود »

وأصر عبد الحليم على تغيير كلاب الحراسة بكلام آخر . وكان يدور بالتليفون وراء نزار قبانى من بلد إلى بلد ، ومن قارة إلى أخرى ، ونزار قبانى سواح فى بلاد الله وبين خلق الله ، حتى عثر عليه فى جنيف . واستمهله نزار عدة أيام حتى يفتح عليه شيطان الشعر ويغير الكلمتين . ولكن الأيام كانت تمر بسرعة وشم النسيم يقترب ، ويقترب . وطلب من محمد الموجى أن يبدأ فى تلحين باقى الأغنية ، لغاية نزار ما يغير الكلمتين ، وأن الوقت ليس فى صالحهم ، والوقت لم يعد كافيا . وحجز له جناحا فى فندق مينا هاوس ، بعيدا عن البلد وعن الناس . وقال له : يا محمد .. حتى مراتك ، أم أمين ، ما تروحشى اللوكاندة وطلب منى أن أكون رقيبا عتيدا عليه . وألا أتركه حتى يستقر تماما فى الجناح المحجوز له . وأن أحضر له كل ما يطلبه .

ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، بيقولوا كده ! ، ففى أثناء تلحين الموجى للأغنية فى مينا هاوس ، اتحبس صوت الموجى ، فلا يخرج من زوره الا فحيحٌ لا تفهم منه شيئاً . والأيام تمر ، والقلق يزداد ، والتوتر يشتد . وعبد الحليم لا يمكنه ان يسمع من الموجى المقاطع التى انتهى من تلحينها ، ولا واحد منا يعرف ما الذى يريد أن يقوله ، أو يغنيه الموجى بالضبط . مشكلة لم تكن على البال ، ولا على الخاطر .

على جثتى

وفى يوم قال لى عبد الحليم فى عصبية واضحة : يا مجدى اتصل بالمتعهد ، وقل له يلغى الحفلة . مش ح أغنى . وفى محاولة لا متصاص غضبه واحتواء ثورته ، قلت له : لا يمكن يا عبد الحليم . قال وغضبه يسبقه فى محاولة لإيجاد مخرج من هذه الأزمة الحادة طيب تؤجل الحفلة . وأكملت كلامى بكل هدوء : يا عبد الحليم ، احنا اعلنا عن الحفل ، والناس عرفت ومنتظراه فى ليلة شم النسيم . يعنى لسه قدامنا ١٥ يوما ، ولن نلغى الحفلة ، ولن نؤجلها ، وعلى جثتى . وسوف تغنى قارئة الفنجال فى شم النسيم . ونظر إلينا عبد الحليم فى دهشة وقال : خلاص يا سيدى .. يا تخلى الموجى ينطق - وأشار ليه - يا تغنيها أنت ، وشاور علىّ . وتركنا بسرعة ، وحاول الموجى أن يصرخ فيه : « تعالى » يا عبد الحليم . وتحركت أحباله الصوتية ، وظهر الصوت ضعيفا فى البداية ، ولكنه صوت والسلام . وكانت رحلة العذاب وراء عبد الحليم ، وأنا أسحب معى الموجى ، وكان المرض قد هد حيله . حتى وجدناه فى بيت صديقه الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، وجلس الموجى أمامه ممسكا بالعود ، بالعافية ، وسمعه - على ما قسم - الأبيات التى انتهى من تلحينها . وابتسم عبد الحليم . وانتظر مكالمة نزار قبانى التى جاءت متأخرة . وهو يقول فى هدوء يفرس ، يا حبيبى بلاش الكلمتين : وكلاب وجنود ، غنى على طول باقى القصيدة من يدخل حجرتها .. من يطلب يدها .. من يدنو من سور حديقتها .. من حاول ... إلخ . وضحك عبد الحليم ولكن كان الباقى من الزمن ١٤ يوما ليس الا .. وعبد الحليم لا يقنع بأكثر من شهر كامل للبروفات خصوصا فى الأغانى الطويلة ، فاتت جنبنا ، ورسالة من تحت الماء . وكنا نعمل ١٢ ساعة على الأقل فى

اليوم الواحد . حتى جاء يوم الامتحان . وكان القلق والتوتر قد بلغ قمته ، وتجاوزها وفاض . وطلب عبد الحليم من الجمهور أن يكون هادئا ، وأن يكون منصتا ، وأن يتحلى بالصبر . ولكنه فوجىء من أول ظهوره على المسرح بأن الجمهور فيه حاجة مش طبيعية ، وأنه فى آخر المسرح شلة تتعمد الشوشرة ، بالتصفيق ، والصفير بدون مناسبة ، وبشكل يغيظ فعلا ، وأعاد عبد الحليم الفرقة الموسيقية أكثر من مرة ، وانتظر أن تهدأ الشلة وان تعود إلى صفوف الجمهور الهادىء والرزين ، ليبدأ الغناء ، ولكن ولا هم هنا ، زعيق ، وصفير ، وتهريج . وكان الغضب ، وكانت العصبية ، وكانت كلمتان اثنتان : بس بقه ! وقال : أنا أعرف أصفر زيكم كده ! وكان الندم ، والأسف ، فى مواجهة الهجوم الشديد الذى قابله عبد الحليم بكثير من الهدوء وضبط النفس .

ونجحت أغنية قارئة الفنجان نجاحا منقطع النظير ، لم يهاجمها الناس ولا النقاد . هاجموا عبد الحليم فقط . أو انهم استكثروا على هذا الشاب الوديع الرقيق ناحل العود ، المحبوب من الجميع ، أن تخرج منه أى دمعة حزن ، أو أى لمسة غضب . وكانت هذه الأغنية بالذات سلوى عبد الحليم فى آخر أيامه فى مستشفى كنجز كوليج فى لندن . وكلما دخلت عليه الحجرة ٢٢٩ فى الدور الرابع ، رأيته يضع أذنه على الشريط ، والكلمات تخرج منه ضعيفة ، ولكنها واضحة : فطريقك مسدود .. مسدود .. مسدود .. ياولدى . وأخرجت الشريط من الجهاز ، وكسرته أمامه ، وأنا أقول : ايه الهباب اللى جايبه تسمعه ده . ونظر إلىّ عبد الحليم نظرة منكسرة ، لن انساها ما حييت ، وقال فى صوت كان يخرج من أعماقه : ليه عملت كده يا مجدى . دى كانت سلوتى الوحيدة ، هو حد يقدر يهرب من المكتوب .

وحكايات مجدى العمروسى ترسم صورة واضحة بتفاصيلها لشخصية عبد الحليم وعناده الشديد :

دعى عبد الحليم إلى الكويت ، دعته الحكومة الكويتية ليحيى ٤ حفلات بمناسبة استقلال الكويت ، وأنها أصبحت عضوا بالأمم المتحدة ، وقبل الحفل الأوّل ، طلبه وزير الأنباء الكويتى . وربما كان أيامها الشيخ جابر العلى ، وقال له : يا عبد الحليم نحن نحيى أفراح الكويت ، وأرجوك لا داعى للأغانى الوطنية المصرية فى هذه المناسبة . وكانت أغانى عبد الحليم الوطنية فى تلك الأيام ، تسرى بين الناس فى كل البلاد العربية ، سريان اللهب فى الحطب . وهى ظاهرة لم تكن بعض الحكومات العربية ترتاح إليها ، وفى بساطه كان رد عبد الحليم حافظ : والله يا افندم انا لا أفرض رغباتى على الجمهور ، ولا أرفض أغنية يطلبها منى الجمهور . وعندما تُطلب منى أغنية ما أقدرشى أمتنع . ياريت حضرتك تخليهم ما يطلبوش منى الأغانى الوطنية ، فى ذلك الوقت كان الشعب العربى كله يغنى مع عبد الحليم أغنية : بالأحضان ، ولكن المشكلة لم تكن فى الجمهور ، المشكلة كانت فى عبد الحليم وفى شدة الخبث التى يتحلى بها ، عندما يريد من الجمهور أن يصر على طلبه لأغنية معينة ، فكان يدعى أنه لم يسمع الطلب ، ولم يفهم المقصود ، وكان يضع أصابعه وراء أذنه ويقول : ايه ! فيعيد الجمهور النداء . فعل هذا فى الحفلة الأولى ، وفعلها فى الحفلة الثانية . وفى الحفلة الثالثة تكرر نفس المشهد . أما فى اليوم الرابع فإن المطالبة أصبحت نداء موحدا ، وكان الحفل الرسمى الذى يحضره أمير البلاد ، وكل أعضاء الحكومة ، ووزير الإعلام الذى طلب منه ألا يغنى الأغانى الوطنية ، والحفل منقول بالاذاعة وبالتليفزيون وعلى الهواء مباشرة . واستمر الهتاف : بالأحضان .. بالأحضان . وعبد الحليم يضع أصابعه وراء أذنه ... وإيه ! وأصبحت المطالبة هتافاً

منظما ، وتصفيقا بالأيدى ، وضربا بالأقدام على الأرض ، وحول عبد الحليم عينيه إلى وزير الإعلام ، ومد يديه وقلبهما ظهرا وبطنا ، وكأنه يقول : أعمل إيه ؟! والتفت إلى الموسيقيين وهو يقول وابتسامته البريئة تعلو وجهه : بالاحضان . وتردد قائد الفرقة احمد فؤاد حسن ، وارتبكت الفرقة الموسيقية . وإذا بعبد الحليم يأمرهم بصوت عال : بالأحضان . ويشير إليهم اشارة البدء . وعزفت الموسيقى ، واندفع رجال الإذاعة والتليفزيون إلى الوزير يسألونه : نقطع الارسال ؟ ويطلب منهم الوزير ان يبقى الحال على ما هو عليه . ولكنها كانت آخر مرة يزور فيها عبد الحليم الكويت . أو يُدعى اليها .

بالعند فى إسرائيل

وعبد الحليم شديد العناد . وبالعند فى اسرائيل كاد أن يقتل فى سنة ١٩٥٧ . وكان العدوان وكان العداء وكان الغضب . وطلبت الملكة دينا . عندما كانت ملكة على الأردن تنظيم حفلة لصالح الفلسطينيين فى قاعة ألبرت أو البرت هول فى لندن ، والمسرح يتسع لثمانية آلاف متفرج – وعندما وصلنا فندق كارلتون وجدنا كمية هائلة من الخطابات فى انتظارنا . وفتحناها وكانت المفاجأة . كانت معظمها خطابات تهديد بالقتل موجهة لعبد الحليم ، اذا هو أحيا حفل البرت هول . كما تلقينا عددا من المكالمات التليفونية تعلن بصراحة أن عبد الحليم سوف يقتل اذا هو غنى أية أغنية وطنية تمس اسرائيل . ونصحنا عبد الحليم بأن يبلغ البوليس الانجليزى أولا ، وأن يحذف من برنامجه أغنية « المسيح » التى أعد نفسه ، والفرقة الموسيقية لغنائها فى القاعة . ولكنه بالعند فى كل خطابات التهديد والمكالمات التليفونية التى تنذره بالقتل رفض الأمرين معا . فذهبت مع جلال معوض إلى الشرطة . ولأول وآخر مرة ، كان البوليس

الانجليزى يفتش الداخلين على أبواب المسرح . بعد أن اقتنعوا بجدية التهديد . وفعلا قبضوا على شخص كان يخفى فى ملابسه مسدسا مزودا بكاتم للصوت . وسحبوا منه السلاح ، ومنعوه من الدخول ، وعرفنا بعد ذلك أنه اسرائيلى الجنسية . وغنى عبد الحليم أغنية عاطفية . ثم طلب من الملحن على إسماعيل أن يقود الفرقة عند عزف أغنية المسيح ، وكانت من توزيعه ، وألحان بليغ حمدى وكلمات الأبنودى . ونسى عبد الحليم عبارات التهديد التى قرأها وسمعها . واندمج فى الغناء ، حتى نهاية الأغنية وعندئذ انفجر الجمهور بالهتاف والتصفيق ، وطلب إعادة الأغنية من الأول ، واعادها عبد الحليم كاملة ، فكانت ثانى أغنية تغنى مرتين كاملتين فى حفلة واحدة فى لندن والأولى كانت السد العالى فى أسوان .

يقوصوك يا أخى

أما الرصاصة التى أطلقت على عبد الحليم وهو على المسرح ، فكانت فى لبنان . فى بلدة اسمها علىّ ، ويمكنك أن تكتبها على كيفك ، ولكن أرجوك أن تنطقها كما ينطقها اخواننا اللبنانيون بكسر العين ، وفتح اللام ، وتشديد الياء .

والاخوة فى لبنان على درجة هائلة من العصبية والعنف يقوصوك يا أخى ، يعنى يضربوك بالرصاص ، وعندما ظهر عبد الحليم حافظ على خشبة المسرح عندهم لم يكتفوا بالتصفيق والهتاف ، ولكن باطلاق الرصاص أيضا ، وكان الظن أن الرصاص يطلق فى الهواء للابتهاج والفرح . ولكنهم عندما طلبوا أن يغنى عبد الحليم انقسموا على انفسهم ، بعضهم طلب أغنية صورة ، وجزء منهم قالوا : مش عايزين صورة ، ولكن عبد الحليم حافظ كبرت فى دماغه ، وطلب من الفرقة عزف موسيقى أغنية صورة ، ومع النغمات الأولى للأغنية بدأ الجمهور يقذف أعضاء

الفرقة بالزجاجات الفارغة والممتلئة ، حتى أن واحدة أصابت قدم قائد الفرقة احمد فؤاد حسن وترك القانون وجرى ، وغضب عبد الحليم وشخط فيه بقوة وبقسوة حتى عاد إلى مكانه مع القانون وفى حمايته . واشتد اطلاق الرصاص حتى أن واحدا من الحراس وكان يقف قريبا من عبد الحليم اصابته رصاصة فى كتفه . وكانت أغنية صورة تغنى فى ٤٥ دقيقة ، فغناها عبد الحليم فى ساعة ونصف الا خمس دقائق . واستمر التصفيق بعد انتهائها ٧ دقائق كاملة .

● ● ●

وكانت المرة الثالثة التى تعرض فيها عبد الحليم حافظ للموت فى المغرب . كان يومها فى مبنى تليفزيون الرباط . وقامت الثورة ، أو الهوجة التى انتشرت فى العاصمة المغربية بسرعة وانطفأت بسرعة . ولكنها خلفت عددا من القتلى وبعض مظاهر الدمار . وكان من الممكن أن يكون عبد الحليم حافظ واحدا من الضحايا ، أمسك به الثوار ، أسروه ، وحبسوه فى حجرة صغيرة مظلمة رطبة وكان معه موسيقى مغربى أعمى . وكان صوت الرصاص والانفجارات يدوى فى أذنيه قريبا من الحجرة ، وظن عبد الحليم حافظ أنه من الهالكين . وان الموت على باب هذه الحجرة الصغيرة الضيقة . وقرأ الفاتحة .. ونطق بالشهادتين .



وفى المغرب كان عبد الحليم يغنى وهو يرتدى العباءة المغربية .

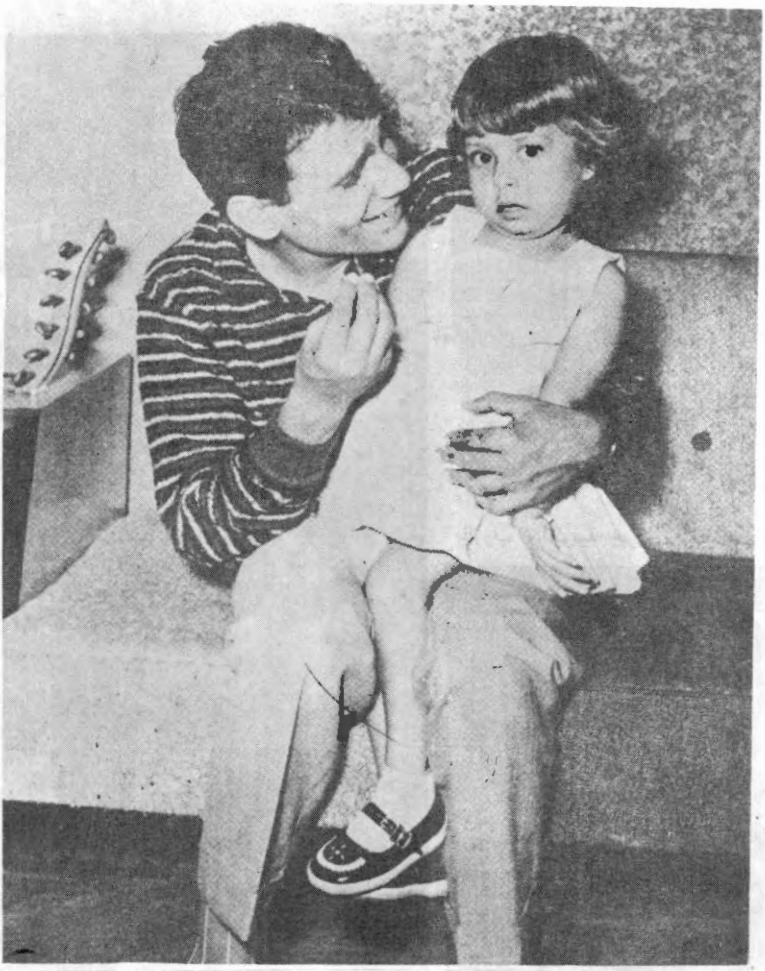


نظرة للمجهول



بالروب والكوفية يجرى بروفة أغنية جديدة .





عبد الحليم مع الأطفال ، حب وود وتفاهم

سفيرا فوق العادة !

من حوالى ٤٠ سنة ، كنا ندرس الفلسفة فى كلية الآداب بجامعة عين شمس . وطلبت من زميلى عيسى بوضياف أن يذكر لى أغنية جزائرية . وكان زميلى جزائريا . وكان قريبا للرئيس الجزائرى الراحل بوضياف . وكانت الجزائر مشغولة بحرب التحرير . وباختطاف زعمائها الخمسة ، وعلى رأسهم بن بيلا ، وبوضياف محمد . هكذا كانوا يسمونه ، على الطريقة الفرنسية .. واختفى بوضياف عيسى عدة أيام . ونسيت الحكاية . ولكنه عاد ليقول لى : وجدت لك أغنية جزائرية . وفى خجل بدأ يغنى ، يهمس فى أذنى بالأغنية . وكانت ألحانها بدوية جبلية ، ولكنها بسيطة سهلة ، وكلماتها أيضا وتقول :

تحت الياسمينة فى الليل
نسمة والبدر محاذيها

ويومها خرجت بانطباع عن الشعب الجزائرى ، انه عنيف صارم ، جاد ، جاف ، وأنه لا يغنى . وطبعا لم أسأل صديقى عن آخر نكتة جزائرية . فالشعب الذى لا يجد وقتا للغناء ، لا يضحك للنكتة . وعندما قال لى مجدى العمرسى ، إنهم فى الجزائر أطلقوا نكتة على عبد الحليم حافظ وكانوا يضحكون منها ، اندهشت ! قالوا عنه ، المشير عبد الحليم عامر ، وكان عبد الحليم يخرج الى شوارع الجزائر فى موكب تسبقه الموتوسيكلات . وعلى الجانبين آلاف المعجبين يتزاحمون حول سيارته . وعندما يطبقون على السيارة ، يكتشفون أن بداخلها السائق وحده ، أما عبد الحليم فهو يدخل إلى مكان الاحتفال فى سيارة الرئيس الجزائرى بن بيلا .

الزعيم والمطرب

وفى دمشق ، حمل الناس سيارتين على الأكتاف ، سيارة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وسيارة المطرب الراحل عبد الحليم حافظ . وفى كل مكان فى العالم العربى كان الحب ، وكانت الحرارة الصادقة التى تشع من قلوب الملايين تحيط به . وزار كل البلاد العربية ، وغنى فى بيروت وفى دمشق وحلب ، ودبى والبحرين والكويت . وزار السودان فى الجنوب ، وصعد الى شمال أفريقيا ، إلى ليبيا . وغنى فى الجزائر فى ملعب لكرة القدم ، به ٨٠ ألف مستمع . ولم يترك مدينة فى تونس إلا غنى فيها .

وسافر إلى لندن وباريس . وعبر المحيط إلى امريكا . الا بلدا عربيا واحدا لم يسافر اليه . ولم توجه اليه الدعوة لزيارته .. المغرب . وكانت علامات الاستفهام ترسم على وجهه الدهشة وتملأ نفسه بالحيرة . ويظل المغرب قريبا من قلبه ، بعيدا عن عينيه وطال انتظاره ، ولم يطلب منه متعهد للحفلات أن يحيى حفلا بالمغرب ، ولا طلب منه موزع للأفلام أن

يحضر حفل العرض الأول لواحد من أفلامه . وهز المحيطون بعبد الحليم رءوسهم فى ذكاء - وبعض الذكاء يثير الرثاء - وقالوا : ياعبد الحليم انت مش عارف أن المغرب مقفول على فريد الأطرش ، وأفلام فريد الأطرش ، وصوت فريد الأطرش . والجمهور المغربى لا يحب إلا فريد الأطرش . ولم يقتنع عبد الحليم . وكان رده المنطقى . أن كل بلاد الشمال الافريقى ، تحب فريد الاطرش . وتعشق أغانيه وتحب عبد الحليم ، وتعشق أغانيه . ولابد أن فى الأمر سرا ، شىء لا نعرفه ، يقف حاجزا بين صوتى وصورتى وبين الناس . وطلب من مجدى العمرسى أن يسافر إلى المغرب ، وقال له وبريق العناد والذكاء يشع من عينيه : لازم تسافر المغرب ، وتشوف إيه الحكاية ! يامجدى أنا رحت المغرب فى حياتى مرة واحدة ، وهى مرة لا تحسب ، وكنت مع جمال عبد الناصر وغنيت هناك . ولم أشعر بأن الناس تكرهنى ، أو أن احدا منهم ضدى أو أن أغانىَّ تقيلة على قلبهم .

أوامر عليا

وتطول الذكريات من حكاية لحكايات . ويقول مجدى العمروسى : لم يكن ينتظرنى فى المغرب مفاجأة واحدة . بل عدة مفاجئات .. عبد الحليم حافظ الذى كانت صورته وصوته وصيته فى كل مكان فى العالم العربى . لم يكن له ذكر فى المملكة المغربية كلها . لاسينما ، ولا تليفزيون ولا راديو ، ولا كاسيت ، ولا اسطوانة ، ولا حاجة ابدا ، ولمدة ٧ سنوات لم تظهر فى المغرب صورة لعبد الحليم ، ولا سمع الناس صوته . وبلغة الإعلام ، كان هناك تعتيم تام على فن عبد الحليم ، وغناء عبد الحليم ، وسألت : إيه الحكاية ياناس ؟! قالوا إنها أوامر عليا ، وفهمت أن هذه الجهات العليا ، هى الملك بنفسه ، وسألت ، واستفسرت من المسئولين ، والموزعين ، ومن

تجار الاسطوانات والكاسيت . وهمسوا فى أذنى : المنع صادر من الملك شخصيا ، ولا أحد يعرف السبب . شخصية مغربية واحدة همست فى أذنى بالحقيقة الكاملة وراء غضب الملك من عبد الحليم قال فى حذر شديد إن أحد المقربين من القصر الملكى أبلغ الملك الحسن ، أن عبد الحليم حافظ يكره المغرب ، ويحب الجزائر وأنه غنى أغنية يناصر فيها ثورة الجزائر ضد المغرب ، ولم يكن الملك قد سمع الأغنية ، ولكنه صدق الرجل المهم ، والقريب من القصر . وكانت شخصية رسمية وفنية فى نفس الوقت والغريب فى الأمر أن هذا الرجل عاش فى مصر وتعلم فى مصر والحق يقال ، أحب مصر ، وأحب المصريين ، وكان الأستاذ البيضاوى - الذى همس لى بهذا السر - يشغل منصبا مهما فى الاذاعة المغربية فى ذلك الوقت .

وقلت له : يا أستاذ بيضاوى الكلام كله كذب ، من أوله لآخره ، ولم يحدث ، والاغنية الوحيدة التى غناها عبد الحليم حافظ للجزائر هى اغنية « قضبان كتير اتكسرت » وفى مناسبة الافراج عن الزعماء الخمسة الجزائريين وكانوا معتقلين فى سجون فرنسا . ويمكن للملك أن يسمع الاغنية ، ليعرف هذه الحقيقة . وقد صدقنى الأستاذ البيضاوى ولكنه اقترح على أن أسافر إلى القاهرة ، وأن احكى لعبد الحليم ، وأن أنصحه بأن يكتب خطابا شخصيا منه إلى الملك مباشرة ، ويقول له الحكاية والرواية . وقال الاستاذ البيضاوى إنه سوف يحضر الى القاهرة بعد اسبوع واحد ، وإنه مستعد لحمل هذه الرسالة ، وتسليمها إلى جلالة الملك فى المغرب . وفرحت بهذا الحل . وسألته فى لهفة شديدة : صحيح تقدر توصل الجواب للملك شخصيا ؟ قال : وفى يده شخصيا .

خطاب للملك

وفى القاهرة ، جلس عبد الحليم حافظ إلى مكتبه ، والرجاء فى عينيه ليكتب أول رسالة منه إلى الملك الحسن الثانى عاهل المغرب ، انقلها لكم بقلم عبد الحليم حافظ ، وبأخطائه الاملائية والنحوية : « ساءنى ما بلغ مولانا المعظم من قول فى شأنى يتهمنى باتهامات غير حقيقية . وأنا مستعد أن أحضر إلى المغرب التى اعتبرها بلدى الثانى لأن المصرى والمغربى شخص واحد . وان أرد على هذه الاتهامات بالدليل القاطع ، فان لم استطع تبرئة ساحتى . فإننى اطلب من جلالتكم محاكمتى كأى مغربى . والحكم علىّ بما تراه . ولو كان ما تراه - جلالتكم - هو الأمر بمنع أفلامى ودخول أغانىّ إلى المغرب بصورة نهائية . وأنا لا يجوز لى وأنا لم أدرس أو أعرف شىء عن قضية الجزائر أن أناصر أحدها على الآخر . ولو كنت درست قضية الجزائر . واقتنعت أنها على حق . لما كانت هناك قوة على الأرض تجعلنى أكتب هذا الخطاب الذى أرجو أن يصل إلى يد جلالتكم » .

امضاء عبد الحليم حافظ



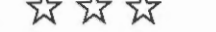
ودارت الأيام ، ومرت الأيام . وإذا بمدير الاذاعة المغربية ، وهو فى نفس الوقت وكيل وزارة الاعلام المغربية . يحضر إلى القاهرة ، لدعوة عبد الحليم لزيارة المغرب ، وللغناء فى عيد ميلاد الملك الحسن . وبسرعة ، طلب عبد الحليم ، الشاعر الغنائى مرسى جميل عزيز فى الزقازيق بالتليفون . وقال له : عايزين يا جميل اغنية بهذه المناسبة السعيدة . يلحنها بليغ حمدى . وأضاف عبارة لفتت نظرى : وما تنساش يا مرسى اللى احنا متفقين عليه ! وسألته وعرفت المعنى وراء هذه العبارة ، ان أى

أغنية يطلبها ليغنيها فى أى مناسبة وطنية خارج مصر ، أو لأى شخصية رسمية غير جمال عبد الناصر لابد أن يكون فيها المعانى التى تنبه أو تشير الى الانتماء العربى ، ووحدة الصف العربى . وكان يسمى الكوبليه الذى يتضمن هذا المعنى ، كوبليه « المشاغبة » . واندفعت أنا وبليغ فى صوت واحد : يا عبد الحليم أنت ممنوع من دخول المغرب أنت وأغانيك وأفلامك ٧ سنوات . ما فيش داعى للمشاغبة من أول زيارة . ورد عبد الحليم : يعنى إيه يا جماعة .. لازم أقول ان المغرب عربية وانها لازم تمشى فى الصف العربى . والملك الحسن اسندت اليه فى مؤتمر الرباط شئون مدينة القدس . هل نسيتم الحريق الذى تم فى القدس ؟ لازم نقول الكلام ده ، أمال احنا رايحين ليه ؟! وكان مطلع الأغنية :

الماء والخضرة والوجه الحسن
عرائس تختال فى عيد الحسن

أما الكوبليه السياسى فيقول فيه مرسى جميل عزيز :

يا الحسن يا عربى
يا نفحة من بيت النبى
القدس صاحية فى الظلام
تحلم بأجراس الكنايس ، بالأذان
تحلم بأبطال العرب شابكة الأيادى
..... إلخ



وفى المغرب كانت السيارات فى انتظارنا بالمطار ومن الدار البيضاء إلى الرباط مباشرة . ووصلنا قبل عيد الميلاد الملكى بليلتين . وفى الليلة التالية قالوا ، سوف يقابلكم الملك ، استعدوا ، وفى الموعد المحدد ، أدخلونا قاعة كبيرة فى القصر الملكى على الطراز العربى . منتهى الروعة ، منتهى

الفخامة والعظمة والأبهة . وانتظرنا دخول جلالة الملك . وبعد لحظات قليلة ، انتبهنا على نداء منظم ، منغم ، كل حجاب الملك ، ورجال الحرس والحاشية ارتفعت أصواتهم بهذا النداء الجميل : بارك الله فى عمر سيدنا . ووقفنا جميعا . وظهر على باب القاعة صاحب الجلالة الملك الحسن . وفى بلاد كثيرة يهتفون للملك ، فى انجلترا يقولون : حفظ الله الملك ، وعندنا فى مصر كان نشيد طلبة الكلية الحربية الملكية قبل الثورة ، حفظ الله الملك .. ورعى الله حماه . وفى السعودية يهتفون : أطال الله عمر الملك ، ويدعونه ، طويل العمر .

وانكشف السر

واعجب الملك الحسن بأغنية عيد الميلاد . وذاعت الأغنية بين الناس وشاعت . وكان من التقاليد المغربية ان من يزور المغرب بدعوة من الملك لا يغادرها الا بإذن خاص من صاحب الجلالة . وطلبنا الإذن . وانتظرنا . وطال الانتظار . واستمهل الملك عبد الحليم حافظ .

قال انه يرغب فى مقابلته . وحان الوقت ، وطلبه الملك . وقابله عبد الحليم بمفرده . وكانت المقابلة طويلة نوعا . وعندما خرج إلينا عبد الحليم بدا على وجهه مزيج غريب من مشاعر مختلفة متباينة . كان يتزاحم على وجهه أعجب كوكتيل من المشاعر يمكن أن تراه على وجه انسان مرة واحدة ، كانت السعادة تختلط بالدهشة ، والغضب يمتزج بالأسى . وحكى عبد الحليم حكاية منعه من زيارة المغرب ، ومقاطعة أفلامه وأغانيه . كما حكاها له الملك . نفس الحكاية . واحد من الفنانين المغاربة وشى به عند الملك . قال له ان عبد الحليم غنى اغنية هاجم فيها المغرب ، والمغاربة . وعندما تسلم الملك خطاب عبد الحليم طلب الاستماع

إلى الأغنية . واستمع اليها فعلا ، ووجد أنها لا دخل لها اطلاقا بحرب المغرب ، أو الخلاف بين المغرب والجزائر . وقال الملك لعبد الحليم انه أعجب بكلامه فى الخطاب . وخصوصا الفقرة التى يقول فيها انه لو كان يعرف قضية الجزائر ومقتنع بها . لما سمح لنفسه بكتابة الخطاب . وبسبب هذه الفقرة دعاه الملك لزيارة المغرب .

وانتهز عبد الحليم الفرصة وأنه فى المغرب ، واستخدم ذكاءه واتصالاته القوية . وحب الناس له ، واستقرار العلاقة بينه وبين الملك . واستطاع أن يعرف السر الذى حجبه عن الجمهور العريض فى البلد الشقيق . واحد من المطربين المغاربة ، سرق الحان بعض أغانى عبد الحليم . وقام بتركيب كلمات مغربية على اللحن . وراجت الألحان المسروقة . ووجدت الأغانى آذانا صاغية ، فهى من تأليف كبار الملحنين وكانت أغانى سواح ، وعلى حسب دواد قلبى ، وجانا الهوى .. وحتى لا ينكشف أمره أمام الناس . أطلق الإشاعة . وطلب عبد الحليم كل الأغانى المسروقة من مصر . وأسمعها للملك . وأذيعت فى الراديو وفى التليفزيون المغربى . وكانت فضيحة .

السفير الفنى

وكانت وزارة الأنباء المغربية تتولى تنظيم الاحتفالات التى تقام كل سنة . وطلب الملك من عبد الحليم حافظ أن يتولى هذه الأمور . قال له أنا اطلب منك بصفة رسمية أن تكون سفيرا للمغرب فى العالم العربى . سفيرا فنيا . وأن تتولى اقامة الاحتفالات فى عيد الشباب ، وعيد الجلوس الملكى ، وأعياد ميلاد الأسرة المالكة .. وسوف تكون مسئولا أمام الديوان الملكى مباشرة . أما تكاليف الاحتفالات فسوف تصرف من الآن من مخصصات الملك وليس من أموال الدولة .

وشاهد عبد الحليم حافظ كل الأحداث والحوادث التى وقعت بالمغرب ، ومنها محاولات الانقلاب الفاشلة . حتى أن أحد المقربين من الملك قال لعبد الحليم أمام الملك الحسن . وكنا جميعا معه نسمع كلامه كطلقات الرصاص التى سمعناها فى محاولات الانقلاب الفاشلة : والله يا أخ عبد الحليم أنت قدومك للمغرب ، ما هو زين بالنسبة لسيدنا . ورد عليه الملك بسرعة وبغضب : ليه بتقول كده ؟! فقال : لأن كل مرة يزورنا عبد الحليم يقع انقلاب يهدد حياة سيدنا . ورد الملك بهدوء فى هذه المرة : ولماذا لا تقول ان كل مرة يأتى فيها عبد الحليم للمغرب ، ربنا ينجينى من حادث انقلاب خطير .

● ● ●

كانت العلاقة بين الملك الحسن وعبد الحليم حافظ تأخذ شكل الصداقة القوية المتينة . حتى أن الملك كان يسير مع عبد الحليم فى أروقة القصر ، وفى حدائقه ، وهو يضع يده على كتفه أو فى ذراعه . ويتبادلان الأحاديث الودية التى لاتدور الا بين الأصدقاء القدامى . وفى مرة طلب الملك الحسن أن يفتح دولاب ملابسه . واختار لعبد الحليم واحدة من البدل الكثيرة الأنيقة التى تم تفصيلها خصيصا للملك . وطلب أن يلبسها أثناء غنائه بالمغرب . وأسعد هذا الطلب عبد الحليم عندما أنعم عليه بالبدلة وكان عبد الحليم فى قمة سعادته وهو يلبس بدلة الملك الحسن وبسبب هذه الصداقة القوية المتينة تعرض عبد الحليم للموت أكثر من مرة .



وزار عبد الحليم معظم بلاد العالم ، الا المغرب !



الحنين إلى العزف حتى ولو كان على الدف

أول مرة تحب يا قلبى ..

عبد الحليم حافظ ضحك علينا كلنا ، وهو يغنى أغانيه العاطفية . ولمدة ٢٥ سنة . أقنعنا بأنه يغنى كل هذه الأغانى من قلبه . من أعماق قلبه . وكان هذا هو الجانب الصحيح فى الحكاية . واقنعنا بأنه يغنى لنا . وصدقناه . واستمعنا إلى أغانيه . واستمتعنا بها . وحفظناها كلاما ولحنا . ورددناها معه . وفى غيابه . ثم ظهرت الحقيقة بعد كل هذه السنوات . كان عبد الحليم طوال ربع قرن من الزمن عاشه مطربا ، يغنى لفتاة واحدة ، قامتها هيفاء ، عيونها خضراء ، جمالها لا يقاوم ، أحبها من أول نظرة ، ولم يحب غيرها ، والأهم من كل هذا أنه لم يغن لغيرها أبدا . ولا لواحد ولا لواحدة من المستمعين والمستمعات . وكانت كل أغانى عبد الحليم تناديها ، وتناجيها ، وتحلف بحياتها ، وسحرها ، وحبه العظيم والدائم لها وحدها . واسألوا مجدى العمروسى !

وسوف يحكى لكم عن الليالى التى ظل فيها عبد الحليم ساهرا لوش الصبح ، ليالى طويلة يحكى له فيها عن العيون . كل المحبين والشعراء قالوا فى العيون . من أول الشاعر العربى القديم جرير . عندما قال :

ان العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ، ثم لم يحيين قتلانا

وحتى الشاعر العربى الحديث كامل الشناوى وهو يقول :

عيناك ، عيناك نامت فى جفونهما
مفاتن أيقظت روحى وأعصابى

ولكن كامل الشناوى استيقظ من حبه للعيون بسرعة ، وكان يسهر كل ليلة فى فندق هيلتون . عندما شاهد أجمل عيون فى الكون . ويظل طول الليل واجما ، لا يفتح عليه الله بكلمة واحدة . أو أنه كان حريصا على أن يضع كل مشاعره فى نظرة طويلة حتى لا يشغله عن العيون وجمالها شاغل . حتى سقطت من صاحبة العيون جملة واحدة نسفت اعجابه وهيامه بها . وكامل الشناوى صاحب عبارة رشيقة أنيقة عندما يريد . وهو أيضا صاحب العبارات اللاذعة اللاسعة . قال لها فجأة : يا مدموازيل .. عينيك بتوجعنى ! وانهدم المعبد عليها وعلى عينيها وعلى الفندق الذى كانت تعمل به ساقيه - باللغة العربية - أو جرسونة ، بالعامية ، عندما قالت : قصدك عينى أنا يا كامل بك هى اللى بتوجعنى . وانتهى الاعجاب الشديد والهيام العميق . أما عبد الحليم حافظ ، فكان سعيد الحظ - فى الحب طبعا - وكانت معبودته تتمتع بجمال الكسم والرسم ، والعقل ، وكانت أول مرة يشعر فيها عبد الحليم بالحب وآخر مرة . أو كما قال : أول مرة تحب يا قلبى . وأول يوم انتهى . وإذا كانت الشطرة الأولى قد

تحققت فإن الشطرة الثانية تحولت إلى مأساة تنافس حكايات روميو وجوليت وقيس وليلى . وحسن ونعيمة .

ألف سؤال وسؤال

وعبد الحليم حافظ .. فنان صنعه الحب والحزن . كل الذين صادقهم وصادفهم عبد الحليم أحبوه . وكان الحزن الذى يشيع فى وجهه ، ويشع من عينيه يجذب إليه قلوب الناس .. كل الناس .. وعلى الخصوص الجنس الناعم وعندما كتبت عن حكاية حب عبد الحليم ، الوحيدة واليتيمة . واجهت ألف سؤال وسؤال ، بالقول والكتابة ، بالقلم وبالتليفون : اسمها ، ورسمها ، وحياتها ، وعائلتها وظروفها . ومع عظيم الاحترام للأقلام التى كتبت ، والمكالمات التى سألت ، أحكى لكم حكايتها ، كما سمعتها من صديق عمره ، ورفيق حياته ، مجدى العمروسى وأنا أصدق الرجلين معا . مجدى العمروسى عندما يتكلم ، وعبد الحليم حافظ عندما يغنى .

والحكاية لم يستطع أن يكتمها عبد الحليم فى صدره . رواها لنا من سنوات بالكلمة وباللحن . من أول يوم شاهد فيها حبه الوحيد فى الأسانسير فى عمارة بالاسكندرية . رآها صدفة ، وتبعها إلى بلاج عايده ، برضه صدفة ، ولازمه حبها حتى آخر دقة فى قلبه ، وآخر نفس فى حياته ، ولا يهمنا ما قاله أهل هذه السيدة عندما سمعوا أن عبد الحليم يحب ابنتهم . ولا يعنى القارئ فى شىء ، ما الذى فعلته امها ، وكيف انفعل أبوها . وما هو رد فعل زوجها . نعم .. كانت متزوجة ، ولكن عبد الحليم لم يعرف الصورة كاملة الا بعد أن أصبح غرقانا لشوشته فى حبها . مولعاً ، ومتيما ، وكانت صاحبة جمال نادر ، وعيون خضراء واسمحوا لى ان استعمل هنا الفعل الماضى ، كانت ، لأنها ماتت ، قبل عبد الحليم .

وقبل أن تنتقل إلى الرفيق الأعلى طمأنها عبد الحليم فى واحدة من أغانيه ، قال لها إن هذا الحب سيظل فى قلبه وحده ولن ينتقل إلى لسانه . لن يشير إليها ولن يذكر اسمها . وكانت من عائلة كبيرة من الزقازيق ولها تقاليدها وأصولها . وعيب كبير أن يعرف الناس حتى لو كان الحب طاهرا وبريئا :

لا تخافى واهدئى يا صغيرتى
لا تبالى اننى يا حبيبتى
أخفى هواك عن العيون
فكيف منى يعرفون

☆ ☆ ☆

صغيرتى أنا لم أقل شيئا
لن أقول
وأبدا .. أبدا لن أقول

☆ ☆ ☆

وكلنا نعرف الأغنية ، وكلنا نحب عبد الحليم . ونحرص على أن ينام هادئا ، هانئا . عملها غيرنا . وأذاع سر عمه ، أكبر مفكرى عصره حجما ووزنا ، العظيم عباس محمود العقاد . وعندما نشر ابن أخيه أول كتبه « غراميات العقاد » اعلن اسم السيدة التى أحبها الأستاذ ، وسهر منها الليالى . وداخ وراءها ، ودوخ صديقه وتلميذه الأديب طاهر الطناحى . وسجل هذه الدوخة فى قصة رائعة ممتعة ، وضع لها هذا الاسم الكودى ، أو الحركى « سارة » . وحكى سيرتها ، ولكنه لم يعلن اسمها . ومات العقاد . وقبل أن تمر ذكرى الأربعين كان اسم السيدة التى عاشت بقية أيامها فى فرنسا ، على كل لسان فى البلاد العربية . ولكننا نحب عبد الحليم ونحترم ذكراه .

وكل الأغانى التى سمعناها من عبد الحليم كانت لها . كان يغمض عينيه ويتخيلها أمامه وحدها . وكان يذوب عشقا وصبابة وهو يغنى : باحلم بيك . وقولوا له الحقيقة ، أبو عيون جريئة . وبتلومونى ليه ، لو شفتم عينيه . ولاحظ هنا أن عبد الحليم كان يغنى كثيرا للعيون ، وجمال العيون . وعندما بدأ الحب يدير له وجهه العابس . وعرف أنه لا أمل فى هذا الحب . غنى عبد الحليم : كان فيه زمان قلبين . وبعد ايه ؟ وفوق الشوك . وظلموه ، وجبت الطبيب يداوى . سألنى الجرح فين ؟ يامفرقين الشموع ، قلبى نصيبه فين ؟! وعندما اختطف الموت حبيبته كانت الصدمة الكبرى . ولوّن الألم العميق والحزن القاتل أغانيه . غنى فى لوعة وفى حرقة :

فى يوم فى شهر فى سنة
تهدا الجراح وتنام
وعمر جرحى أنا
أطول من الأيام
وداع يادنيا الهنا
وداع يا حب يا أحلام



ويمكنك أن تسمع هذه الأغانى من الآن على ضوء هذا التفسير . وبهذا المعنى الجديد . وتترحم عليه وعليها . ولكن جرح عبد الحليم لم يهدأ ولم ينم . ظل مفتوحا ينزف دائما ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . عرف عبد الحليم حقيقة مرضه ، وأنه لاشفاء له منه . وأنه فى حالة ضعف دائم ، وانتظار مستمر للحظاته الأخيرة . وكان يغنى . وكان يحاول أن يبتسم ، وكان يشرح حقيقة مرضه لأى سيدة تحاول أن تقترب منه ، كان يقول لها فى صراحة تامة ، إنه قدر له ألا يكون أبا أو زوجا فى يوم من الأيام .

ولكن الحب كان يزداد . وكان يأخذ شكلا آخر . كانت كل سيدة تعتبر عبد الحليم ابنا لها . تحاول أن تتبناه . كانت عاطفة الأمومة هى الغالبة .

حكاية من السويد

ويقول مجدى العمروسى : رأيت بنفسى فتاة سويدية ، صغيرة السن أصغر من عبد الحليم بكثير ، جميلة الملامح . وكانت تعامل عبد الحليم ، وكأنه ابنها ، كل مظاهر الأمومة كانت تمنحها لعبد الحليم . وأثار تصرفها فى نفسى تساؤلات كثيرة . ودهشت . وسألتها عن حقيقة مشاعرها تجاه هذا الفتى النحيل الحزين . وقالت لى : أنا لا أحب عبد الحليم حب المرأة للرجل . صدقنى اننى اخاف عليه ، وكأننى امه والمسئولة عنه . أحب أن أضع رأسه على كتفى ، واتمنى لو بكى عليه . وأتمنى أن أطعمه بيدى ، وأشعر بعد ذلك براحة تامة . وأعرف أنه احساس غريب . ولكنه احساس مريح ، ولا أعرف له سببا .

أما عبد الحليم فكان منتبها وكان حريصا فى كلامه مع النساء ، كان يختار كلماته بعناية ، كما يختار كلمات أغانيه بحرص شديد . يبتعد عن الكلمة التى تحمل أكثر من معنى ، يتجنب العبارات التى يمكن تفسيرها على أنها غزل أو حب . لم تسمع منه فتاة أو سيدة وعدا بالزواج أو البيت السعيد أو الأولاد .. أبدا . كان يساير ويجامل فقط ، وأضع تحت كلمة فقط هذه كثيرا من الخطوط .



وحكاية ثانية ، بطلتها سيدة سورية . وكانت متزوجة ، ومقيمة فى بيروت . وزوجها مشهور . هذه السيدة أحبت عبد الحليم حبا قويا قاهرا جبارا كما وصفه فى واحدة من أغانيه طبعا سمعتها . واذا استعدت الأغنية ولو فى ذاكرتك فسوف تعرف بعض خيوط الحكاية ، وبعض ملامحها .

وقالت السيدة لعبد الحليم : بصراحة أنا باحبك ، ولا يمكننى البعد عنك ، لابد أن نتزوج . سوف أطلق من زوجى . وأحضر الى القاهرة لأتزوجك ، وكانت اسلاك التليفون تهتز من القاهرة الى بيروت عندما يمسك عبد الحليم سماعة التليفون ، ويرد عليها فى غضب شديد : مش ممكن .. مش حيحصل ابدا . وإذا حصل لن تشاهدى وجهى ولا فى السينما ، ولن تسمعى صوتى ولا فى الراديو . ياست اعملى معروف ، أنا لا أصلح للزواج . ولكنها لم تصدقه ، وطلبت الطلاق من زوجها . وحضرت إلى القاهرة ، وحاول مجدى العمروسى اقناعها . أبدا مفيش فايده ، وألح عليها عبد الحليم أن تعود إلى زوجها ، الى أولادها . وزاد الالحاح ، وطال الرفض . وكانت حكاية . حتى عادت السيدة إلى بلدها وبيتها .

تفصيل الأغانى

ويظل حب عبد الحليم الوحيد لفتاة الاسكندرية . وحتى هذا الحب لم يأخذه من فنه . كان يعطيه دفعات قوية ،، ويخلق منه فنانا ناجحا ، صادقا . معبرا عن المرحلة التى يمر بها المحب المحروم .وكانت الأغانى التى نسمعها منه ، مفصلة تفصيلا على مقاس كل المحبين والعاشقين . ولهذا كان كل واحد منا يتصور أن عبد الحليم يغنى له وحده ، وأن كلام الأغنية ، أى أغنية عاطفية ، يشرح حالته ويترجم عواطفه . وكان عبد الحليم فى أغانيه العاطفية يقدم رسم قلب ، لكل محب . رسم قلب بالمجهود وبالموجات فوق الصوتية . تحب تسمع الأغانى التى نغنيها مع عبد الحليم ؟ نقول كمان : عندما شعر ببداية الحب ، وبالدقات الأولى فى قلبه قال :

باحلم بيك ياحبيبى أنا
ياللى مليت أيامى هنا
باحلم بيك عارف من امتى
من أول ماعرفت أحب

ونار ياحبيبى نار ، ونعم ياحبيبى نعم . وأول مرة تحب ياقلبى . وكل المحبين عاشوا العذاب والألم فى الحب ، ٩٠٪ منهم على الأقل أحسوا بالمعانى التى قال فيها عبد الحليم :

جبت الطبيب يداوى
سألنى الجرح فين
قلت اسأل دق قلبى
اللى زايد دقتين

ثم كانت نهايتها أعجب وأغرب من نهاية عبد الحليم . فاجأها مرض خبيث وتعذبت كثيرا وتألمت كثيرا . ولم ينفع فى حالتها طبيب ولا دواء . وبكى عبد الحليم طويلا حتى أنى كنت أسأل نفسى ، من أين يجد كل هذه الدموع . وكان يروى أغانيه بدموعه الغزيرة .

راح .. خد قلبى وراح
خد نور أحلامى
خد من ايامى .. كل الأفراح

☆ ☆ ☆

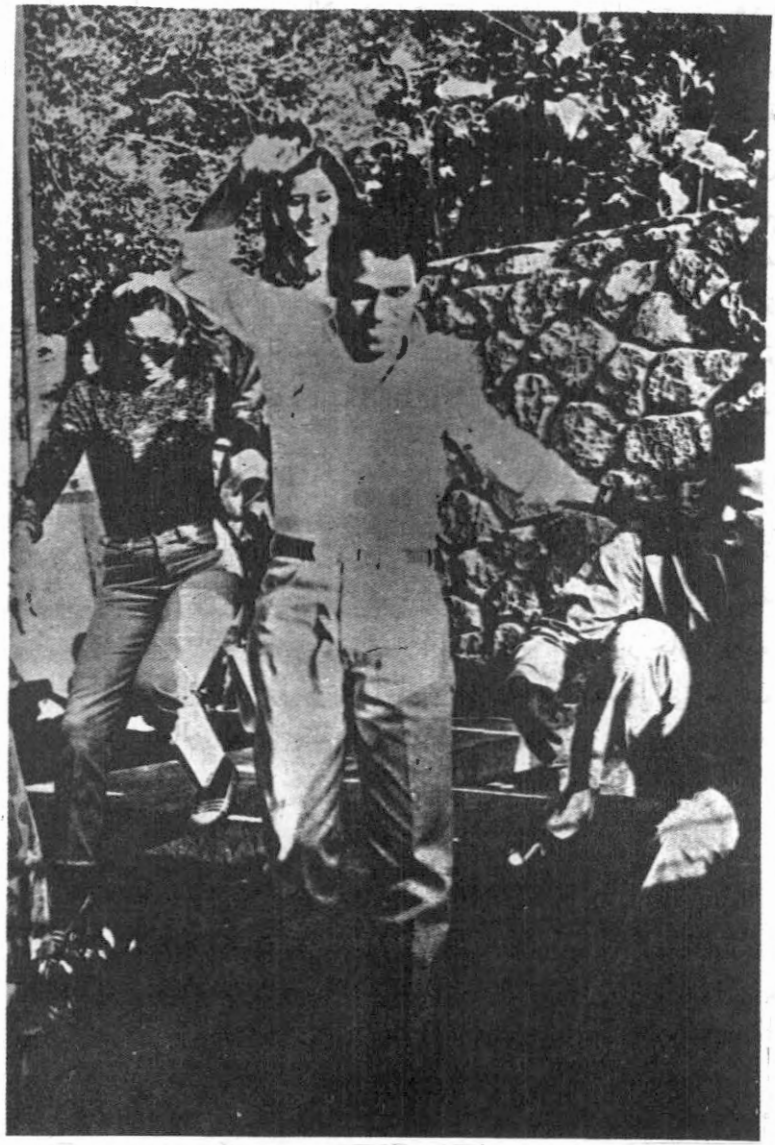
وراح عبد الحليم يغنى بكل الألم . وكان عبد الحليم يحب أغنية فى يوم فى شهر فى سنه تهدا الجراح وتنام . وعمر جرحى أنا أطول من الأيام . كان يحب هذه الأغنية كثيرا ، ويكرهها بشدة ويضيق نفسه وهو يغنيها ويكاد يختنق . ونلاحظ جميعا حالته هذه . ولانستطيع أن نفعل شيئا . وعندما ينتهى منها نحس كأنه يخرج من بئر عميقة . ولم تهدأ جراح عبد

الحليم . ولم يتوقف حبه ، إلا عندما توقفت أنفاسه فى الحجرة رقم ٤١٩ بالدور الرابع بمستشفى كنجز كوليج بلندن فى يوم ٣٠ مارس ١٩٧٧ .

ولم يدخل عبد الحليم حافظ ميدان الفن وحده . كانت معه كتيبة مسلحة بالمواهب الجديدة ، الصاعدة ، الواعدة كما يقول معلقنا الرياضى المرحوم عادل شريف . وكلهم من أصحاب الكلمة الرايقة والنغم الرقيق . ولم يعتمد على حنجرته القوية الندية وحدها . ولا على ذكائه الفطرى اللماح وحده . ولاعلى حظه السعيد . وكل هذه العوامل مجتمعة ساعدته فى الصعود إلى القمة بسرعة الصاروخ . ولكن الوصول الى القمة شىء ، والاستمرار فوقها مشكلة المشاكل . ورسم عبد الحليم خطوط حياته الفنية فى صبر عميق . ونسج خيوط نجاحه باتقان شديد .

●●●

ولكن القمة التى تربع فوقها عبد الحليم طويلا ، لم تكن الا حجرة ضيقة مساحتها ٤ أمتار × فى ٤ أمتار . وبلكونة صغيرة ، وبها كنبة قديمة ، وكام كرسى على قد الحال . وبيانو ، ووابور جاز . وهذه المساحة الصغيرة فى وسط البلد ، هى النقطة المضيئة التى حولت ليل العالم العربى كله إلى شمس ساطعة .



كانت الفتيات تحيط بعبد الحليم فى كل مكان .. ولكن قلبه كان فى مكان آخر .



وكان يعتبر الأستاذ كامل الشناوى أستاذه





وكان عبد الحليم يعتبر نفسه فردا فى أسرة الاستاذ محمد عبد الوهاب .



عبد الحليم على الواحدة

عالمه الخاص جدا!

عاش عبد الحليم حافظ العمر كله فى ٣ دوائر . كل دائرة هى عالم كامل ، بناه عبد الحليم بنفسه ، طوبة .. طوبة . كما قال جليل البندارى : ونبنى طوبة .. طوبة فى عش حبنا . وكل هذه العوالم كان أساسها الحب والإخلاص والوفاء . وكان له عالم خاص جدا . كان عبد الحليم حافظ هو محوره . وحجر الأساس فيه . وفى هذا العالم قواعد متينة وأعمدة عالية . قام عليها مستقبل عبد الحليم وشهرته الفنية . وكان الأستاذ عبد الوهاب ، والسيدة أم كلثوم يمثلان عالمًا فريدا ، نسيجًا لم يتكرر فى دنيا الفن . ولم يكن عبد الحليم يغنى أثناء سفره ، فى المسافات الطويلة ، إلا أغانى موسيقار الأجيال وكوكب الشرق .. ولكنه كان شديد الإعجاب بأغانى شفيق جلال . ومحمد رشدى .

وكان العالم الثالث فى حياة عبد الحليم باقى المطربين والمطربات الذين يقتربون منه فى الحجم والوزن والعمر . وكان الأساس فى هذا العالم الثالث ، هو التعاون المشترك . والاحترام المتبادل .

ولـو سألتك ، تحب تدخل عالم عبد الحليم حافظ الخاص جدا . لأجبت بسرعة : طبعا موافق . وستدخل وستعرف أن أكبر مساحة فى حياة عبد الحليم كانت لعمله ولفنه . وكانت هى المساحة التى تشغل تفكيره ، وتشكل أسلوب حياته كلها . وبعدها يأتى أى شىء ، وكل شىء ، الأمراض المزمنة . والمزاج الخاص . والحياة الاجتماعية . والفلوس . كله بعد العمل ، وبعد الفن . وكان يعيش مع كل واحد فى هذا العالم . وكأنه يتعاون معه لوحده . وهى قدرة فائقة وخارقة . وليس سهلا أن تقنع كل واحد يعمل معك بأنه فى حياتك وحده ، لاشريك له . مع اختلاف شخصية كل واحد ، وطبيعة عمله . ومزاجه ، وأسلوبه فى التعامل مع الآخرين . ولكن عبد الحليم كان قادرا ، أو أنه كان مقنعا بدرجة ممتاز .

☆ ☆ ☆

وهذا هو العالم الخاص جدا الذى كان يعيش فيه للفن . وكان المصنع الذى يخرج أحلى ما غنى . والعالم الذى تصاغ فيه كلمات الأغانى وتؤلف الألحان . وتتم فيه كتابة النوت الموسيقية . وكان بيت كمال الطويل ، فى وسط البلد . ولكن كلمة البيت هذه ، واسعة حبتين . فلم تكن إلا حجرة ٤ أمتار × ٤ أمتار ، ولها حمام ، ومطبخ صغير . وبها سرير سفرى . و ٦ أو ٧ كراسى . وريكوردر قديم ، وعود ، وبيانو ، ووابور جاز . ثم فرانده ٢ × ٢متر .

وفى هذه الحجرة الصغيرة ، كان يتجمع أقطاب الأغنية المصرية فى الخمسينات . مأمون الشناوى ، ومرسى جميل عزيز . ومحمد على أحمد

وسمير محبوب . وتجد محمد الموجى يمسك بالعود . وكمال الطويل يلصق أذنه بخشب العود حتى لا تفوته نغمة تخرج من أوتاره الخمسة . ولا حرج من أن يتعلم كل واحد من الآخر . ولا حساسية من أن يضيف كل واحد منها للآخر . هل تتصور أن أغنية « كان فيه زمان قلبين » ، صيغت كلماتها مشاركة بين مأمون الشناوى ، ومرسى جميل عزيز ؟ والعمل لا يتوقف فى الحجرة حتى فى عز الزحمة . أو كما يقول بجدى العمروسى وفجأة يمكن أن يدخل علينا على إسماعيل أو منير مراد . أو أحمد فؤاد حسن أو سيد إسماعيل . أو أى واحد من الوسط الفنى أو من الأصدقاء ، على الرحب والسعة . ويمكنك أن تضع تحت كلمة السعة أكثر من خط . وكان المثل الشعبى . « جحر الديب يساع ألف حبيب » . ينطبق على هذه الحجرة . وفى هذا الجحر ، ظهرت اغنيات « كان فيه زمان قلبين » « ويا قلبى خبى » « ولا تلمنى » ، « وهى دى هى » ومنها أيضا خرج الطبق الطائر الذى حلق فى سماء الفن سنوات طويلة « على قد الشوق اللى فى عيونى » . وأغنيات كثيرة كتبت فى هذه الحجرة ، ولحنت فى هذه الحجرة . واشترك فيها الجميع وساهم كل واحد منهم برأى . منتهى الحب والاخلاص والوفاء . وقد تثور بعض الخناقات . ربما كان سببها عصبية عبد الحليم ، وضيق خلقه ، أو رغبته ورغبة الآخرين فى أن يظهر العمل فى أحسن صورة .

نعم يا حبيبى

والحكاية يرويها بجدى العمروسى ويقول : فى يوم كنا بنسجل فى استديو مصر ، أغنية « نعم ياحبيبى نعم » . وهى من أصعب الألحان التى كتبها كمال الطويل . وكان اللحن صعبا ، والتوزيع أيضا . ومن صفات كمال الطويل أنه عند تسجيل أى لحن جديد ينتابه القلق الشديد ،

مُوَسْوِس جدا . ولا يرضى أبدا عن مستوى التسجيل ، ولا عن طريقة التوزيع الموسيقى . يريد أن يغير كل جملة موسيقية أو يعدلها ، يطلب أن تدخل آلة موسيقية بدلا من آلة . واللحن متعب لعبد الحليم ، ومرهق للموسيقيين وللموزع ، ولا يتحمل وسوسة كمال ورغباته المستمرة فى التغيير والتبديل . فى ذلك اليوم ثار عبد الحليم ثورة عارمة ، وخرجت كل عصبيته فى كلمات غاضبة : يا كمال سيبنا نسجل ما تتعبناش . إذا ما عجبكشى التسجيل نلغيه . بس من فضلك وإحسانك سيبنا نسجل علشان نخلص . وغضب كمال من الموقف كله ومن النبرة الحادة التى واجهه بها عبد الحليم . وكانت وسوسة كمال الطويل وتردده الدائم ، ورغبته المستمرة فى التعديل ، والتبديل فى الصياغة اللحنية كل ذلك كان مقبولا عند عبد الحليم حتى عند التسجيل . ثم عرفت السبب وبطل عجبى ، وانتهت دهشتى ، قالها لى عبد الحليم بنفسه عندما عاتبته على عصبيته مع كمال الطويل .

والغريب فى حياة عبد الحليم حافظ وكمال الطويل . أن عبد الحليم بدأ عازفا على آلة الأبوا يدرسها ويمارسها بحب وإتقان . ولكنه تحول بعد ذلك إلى مطرب كبير ناجح . أما كمال الطويل فقد بدأ يدرس فى قسم الأصوات ، وكان يعد نفسه لينافس كبار المطربين فى عصره ، ولكنه تحول بسرعة إلى ملحن كبير وناجح . وكنت أظن أن سبب ثورة عبد الحليم وعصبيته مع كمال الطويل فى هذه المرة هو مرضه وإرهاق العمل . ولكن السبب كان شيئا آخر . قال لى عبد الحليم : يا مجدى كمال الطويل هُوَّ أنا بالضبط ، يعنى يمكن تسمينا عبد الحليم الطويل وكمال حافظ . وأنا مستعد أتحمل قلق كمال ووسوسته سنين طويلة : ولكن انت عارف إن كمال عنده سكر ، ونسبته عالية . والقلق والوسوسة يضران به كثيرا ، أنا عايز أشيل منه حتة القلق دى . ثم ان كمال لازم يثق فى ذوقى ، لما أقول

له كويس .. حلو . معناها انى مقتنع تماما باللحن . أنا اللى بأغنى ، أنا اللى بأواجه الناس . وده صوتى ودى صورتى . وليس معقولا أن أُشَوِّه صورتى وصوتى أمام الجمهور ، ولا صورة كمال الطويل .

١٥ ألف جنيه

ومع محمد الموجى ، واجهتنا مشكلة . فكرة جهنمية زرعها واحد فى دماغ الموجى . فقالها بصوت عالٍ ، بزعيق . لماذا يحصل عبد الحليم على ١٥ ألف جنيه فى الفيلم - ولاحظ اننا كنا فى الستينات - بينما يظل أجر محمد الموجى ٥٠٠ جنيه عن لحن الأغنية . وهى مشكلة حاول عبد الحليم أن يحلها . ولكن عبد الحليم لا يدفع الأجور . ولا يضع تسعيرة كتابة الكلمات أو اللحن . المنتج هو الذى يحدد السعر ، وهو الذى يدفع . وقد حاول عبد الحليم فعلا مع المنتجين . تكلم ، وناقش ودافع ، وعرض وجهة نظره كأحسن محام - أحسن منى - ولكن كل منتج راسه وألف سيف . وقالوا هذه أسعار التلحين . والحكم لميزانية الإنتاج وحدها . وفشلت المفاوضات ولم يكن يستطع عبد الحليم أن يركب رأسه ويقول : إما أن تدفعوا للموجى أو أتوقف عن الغناء . وغضب الموجى ، وابتعد قليلا .

وكان الطويل والموجى هما الحُصَانين العربيين اللذين انطلقا بحنجرة عبد الحليم حافظ مسافة طويلة فى بداية مشوار الغناء . وكان معهما منير مراد ، شقيق المطربة ذات الصوت الساحر ليلى مراد ، وابن الفنان القديم الأصيل زكى مراد . ولكن غالبية شغل منير مراد كان دويتات ، أى أغان ثنائية بين عبد الحليم وشادية . ولحن له « باحلم بيك ، وبأمر الحُبّ » . وأخيرا قاضى البلاج ، « ودقوا الشماسى » .

على الناصية

وأغنية باحلم بيك لها حكاية . وكانت الأغنية تصور فى أحد الأفلام . وكان المشهد لقاء مع عبد الحليم حافظ والسيدة آمال فهمى « على الناصية » فى مكان قريب من فندق هيلتون النيل . فلم يكن فندق رمسيس قد بنى بعد . وكان المخرج حسين كمال ، والفنان سمير صبرى يعملان فى الهيلتون . وقررا أن يشاهدا تصوير الأغنية . وعندما تشاهد الفيلم أو الأغنية فى السينما أو فى التليفزيون أرجوك أن تدقق فى وجوه الناس المحيطين بآمال فهمى وعبد الحليم حافظ وعبد السلام النابلسى ، وستجد بينهم سمير صبرى وحسين كمال . وكما قال لى سمير صبرى بعد ذلك ، كان هذا المشهد هو السبب فى أن يكسب الفن نجما متميزا . وأن تكسب السينما مخرجا عظيما .

ومع ابتعاد كمال الطويل . وغضب محمد الموجى . ظهر فى أفق عبد الحليم اسمٌ جديدٌ . بليغ حمدى ، كان بليغ فى أول الطريق . نقطة صغيرة من الضوء . ولكن عبد الحليم استطاع أن يلمحها وأن يعرف أنها قطعة نادرة من الماس . وظهرت أول أعماله « تخونوه » . « وخسارة .. خسارة » . ولكن الأغانى الشعبية فى ذلك الوقت كانت موضة . وانتشارها أسرع والناس ترددها فى كل مكان . كانت أشهر هذه الأغانى لمحمد رشدى ومحرم فؤاد . وذاعت أغنيات « عدوية » وتحت الشجر يا وهيبة ، ورمش عينه » وأغان فلكلورية لحنها بليغ حمدى للفنانه شادية . « يا عزيز عينى » ، « وقولوا لعين الشمس » .



وفى هذه الفترة كانت رغبة عبد الحليم فى العمل وفى الغناء تحت

الصفر ، واختلفت معه ، وواجهته فى حدة ، وفى غضب شديد ، وتخاصمنا ودخل عبد الحليم حجرته لمدة ٣ أيام . وعندما خرج من صومعته . قال لى : يا مجدى ، فيه صحفى اسمه صلاح أبو سالم بيكتب أغانى ، أرجوك تعاقد معه على غنوة ، حيقولك عليها . وبعد أيام قليلة فوجئت بعبد الحليم يطلبنى لحضور بروفة فى النادى الماسى . وذهبت معه . ووجدته يغنى بروفة أغنية « على حسب وداد قلبى » . وبعدها كانت « سواح . وجانا الهوى » . وقال النقاد أيامها إن هذه الأغانى ليست من مستوى عبد الحليم حافظ . نقاد كبار ، كامل الشناوى وأحمد شفيق كامل . ولكن عبد الحليم كان يقول إنها تمثل قوات الانتشار السريع . أما القوات النظامية فكانت « موعود . وزى الهوى . ومدَّاح القمر . وأى دمعة حزن لا . وفاتت جنبنا . وحبيبها أنا . ويا مالكا قلبى » . وكانت فى أغانى عبد الحليم صواريخ بعيدة المدى : « رسالة من تحت الماء » و « قارئة الفنجال » .

ظلموه .. ظلموه

وإذا كان النجاح يغرى بالنجاح وبالمزيد من النجاح . فإن النجاح يغرى أيضا بالكسل وبالتراخى . وقد تصيب الفنان فترات من الخمول . خصوصا إذا كان عبد الحليم حافظ وأمراضه الجسمية والنفسية . فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات انتشرت أغانى عبد الحليم وأعماله الفنية . لم يكن هناك واحد فى العالم العربى لم يحفظ أغنية لعبد الحليم ولم يرددها مع نفسه مهما كانت وحاشة صوته . وتخانة حباله الصوتية . كان عبد الحليم يغنى الأغنية فى المساء والسهرة . ونجدها فى الصباح على كل لسان وعلى كل حنجرة : « توبة . حبك نار . أبو عيون جريئة . ظلموه . أنا لك على طول . وأهواك » .. عشرات الأغانى التى لا ينساها المستمع

العربى . يحبها . يعشقها . وربما كان العمل المتواصل . والجرى المستمر . والسباق الذى لا ينتهى ، والمرض المؤلم والوجع المضنى . والحرمان المذل . نعم كان عبد الحليم حافظ محروما من المتع العادية التى يعيشها أى انسان بسيط مغمور . يكفى أن نشاهد مائدته العامرة بكل الوان الأكل المسبك . والمحمر والمشمر . وشاهد طبق عبد الحليم وفيه قليل من الأرز المسلوق بلا ملح أو توابل . وجزء من صدر فرخة مهرى من طول وضعه على النار . كل هذه الأسباب وضعت على لسانه كلمات يائسة : وبعدين ! وآخرتها ! وكان التقاعس والتقاعد والاسترخاء ، واللامبالاة والكسل الشديد . ابتعد عن الغناء وعن الحفلات . وحصر نفسه فى شلة صغيرة من الاصدقاء بعيدا عن الفن ومتاعبه ، والشهرة ومجدها . وفسر بعضهم هذا التصرف على أنه غرور الفنان المشهور . وقال بعضهم إنه بداية الفشل والهبوط .



ولكن المشكلة عند مجدى العمروسى كان لها لون قاتم وطعم مر . وهو رفيق شارع النجاح الطويل من الليلة التى قابل فيها عبد الحليم فى حجرة منعزلة فى منزل الإذاعى - الصعيدى حتى النخاع - فهمى عمر ، ولم يفارقه . حتى لحظات إطلاق الصواريخ الفنية ، التى رسمت اسم عبد الحليم فى قلوب الملايين : وكنا جالسين أنا وهو فقط فى غرفة الموسيقى الخاصة به . قمت وقفلت باب الغرفة من الداخل بالمفتاح ، وقلت له يا عبد الحليم ، خد المفتاح ده . أنا هكلمك كلام مهم جدا ، لا تقاطعنى . وإذا أردت أن أتوقف عن الكلام واسكت . افتح الباب واخرج وساعتها أبطل كلام على طول . وظهرت على وجهه نظرته الحزينة المنكسرة . إنسان لا حول له ولا قوة . وكأن على لسانه نفس الكلمات اليائسة : وبعدين ! وآخرتها ! ولكنى قلت له : يا عبد الحليم أنت بتابع

برامج الاذاعة زى زمان . قال : أبدا يا مجدى . قلت له : هات برامج الاذاعة عن الشهر اللى فات ، والشهر اللى قبله ، واللى قبله . وشوف أغانيك على خريطة الاذاعة . وقارنها ، بنفس الشهور فى العام الماضى . والعام قبل الماضى . وسوف تجد هبوطا شديدا فى حياتك الفنية . وقد يضايقك هذا الكلام ، وقد يكون على غير هواك فى هذا الوقت بالذات . ولكنها كلمة حق . ولن تسمعها إلا منى . مرآة صادقة يجب أن ترى فيها صورتك على حقيقتها . وفوجئت بالدموع الغزيرة من عينيه . وعضلات وجهه تتقلص بشدة وبعنف . وأكثر من هذا قام عبد الحليم إلى الحائط وأخذ يضرب رأسه يريد أن يحطمها . وقمت واحتضنت عبد الحليم وأبعدته عن الحائط . وانتهت مشكلة الأغانى . وبدأ عبد الحليم حافظ المطرب يلمع . وكانت ألحان بليغ حمدى وكلمات محمد حمزه الاسانسير الذى صعد به من جديد .

حكاية أمريكا

ولكن مشكلة السينما ظهرت بعد الأغانى . وعبد الحليم لم يقف أمام الكاميرا من سنة ١٩٦٢ بعد فيلم « الخطايا » وحتى سنة ١٩٧٢ . الا فى فيلم واحد « معبودة الجماهير » ولولا ضغط الأستاذ عبد الوهاب والحاج وحيد فريد . ولولا ضغط صوت الفن عليه ما كان مثل فيلم أبى فوق الشجرة . حتى الحفلات الغنائية التى كان عبد الحليم ينتظرها بفرحة الطفل الذى ينتظر أيام الأعياد .. بدأ عبد الحليم يهملها .

ويقول مجدى العمروسى : كان عبدالحليم مسافرا إلى أمريكا ومعه شُلَّة بعيدة عن الوسط الفنى . أو هى التى كانت تبعده عن الفن . وكنا نضع اللمسات الأخيرة لحفل أعلن عنه . وبيعت تذاكره . وكل شىء كان جاهزا ، الأغانى والألحان والموسيقيين والمستمعين . ومكان الحفل . كل

شيء كان جاهزا إلا المطرب عبد الحليم حافظ . ولم يبق من الزمن الا ١٥ يوما . اتصلت تليفونيا بعبد الحليم انبهه إلى موعد الحفل ، قال ، يا مجدى كفاية ١٠ أيام أو أسبوع ، آجى ، وأرتب كل شيء ، والذين يعرفون عبد الحليم ووسوسته قبل الحفلات . وألف سؤال وسؤال عن الإعلانات والتذاكر والجرايد والبروفات لمدة شهر كامل قبل الغناء . لابد أن تصيبهم الدهشة والحيرة مثلى . وعبد الحليم ولا هنا ولاسؤال . أرسلت له برقية قبل الحفل بعشرة أيام : أرجو إفادتى بموعد الطائرة حتى انتظرك ؟ ورد علىّ بالتليغراف : أرجو تأجيل الحفل ١٥ يوما : إمضاء عبد الحليم . وطلبته بالتليفون فى نفس اليوم ، وقلت له بحدة : اسمع يا عبد الحليم . انت الحمد لله لا عيان ولا حاجة ، وبتتفسح وأخبارك كلها عندى . وإذا لم تحضر خلال ٤٨ ساعة أنا مسافر الاسكندرية ، ولن أعود للقاهرة أبدا ، مهما حصل . ولم ينطق عبد الحليم بكلمة وكأنه يفكر . ثم قال بصوت ضعيف : أهون عليك يا مجدى ! قلت له : إذا هنت على نفسك ، وهان عليك فنك يبقى ما فيش داعى نكمل . وبدأ صوته يضعف أكثر . أو هو يمثل الضعف . ويقول : والله يا مجدى ، ورحمة أمى أنا تعبان جدا . لكنى عايز أطلع الحفلة وأنا بصحتى . قلت له : تصرف كما تحب . ووضعت السماعة وكأنى أغلق السكة فى وجهه .

وجاء عبد الحليم الى القاهرة بعد ٤٨ ساعة فعلا ، وأحيا الحفل فى موعده ، ولكنه لم يعد عبد الحليم الذى نعرفه . لم يعد الشخص الذى يعطى نفسه كلها للفن وللعمل . كان يخرج نفسه من هذا العالم الخاص جدا الذى بناه بعرقه ودموعه وكفاحه وموهبته وذكائه . وأحسست لأول مرة فى صوته باليأس الشديد . وكنت أحاول أن أجمع الأسباب . هل هذا اليأس بسبب المرض ؟ هل كان يعرف نهايته ؟ عبد الحليم حافظ بلا شك هو أيوب القرن العشرين . لقد تحمل هذا الشبح . هزيل الجسم ، ضعيف

البنية ، شاحب الوجه كل عذابات الأرض المعروفة ، وكل الآلام التى لا يطيقها بشر . تحملها بصبر ورضا .



وإذا كان كمال الطويل ومحمد الموجى ، هما الحُصَانيْن الأصيلين اللذين جرا عربة عبد الحليم حافظ الفنية ، كما نشاهد فى أفلام رعاة البقر الأمريكية . فإن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان البنزين الذى دفع سيارته فى عالم النغم ، وكذلك كان بليغ حمدى . وكان مع عبد الحليم حافظ كتيبة من أصحاب الكلمات الرقيقة ، شعراء وكتاب أغان . وكل واحد منهم له حكاية ورواية . وقد تكتب الأغنية على الورق فى الحجرة الضيقة أو فى الفراندة الصغيرة . ولكن أجمل وأغرب الأغانى كتبت على أسلاك التليفون . بين القاهرة والزقازيق . أو فى سجن انفرادى وضعوا فيه المؤلف وأغلقوه بالضبة والمفتاح . ولم يخرج المؤلف من الحبس الا ومعه كلمات الأغنية . وببوليس النجدة .



أحلف بسماها وبترابها ..



جلسة عمل فى الحجرة الضيقة . وكانت هذه الحجرة هى النقطة اللامعة التى أضاءت ليل العالم العربى بالأنغام ، والألحان .



عبد الحليم ، وكمال الطويل ، كل منهما أقنع الآخر ، فغنى عبد الحليم ، ولحن الطويل .





عبد الحليم وكمال الطويل .. ومحمد الموجى فى بداية المشوار

من غير ليه!

هذا المثل الشعبى ينطبق تماما على أغنية من غير ليه ؟! التى كتبت لعبد الحليم حافظ ولحنت له - وقام بإجراء عدد هائل من البروفات عليها . لوحده ، ومع الملحن ثم مع الفرقة الموسيقية . ولكنه لم يغن الأغنية أمام الناس - ولم يسجلها على شريط . غناها الأستاذ محمد عبد الوهاب . والمثل يقول : تبقى فى بقك ، وتقسم لغيرك . وهو مثل صادق ١٠٠ ٪ على هذه الأغنية . فقد كانت « فى بق » عبد الحليم وعلى حنجرته . ولكن الموت كان أسرع من الصوت الذى خرج من هذه الحنجرة . والدنيا حظوظ ، وللأغانى أيضا حظوظ . وبعد أن ظلت الأغنية حبيسة فى درج الأستاذ ١٢ سنة خرجت منه فى زفة لم تشهدها أغنية من قبلها .

ومثل عبد الحليم حافظ كمثل كل فنان ، له شهادتا ميلاد . واحدة خرجت من وزارة الصحة وعليها تاريخ وساعة دخوله الدنيا . والثانية خرجت من الجماهير . من أعماق الناس وهى تحمل ميلاد العبقرية . ويوم دخوله عالم الفن . وميلاد عبد الحليم الفنى مع ميلاد ثورة يوليو . مع الجديد الذى بزغ مع الثورة . ويومها ظهر الجديد فى عالم الغناء ، عبد الحليم حافظ الذى أحبه الناس وبادلهم الحب ، وتحمسوا له ، وأخلص لفنه . وعلى مدى ربع قرن من الزمن - ٢٥ سنة - عاشها عبد الحليم مطربا . واكب صوته كل المناسبات الوطنية والقومية ، وكل الأحداث والحوادث التى تعرضت لها مصر . من الهزيمة إلى النصر . لم يتخلف يوما رغم ظروفه الصحية . ورغم نزيف الدم الذى كان يفاجئه فى أى وقت وأى مكان . ولكن نداء الوطن كان عنده أقوى من كل اعتبار ، وكان أغلى من الدم . وقدم عبد الحليم عشرات الأغانى الوطنية ، ولا أقول الأناشيد . هناك فرق .

والحكاية أنه من سنة ١٩٢٠ قامت محاولات لوضع الأناشيد والنشيد الوطنى على الخصوص . وتكونت لجنة برياسة جعفر والى باشا لوضع النشيد الوطنى . وإذا قرأت كلمات الأناشيد التى أقرتها اللجنة لأمير الشعراء ولمصطفى صادق الرافعى وللهراوى وسمعت ألحانها ستعرف الفرق بين النشيد والأغنية الوطنية ، مع أن نشيد أحمد شوقى لحنه سيد أسياد الملحنين المصريين سيد درويش . والنشيد الوطنى ، بلادى بلادى . وهو من الأناشيد المحظوظة ، وكانت كل فرق الموسيقى العربية ترددد قبل أن يصبح نشيدا وطنيا . وعدد كبير من المطربين : محرم فؤاد ، واسماعيل شبانه ، شقيق عبد الحليم ، وسيد مصطفى . واسمع نشيد مصطفى صادق الرافعى الذى لحنه الموسيقار القديم صفر على : اسلمى يا مصر اننى الفدا . وعشرات الأناشيد . كلها أناشيد . ولكن عبد الحليم

أدخل الغناء على الأناشيد الوطنية . وغيّر مفهوم النشيد . فأصبح على يديه . وإذا شئت الدقة . أصبح على حنجرته ، أغنية وطنية عاطفية . أو أنه توليفة تجمع بين القلب والعقل . تحب أفكرك بأغانى عبد الحليم الوطنية ، ربما أصبحت هذه الأغانى الآن أغانى قديمة ، مرت عليها سنوات . وسنوات . بعضها مرت عليها أكثر من ٣٠ سنة . وكانت لكل أغنية فيها حكاية . وكانت الكلمة فيها جديدة ، واللحن أيضا . حتى أسلوب العزف ، وطريقة الغناء ، كله جديد فى جديد .

لكل مناسبة .. أغنية !

وربما تسمع فى نفس اللحظة التى تقرأ فيها هذه الكلمات أغنية : « بالأحضان » . من كلمات صلاح جاهين غناها سنة ١٩٦١ . و « مطالب شعب » غناها سنة ١٩٦٢ كتبها أحمد شفيق كامل ، و« الفوازير » من كلمات مرسى جميل عزيز ، والمسئولية .. وعندما أفرج عن الزعماء الجزائريين الخمسة ، غنى لهم عبد الحليم : قضبان حديد اتكسرت . كان الحس الوطنى عنده عاليا إلى درجة كبيرة . حتى أنه فى بعض الأحيان كان يتصور نفسه زعيما سياسيا . أو هو الزعيم المطرب فلا يترك مناسبة وطنية تمر علينا دون أن يشارك فيها بالغناء طبعا . وعندما دخلت مصر حرب اليمن غنى عبد الحليم للقوات المصرية المشتركة فى القتال : يا حبايب بالسلامه . وفى وقت السلم ، وعند تحويل مجرى النيل غنى بستان الاشتراكية . وبعدها أغنية بلدى . وكانت أغنية يا أهلا بالمعارك ، صيحة مدوية تدفع الدم فى عروق الجماهير . وكانت أقوى من خطب الزعماء . حتى أن الأوامر صدرت للاذاعة أيامها بأن يبدأ صوت عبد الحليم مباشرة بدون مقدمة موسيقية . وفى عيد الجلاء فى سنة ١٩٦٦ غنى الفنارة . وهى من نظم عبد الرحمن الأبنودى . وجاءت بعدها أغنية صورة .

أما فى سنة ١٩٦٧ عندما وقعت الواقعة ، النكسة - الله لا يرجعها - حبس عبد الحليم نفسه فى ستديو بالاذاعة . وفى الأيام الأولى عندما تصورنا ، أو صوروا لنا أن النصر قريب ، وأن بيننا وبين تل أبيب فركة كعب . غنى عبد الحليم مجموعة أغان عليها حلاوة الانتصار : « احلف ، وانذار ، واضرب ، وأشجع رجال . وبركان الغضب ، وبالدم . وراية العرب ، ويا استعمار . وروح الأمة العربية . وابنك يقول لك يا بطل » . أما أغنية : « احلف بسماها وبترابها » . فقد أقسم عبد الحليم وهو يسجلها فى الاذاعة أنه لن يفتح فمه بالغناء فى أية حفلة الا إذا بدأها بهذه الأغنية . وكأنها الموتسيكلات التى تسبق موكب الزعماء فى كل الدنيا ، وفى كل حفل كان يبدأ بها الغناء . وكان الناس ترددها معه فى مظاهرة فرح رائع . لقد نصبته الجماهير زعيما للأغنية الوطنية ، فى استفتاء كبير . وكان التأييد واضحا فى هذه الأغنية :

أحلف بسماها وبترابها
أحلف بدروبها وأبوابها
أحلف بالقمح وبالمدفع
أحلف بالمدنة وبالمصنع
بأولادى بأيامى الجاية
ما تغيب الشمس العربية
طول ما أنا عايش فوق الدنيا

وكنا خارج الاستديو ، وقد سمعنا الخبر الحزين المؤلم .

☆ ☆ ☆

يومها كان عبد الحليم يسجل أغنية « ابنك يقول لك يا بطل .. هات الانتصار ». وكانت حكاية . وكانت آخر أغانى المعركة التى يسجلها عبد الحليم . وأبواب الاستديو مغلقة عليه وعلى الموسيقيين . كانوا

معزولين عن الدنيا كلها . وكنا خارج الاستديو نسمع ونقرأ ونعرف الأخبار أولا بأول . وعلمنا باكتساح إسرائيل للجيش المصرى . وسمعنا خبر الانسحاب . وعرفنا أن الرئيس الراحل عبد الناصر قبل وقف إطلاق النار . وكان الحزن الشديد . والصراخ والعويل ، ولطم الخدود وشق الجيوب . ودخلت إلى الاستديو ، وأبلغت عبد الحليم بالنبأ الحزين . وطلبت منه أن يتوقف عن الغناء . ولكنه صرخ فى وجهى ، وأشار لى بإصبعه أن اترك المكان . وأشار الى الموسيقيين باستكمال العزف حتى تنتهى الأغنية . وعندها توقف عن الغناء . وعلى وجهه كل علامات الحزن والغضب وأبلغ الموسيقيين بما حدث . ثم يقع مغشيا عليه ، أمام الميكروفون ، وهات يا نزيف .

ولم نقبل الهزيمة

وكما أفاقت البلاد من النكسة بسرعة . ووقفت على قدميها فى ثبات . وقف عبد الحليم أمام الميكروفون وفى عينيه بريق الأمل ، وفى حنجرته قوة المكافح المناضل الذى لا يقبل الهزيمة . وغنى بعد النكسة بسنة واحدة : « فدائى . ومن قلب المواكب ، ويا بلدنا لا تنامى » . وفى حرب الاستنزاف : « البندقية اتكلمت » .

وتقبل سنة ١٩٧٣ . وفى اكتوبر كان العبور ، وكان النصر وكانت الفرحة التى عمت قلوب المصريين والعرب جميعا . ويعود عبد الحليم إلى مبنى ما سبيرو الضخم ، ومعه الكتيبة الصامدة ، الصابرة من المؤلفين والملحنين ، والموسيقيين . ويغنى : « قومى يا مصر . وعاش اللى قال . ولفى البلاد يا صبية . وخلى السلاح صاحى » . لقد عبر المقاتل المصرى أصعب الموانع . واحتل أقوى المواقع . ورفع العلم المصرى مرة ثانية على أراضينا الغالية . وبعدها بسنتين فى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، أعيد فتح قناة

السويس . وغنى عبد الحليم فى هذه المناسبة ، أغنية « المركبة عدت » . لمصطفى الضمرانى ، « والنجمة مالت ع القمر » . وكانت الفرحة تملأ كل القلوب . والسعادة تغمر كل الوجوه .

وفى البدء كانت الكلمة . حتى فى الأغانى لابد أن تبدأ بكلمة ، ثم يأتى دور الملحن . وبعدها يشدو العندليب . ووراءه كتيبة من الجنود المجهولين ، العازفين . وكانت تصاحب عبد الحليم دائما الفرقة الماسية – وكان يحلو له فى البدء ، بداية الغناء ، أن يقدم أفراد الفرقة على طريقة التحية فى الأفراح والليالى الملاح . « كل أحد باسمه » من أول القائد أحمد فؤاد حسن إلى ضباط الايقاع الذين يلعبون على الطبلة والرق . أو أن يقود الفرقة من وراء ظهر صاحبها الذى ينشغل بالعزف على القانون . وكان الجمهور يشعر بالحب والود بينهم جميعا .

الأغنية المحظوظة

وكل أغنية هى كلمة ، ونغم . وصوت . وأول من كتب كلمة غناها عبد الحليم كان كاتب الأغانى سمير محبوب ، ثم محمد حلاوة ، وفتحى قورة ، ومحمد على أحمد وإسماعيل الحبروك . وبعد فترة اشترك معهم مأمون الشناوى . ثم مرسى جميل عزيز صاحب أكبر رصيد فى أغانى عبد الحليم . وصاحب آخر أغنية كتبها له فى ربيع سنة ١٩٧٧ . وهى أطول الأغانى التى كان مقدرا لعبد الحليم أن يغنيها ، ولكن الموت كان أسبق من صاحب الكلمة وصاحب الصوت . وتصور أغنية يكتبها مرسى جميل عزيز ، ويلحنها الموسيقار العظيم الأستاذ محمد عبد الوهاب ويغنيها عبد الحليم حافظ . ولكننا سمعنا الأغنية بعد رحيل عبد الحليم بسنوات . سمعناها بصوت الملحن العملاق الموسيقار محمد عبد الوهاب . طبعا الأغنية معروفة ومحفوظة : من غير ليه ؟ والكلمات أو كتابة الأغنية

استغرقت سنة ونصف سنة ، قبل أن يرضى عنها عبد الحليم ويقول الموسيقار الكبير : تمام كده يا مرسى ، وقد أعاد مرسى كتابة الأغنية ١٢ مرة . واستبدلت منها كوبليهات كاملة ، ومقاطع بحالها . وكانت الجلسات تعقد فى بيت الأستاذ عبد الوهاب ، اتقاءً لغضب مرسى وثورته . ولأنه كان يحترم الأستاذ جدا ، ولا يرد له كلمة ، ولا يرفض له طلبا . والأغنية كما سمعناها قطعة فنية رائعة أقامت الدنيا أو بلغة أهل الفن ، كسَّرت الدنيا . وتمت فيها صياغة كل كوبليه بعناية شديدة وكل مقطع يختلف عن الآخر . وسمعنا فيها الموال والموشح ، والذِّكر ، والصُّوفية ، والحب ، وفلسفة الحياة والموت ، والوجود ، والعدم . أما مطلع الأغنية فكان ينطبق تماما على عبد الحليم وحيرته وحزنه ، وشجنه ، وعذابه ، أو هو ترجمة ذاتية لرحلة عبد الحليم فى الدنيا ، رحلته مع المرض ، ومع المجد ، وكانت تبدأ بعلامة استفهام كبيرة أثارت الدنيا فى وقتها لدرجة أنهم اتهموا الأستاذ محمد عبد الوهاب بالكفر والإلحاد . ولم يسبق له أن ووجه بهذه الاتهامات الحادة ، حتى فى شبابه ، حتى عندما غنى الطلاسم لشاعر المهجر اللبنانى ايليا أبو ماضى . فاكرها طبعا :

جئت لا أعلم من أين ؟
ولكنى أتيت
ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا .. إلخ



وهذه الأغنية كان لها حظ من غير ليه ؟ فى عمليات التعديل والتبديل . فالشاعر اللبنانى يقول : ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت . ولم تنزل كلمة قدامى من زور الأستاذ عبد الوهاب . فغناها أمامى ولم

تعجب عبد الحليم كلمة أمامى أيضا . فغناها : ولقد أبصرت للدنيا طريقا فمشيت . أما أغنية من غير ليه ؟ فيقول مطلعها :

جايين الدنيا ما نعرف ليه ؟
ولا رايحين فين ؟
ولا عايزين إيه ؟
مشاوير مرسومة لخطاوينا
نمشيها فى غربة ليالينا ..



وكم تحمل مرسى جميل عزيز نرفزة الأستاذ عبد الوهاب ، ومناكفة عبد الحليم مع كل كلمة يكتبها ، وكل سؤال واستفسار يصدر عنها . وهو صابر يغير ، ويغير ، ويغير ، وعلى لسانه كلمة حاضر دائما . وقد أعد كراسة دون فيها كل الملاحظات التى أشاروا بها ، والمناقشات التى دارت بينهم لمدة سنة ونصف سنة . ثم جاء دور الأستاذ عبد الوهاب . واستمر تلحين الأغنية سنة كاملة . حتى رضى عنها الأستاذ تماما . ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السُّفُن . رحل عبد الحليم عن الدنيا قبل أن يغنيها . واحتفظ بها الأستاذ فى خزينته ١٢ سنة . قبل أن يغنيها هو ولا أعرف أغنية مصرية كتبت عنها الصحافة . أو اختلف عليها النقاد مثل أغنية من غير ليه ؟ ثم إنها ظهرت فى وقت الجفاف الغنائى فشدت انتباه الناس . واستولت على كل الأسماع . وكان الأستاذ عبد الوهاب رائعا لحنا ، ورائعا أداء .

ده مرسى !

ومعظم الأغانى التى ألفها مرسى جميل عزيز كانت بالتليفون . ومرسى لا يخرج من الزقازيق الا بالشديد القوى . فإذا طلب عبد الحليم أغنية

معينة ادار قرص التليفون وشرح فكرة الأغنية ، وموقفها من الفيلم إذا كانت من أغانى الأفلام . ومرسى جميل عزيز يسجل كل كلمة وهو صامت تماما ، لا يرد ، ولا يقاطع ، ولا تعليق . وتنتهى المكالمة فى كل مرة بسؤال تقليدى وإجابة تقليدية أيضا . فيقول عبد الحليم : هيه يا مرسى ، اطلبك امتى ، آخذ المذهب ؟! ويرد مرسى ردا واحدا لا يتغير فى كل مرة : خليها على الله يا حليم . وكان هذا الرد المتكرر يثير عبد الحليم حافظ . ويعلو صوته فى غيظ : يا سيدى احنا عارفين ان كل شىء على الله . ولكنى أسألك امتى اطلبك واسمع الأغنية ؟ ولكن رد مرسى لا يتغير : خليها على الله . وقد يأتى صوت الترنك فى منتصف الليل ، ويقفز عبد الحليم صائحا : ده مرسى !

ولكن التعامل مع مأمون الشناوى له أسلوب آخر . ومأمون ليس له مستقر ولا مقام . حتى أننا كنا نجرى وراءه من حى إلى شارع إلى بيت . وفى كل أغنية كنا ندوخ وراءه . وفى مرة قررنا حبسه فى فيلا كمال الطويل فى المنيل . ووضع كمال المفتاح فى جيبه وتركنا مأمون حبيسا على أن نعود إليه بعد ساعتين . ويكون هو قد انتهى من كلمات الأغنية . ولكننا مع الأستاذ كامل الشناوى وفى تراس فندق سميراميس . والقعدة حلوة ، وحكايات كامل الشناوى تشد انتباهك ، وتنسيك الزمن والناس ، والأغانى ، ومأمون الشناوى وحبسه . وكان مأمون طوال الساعات التى ظل فيها حبيسا فى الفيلا قد أقام الدنيا ولم يقعدها . وبالتليفون اتصل بكل الجهات المسئولة من أول المحافظ إلى ضابط القسم . وخرج إلى الشرفة ، يشكو للناس فى الشارع ظلم عبد الحليم له ، ويطلب مساعدتهم فى فتح الباب . ويشاهدنا ، ويقابلنا بسيل هائل من الشتائم المنتقاة .

ويهدد بأنه سيطلب من المنتج أن يحبسنا جميعا ، ويطلب كافة التعويضات المناسبة . وحكايات ونوادر كثيرة مرت علينا ، « فى يوم من

الأيام » ، كما يقول مأمون الشناوى فى واحدة من أغانيه الرائعة التى غناها له عبد الحليم . ولحنها له كمال الطويل .

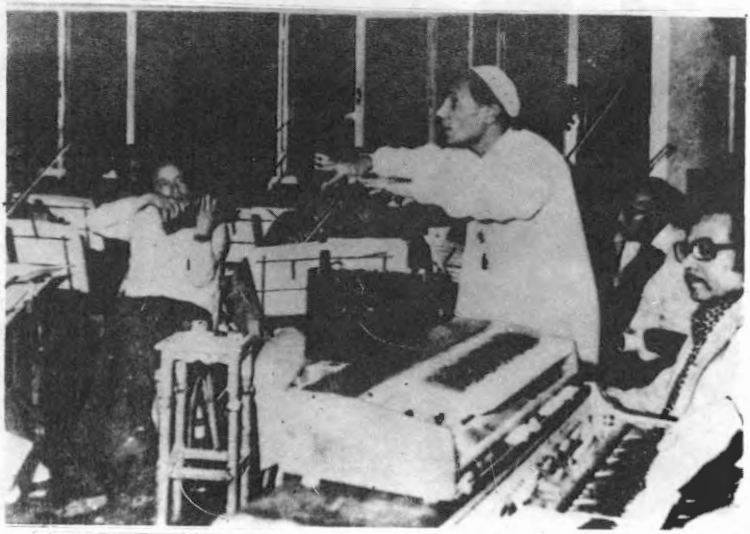
ولم يكن مؤلف الأغانى محمد حمزة يحتاج إلى فيلا ، ولاشقة . كانت تحدد اقامته فى مكتب عبد الحليم . وتصدر إليه الأوامر بألا يتحرك من الغرفة الا بعد أن ينتهى من كتابة الأغنية ويرضى عنها عبد الحليم . وفى نفس الوقت تصدر الأوامر إلى الطباخ بأن يوافيه بمجموعة كبيرة من الصاندويتشات ، بشرط أن تكون صاندويتشات لحمة . ويكفى أن يهمس بليغ حمدى فى أذن عبد الحليم بأن محمد حمزة عنده مطلع أغنية يجنن ، وهنا تبدأ رحلة العذاب .

● ● ●

ولكن رحلة العذاب الحقيقية كانت فى فيلم « معبودة الجماهير » . عن قصة لأستاذنا مصطفى أمين . واشتركت معه بالبطولة ، معبودة الجماهير الفنانة شادية . وفى هذا الفيلم استمر التصوير ٤ سنوات كاملة . ٤٨ أسبوعا . وغضب المنتج ، واحتج المخرج . ورفض الموزعون فى لبنان التعامل مع عبد الحليم حافظ وأفلام عبد الحليم حافظ ، وكان السبب أن عبد الحليم يسهر كل ليلة لوش الفجر .. وعندما يبدأ موعد التصوير يكون فى أحلاها نومه .



عبد الحليم حافظ .. الفنان الزعيم ، على الاعناق .



المونتاج ، واحدة من المراحل التى يهتم بها عبد الحليم ، مهما كان التعب والعرق والدموع ، والدم .



الأب الفنى عبد الوهاب فى ضحكة من القلب ، تجد صداها على وجه عبد الحليم .

وكانت معبودة الجماهير هى السبب !

فى الشهور الأولى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو . وضعوا الأستاذ محمد عبد الوهاب فى الشارع . وطلبوا منه أن يغنى . ولم يرفض ، ولم يكن يستطيع أن يعصى للثورة ، وللثوار أمرا . وجلس فى ميدان عابدين ، وحوله الآلاف من المعجبين به . وجلس الأستاذ على الكرسى ، وأمسك بالعود بين يديه . وقال رأيه فى هذا الموقف بالكلمة وباللحن . وكان الأستاذ فى منتهى الذكاء . وهو يغنى : كل ده كان ليه ؟! وكانت هذه هى الصورة التقليدية للمطرب « ق . ح » قبل عبد الحليم حافظ . أن يجلس على كرسى ، والعود فى حضنه ، والطربوش على رأسه ، وهات يا غنى . من عبده الحامولى ، إلى صالح عبد الحى ، إلى الأستاذ عبد الوهاب .

وكل

هذه الأجيال المتعاقبة كانت تغنى بنفس الطريقة . حتى كان عبد الحليم ووقف على المسرح ، وأمسك الميكروفون فى يده لأول مرة ، ومشى فوق خشبة المسرح بعرضه وعمقه . وداعب الموسيقيين . وعزف على آلاتهم . ووضع أصابعه فى فمه ، وأطلق صفيرا حادا . حتى القصائد التى غناها : لقاء للشاعر صلاح عبد الصبور ، وسمراء لعبد الله الفيصل ، ولست قلبى ، وحبيبها لكامل الشناوى ويامالكا قلبى ، ورسالة من تحت الماء . وقارئة الفنجال ، كلها قصائد ، وكلها غناها على طريقته وبأسلوبه الجديد . لقد أدخل على الغناء طريقة جديدة اقتبسها من الغرب . حتى انه كان يشترى كتب الأغانى الأجنبية ويقدمها لأصدقائه من مؤلفى الغناء فى مصر ، ليتعرفوا على العالم الخارجى . ويشترى الكتب التى تحكى عن المطربين والفنانين ، ويحاول أن يستخلص منها ما يلائم الجو المصرى والذوق الشرقى ، ويتمشى مع التطور فى الغناء . وفى التمثيل .

أنا جاهز

وكانت هذه الخصلة تلازم عبد الحليم حافظ فى كل أفلامه . فهو لم يكن يستريح لتصوير الفيلم الا بعد أن تعرض عليه المشاهد التى صورها فى الأيام الأولى .. وكان يدخل صالة العرض لوحده ، ويطلب عرض المشاهد ، مرة واثنتين ، وأحيانا ٤ مرات . عملها فى فيلمى أيامنا الحلوة ، ولحن الوفاء . وكان يعمل فيهما معا .. وعندما خرج من الصالة ، كانت الابتسامة تعلو وجهه ، وقال لنا : أنا جاهز ، أنا تحت أمركم . وقال له المخرج حلمى حليم : طبعا يا حليم ، إذا لم تعجب بنفسك ، وبعملك فكيف تعجب الناس . أيامها كان عبد الحليم حافظ يقوم بالعمل فى فيلمين معا . وكان ينتهى منهما معا بحماسة وبسرعة .

ومن البداية نجح عبد الحليم غنائيا . ونجح سينمائيا . وغيرت افلامه المفهوم التجارى للأفلام ، وللإيرادات . وحققت افلامه إيرادات خيالية . ولم يكن غريبا بعد ذلك أن يطلب أجرا عن الفيلم الواحد ، ١٥ ألف جنيه ، وكان أقل أفلامه إيرادا هو فيلم فتى أحلامى .. وان كانت ايرادات هذا الفيلم ، حققت دخلا ثلاثة أضعاف مصاريفه ، وكان أحب المنتجين إلى قلب عبد الحليم هو الأستاذ حلمى رفلة .. كان يقول عنه : قلبه طيب ، ولسانه حلو ، ووجهه مريح ، ولا تقف أمامه أى عقدة .. وكان حلمى رفلة منتجا شاطرا وخبيرا سينمائيا بدرجة ممتاز . وكان عبد الحليم يعيش لفنه وحده . لم يكن يشغله عنه أى شىء . لا الأكل ولا الشرب ، ولا الحب ، ولا المرض . وكان كالطوفان يدفع أمامه عددا هائلا من الأغانى والأفلام والحفلات وكان يغنى أيضا فى بيوت الأصدقاء فى كل المناسبات السعيدة . وكان هذا فى مرحلة ما قبل النزيف . أما بعده . فكان خط البداية لتغير شخصية عبد الحليم وسلوكه . وأسلوبه فى الحياة ، وفى العمل .

ولو يا أخى

وقبل فيلم أبى فوق الشجرة . مثّل عبد الحليم فيلم معبودة الجماهير ، عن قصة لأستاذنا مصطفى أمين . البطلة أمامه الفنانة العظيمة شادية . ولكن مشكلة فيلم معبودة الجماهير أنه أخذ وقتا طويلا فى التصوير . ٤ سنوات كاملة . ولا فيلم الحرب والسلام الذى كتبه أديب روسيا الكبير ليوتولستوى ومثله أشهر ممثلى هوليوود ، كلارك جيبل ، وقد سبب تأخير التصوير فى الفيلم عقدة للمشترين ، وموزعى أفلام عبد الحليم حافظ .

وعندما ظهرت فكرة فيلم أبى فوق الشجرة الذى كتب قصته الكاتب الكبير احسان عبد القدوس خفت أن يتكرر ما حدث فى فيلم معبودة

الجماهير .. وتحول الخوف إلى رعب . لم يتقدم واحد لشراء الفيلم على كثرة المشترين والموزعين الذين كانوا يسارعون لشراء أفلام عبد الحليم .. وحاولت أن أعرف السبب ، أو أتأكد منه .

وأخذت بعضى ، وسافرت إلى بيروت . وعرضت الفيلم على الموزع الذى كنا نتعامل معه فى لبنان ، واسمه محمد على الصباح . ولاحظت من أول دخولى عليه ، انه .. يعنى لم يكن متحمسا قوى . ولم يكن استقباله لى كما تعودت منه . خصوصا عندما عرضت عليه فيلم الخطايا ، ومن قبل أن نبدأ تصويره . ودخلت معه فى الموضوع مباشرة : ليه يا محمد ، لم تأت لشراء فيلم عبد الحليم ؟! ورد علىّ بلهجة لبنانية ساخرة ، ومعها ضحكة عالية ساخرة أيضا : هو عبد الحليم ناوى يعمل فيلم .. إن شاء الله يشتريه منك ابنى أو الورثة يا أخى . وعلى العموم لما يخلص الفيلم ، ابعث لى وأنا حاضر يا أخى . اشتريه بثلاثة أضعاف أى ثمن يعرض عليكم . بس لما يخلص يا أخى . ونسيت أن أقول إنه كان يكرر فى كلامه لفظة : ولو يا أخى . وكلمة ولو فى اللهجة اللبنانية معناها : طيب أو حاضر . ولكن فى لهجتنا المصرية لها معنى آخر كان يزعجنى كلما سمعتها منه . وتمنيت أن يسمع عبد الحليم كل هذا الكلام .

وفى اليوم التالى ذهبت إلى متعهد آخر . ولكن فى هذه المرة أخذت معى مسجلا صغيرا ، وأخفيته فى جيبى . وفاتحت الرجل فى موضوع شراء الفيلم الجديد ، وصفعنى كلامه من البداية : عبد الحليم بيعمل فيلم جديد ! موت يا حمار ..! يا إستاذ – وفى اللهجة اللبنانية يضعون الهمزة تحت الألف – عبد الحليم بيصور الفيلم فى ٥ سنوات . وعدت إلى القاهرة . وأسمعت عبد الحليم التسجيل . وثار ، وغضب ، وقال : يا مجدى أنت أول من يعرف ان ده مش ذنبى . ده ذنب المنتج . هو معقول وأنا بنام الساعة ٧ صباحا . أرجع أصور الساعة ٨ صباحا فى

الطريق الصحراوى . غباء انتاج .. اتفضل حضرتك اعمل أبى فوق الشجرة وأنت حافظ مواعيدى . وحافظ حياتى كلها . خل نفسك المسئول عن الفيلم وتنفيذه ، ورتب المواعيد وخذ موافقتى عليها . وإذا تأخرت يوما ، حاسبنى .

فيلم تفصيل

ولما انفردت بنفسى فكرت فى سبب تأخر تصوير فيلم معبودة الجماهير . ووجدت أن السبب بسيط جدا . وهو أن من يريد انتاج فيلم لعبد الحليم . لابد أن يقيس ظروف عبد الحليم على الفيلم ، يعنى يفصل الفيلم على عبد الحليم وليس العكس . أى يخضع مواعيد الفيلم لظروف عبد الحليم الصحية والنفسية . « إزاى » .. أقول لك!

☆ ☆ ☆

كان عبد الحليم بحكم خوفه من النزيف لايدخل السرير قبل السادسة أو السابعة صباحا حتى يجد من يسارع بإسعافه . ومطلوب منه بأمر الأطباء أن ينام فترة لا تقل عن ٨ ساعات . وإذا سألنا أى تلميذ يفهم فى الحساب فسوف يعرف أن حاصل جمع ٧ + ٨ = ١٥ . وفى كل انحاء الدنيا يعرفون أن الساعة ١٥ يعنى الساعة الثالثة بعد الظهر . وهو موعد استيقاظ عبد الحليم كل يوم . بعد كده ، يدخل الحمام .. ويحلق ذقنه – وعلى فكرة ذقن عبد الحليم لم يكن يظهر فيها الشعر أساسا – خلقة ربنا ! ويأخذ الدش الدافى ويسرح شعره . قل ساعة كمان . يعنى فى الساعة الرابعة يبدأ تناول طعام الافطار : الفول المدمس المهروس جيدا . وبياض بيضتين . وملعقة من عسل النحل . وفى هذه الفترة يرد على بعض المكالمات والمعاكسات التليفونية ، خذ لك ساعة كمان ، حتى الخامسة مساء . موعد حضور الأصدقاء والمعارف والزوار . ولا يمكن أن تحرم

عبد الحليم من حبايبه . يعنى فى الساعة السابعة مساء يبقى جاهزا للعمل ، ومهما طال السهر فهو لم يكن ينام الليل من الخوف .

وطلبت حسين كمال مخرج الفيلم ، وقلت له : أنا المسئول عن تنفيذ الفيلم . وعايز ميعاد التصوير يكون فى الساعة الثامنة وقال لى : مش بدرى الميعاد ده على عبد الحليم ؟! قلت له يا أستاذ أنا قصدى الساعة الثامنة مساء مش صباحا . قال فى غضب : ده يبقى انتاج بايظ . أنا لا يمكن أقبل حاجة زى كده ! تعرف إيه اللى ح يترتب على المواعيد دى . قلت له : عارف كويس . معناها أدفع أوفرتايم للعاملين ابتداء من الساعة ١٢ كل ليلة تصوير . واروحهم فى سيارات على حسابى . وأنا حسبتها . ولقيت ان كل ما سوف نصرفه لا يساوى الغاء يومين تصوير . ثم قلت فى حزم : النواحى المالية أنا مسئول عنها . وأنت مخرج وبس ، وعلى عينى وعلى راسى . وبعد مناقشات طويلة . قبل حسين كمال المبدأ ، وبدأنا نعطى عبد الحليم المواعيد الجديدة . ومع دهشته الشديدة لهذه المواعيد المسائية . إلا انه كان مبسوطا ، وسعيدا . حتى أنه قال : لو اتأخرت فى يوم اخصم من أجرى ١٠٠٠ جنيه . كل يوم تأخير بألف جنيه . وتوكلنا على الله .

☆☆☆

وكان مقررا لانهاء الفيلم على الورق ١٢ أسبوعا ولكن الفيلم انتهى فى ١١ أسبوعا وثلاثة أيام فقط . ولم يتأخر عبد الحليم يوما واحدا .. حتى فى أيام التصوير الخارجى فى الاسكندرية وفيه صورنا أغانى قاضى البلاج ، ودقوا الشماسى . وكان التصوير يتطلب النهار . وأن تكون الشمس فى عز الظهر . ولمدة ١٥ يوما ، نقلنا عبد الحليم إلى شقته فى سيدى بشر . وكنا نسهر معه إلى منتصف الليل ، فينام من التعب . ويصحو فى الثامنة صباحا مذعورا ، ويسألنا فى لهفة : ما فيش نزيف الليلة دى ؟! ويكون الماكيير

موجودا . ويبدأ فى اعداده للتصوير فى العاشرة صباحا .

مرة واحدة فقط فى أسبوعى التصوير الخارجى تأخر فيها عبد الحليم إلى الواحدة بعد الظهر . ولن أنسى هذا اليوم ، لأنى وبدون شعور صحت فى وجهه صارخا : إيه ده يا أستاذ انت جاى الساعة كام ؟ الساعة واحدة دلوقت . ورد علىَّ فى هدوء : ما أنا داخل ألبس أهو . ودخل إلى الكابينة . ولكنه خرج بعد فترة غاضبا . وصاح فىّ : أنت بتشخط فيه ليه يا أستاذ هو أنا موظف عندك . ويبدو أننى كنت متقمصا شخصية مدير الانتاج .. وداخل فى الدور تماما .. فقلت له « بعنطظة » الموظف الكبير : زيك ، زى أى واحد من الواقفين هنا . وحمل عبد الحليم جاكتته فوق كتفه وقال بغضب : كده .. خللى واحد منهم يمثل دورى ، أنا مروح . واتجه خارجا من موقع التصوير . وكانت حكاية .

وانتهى الفيلم على خير . وعرف الناس ، وحضر الموزعون لشرائه . ولكننا بعد أن شاهدناه فى عرض خاص جدا وعرفنا قيمته الحقيقية طالبنا الموزعين بثلاثة اضعاف القيمة التى كنا نطلبها قبل بدء التصوير . ومن يرفض . كنا نأخذه إلى الأستديو ، ونعرض عليه جزءا صغيرا من الفيلم فيه غنوة أو اثنتان فيدفع ما نطلب ، وهو راض كل الرضا . وكان الناس يقولون إن عبد الحليم حافظ يسهر لوش الصبح حبا فى السهر وفى المتعة بكل أنواعها . وكانت إشاعة وحياتك .

عشرة قروش

واحدة من الشائعات التى التصقت بعبد الحليم حافظ طول عمره . قالوا إنه كان شديد البخل ، وإنه كان ينافس الأستاذ محمد عبد الوهاب فى البخل الشديد . وقالوا : كلاهما كان « يخلع » القرش من جيبه . تماما

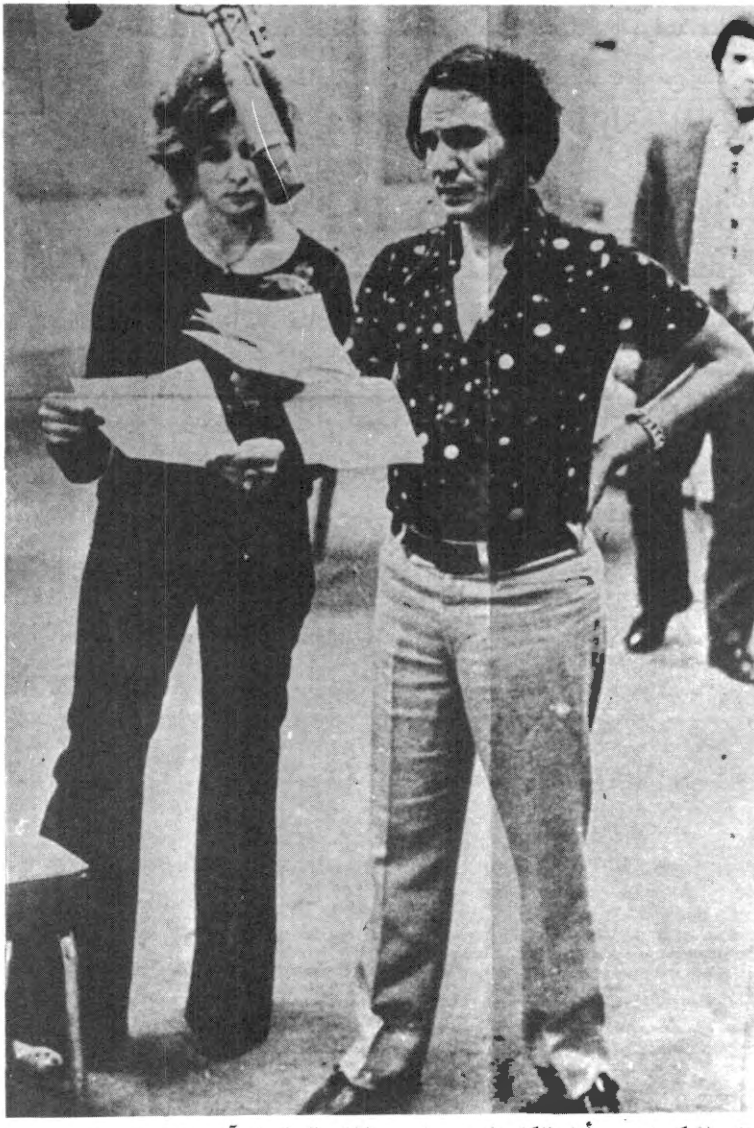
كما يخلع أسنانه بكل ألم ، بكل أسف . ولكنى أحكى لك حكاية منادى السيارات الذى كان يقف أمام بيت عبد الحليم . واحكم بنفسك : وفى الحقيقة ، وفى الواقع ، كما يبدأ كثير من الناس حديثهم أمام الميكروفون والكاميرا . كان عبد الحليم كريما جدا مع أهله والمحيطين به .

وقد ينقلب هذا الكرم الحاتمى - نسبة إلى حاتم الطائى - أو الحليمى نسبة إلى عبد الحليم - إلى اسراف شديد . ومعظمهم أحياء . وكلهم يشهدون على كرمه حتى اليوم . ولكن إذا شعر أن احدا يريد أن يبتزه أو يلوى ذراعه ليأخذ منه قرشاً واحدا فإنه يحرن ، ويعند . ولا أنسى حكاية منادى السيارات الذى كان يقف أمام سيارة عبد الحليم ، أمام بيته فى الزمالك . وعندما يراه من باب الاسانسير يسارع إليه ، ويا سعادة الباشا ، ويحاول ان يفتح له باب السيارة ، ثم يقول للسائق على طريقة الفنانة نيللى فى الفوازير : تعالى .. تعالى .. وكأن صوته ينافس عبد الحليم فى نفس الأغنية . وكان عبد الحليم يضع فى يده الشمال ١٠ قروش ، لأن يده اليمنى كانت فى الجبس دائما . ولاحظ قيمة هذا المبلغ من ٢٠ سنة - ولكن المنادى كان ينظر إليه فى غضب ، واحيانا يبرطم بكام كلمة غير مسموعة ولكنها مفهومة طبعا . وكأنه يقول : إزاى مطرب كبير زيك يدفع ١٠ قروش فقط . وكان هذا الأمر يضايق عبد الحليم فامتنع عن دفع القروش القليلة التى اعتبرها فردة يفرضها عليه المنادى . وفى يوم اعترض المنادى عبد الحليم وطالبه بحقه . كان فى كلامه غلظة . اعتبرها عبد الحليم قلة أدب ووقاحة . ونزل من سيارته . وأمسك المنادى من زمارة رقبته وأصر على اصطحابه إلى نقطة الجزيرة ، وحاولنا أن ننهى الأمر فى هدوء .. ولكن عبد الحليم أصر فى عناد غريب .. وفى النقطة حكى عبد الحليم الواقعة وقال : أنا مستعد دلوقت . وأنا فى جيبى ٢٠٠٠ جنيه أن ادفعهم للمنادى كاملين . لو ان الجبس اللى على ايده حقيقى . هاتوا

طبيب يشيل الجبس أو رئيس النقطة يفك الرباط . وحتلاقوا دراعه سليم زى دراعى بالضبط . وفعلا خاف المنادى . ولم يقبل فك الرباط من يده . ويصيح عبد الحليم فى ثقة : يا ناس أنا مش بخيل . ولكن الحرص واجب . ولا أقبل أن يستغفلنى أحد .

● ● ●

وفى يوم من الأيام شاهدت بعينى عبد الحليم حافظ وهو يدفع لمنادى السيارات أمام أكبر فنادق نيويورك وولدورف استوريا ورقة من فئة الخمسين دولارا ، واضرب × ٣٣٥ قرشا لتعرف قيمتها بالعملة المصرية . وكان ذلك أمام عمدة نيويورك المصرى أحمد الجندى . ابن عضو مجلس الشيوخ زمان يوسف بك الجندى . وصرخت من الفزع على الدولارات التى خرجنا بها من مصر لنصرفها على علاج عبد الحليم .



خلف الميكروفون ، وأمام الكاميرا ، يتحول عبد الحليم إلى انسان آخر ، قوة ، وصحة وعافية .. وصوت .



فى فيلم ليلة من عمرى مع المخرج والبطلة



معبودة الجماهير شادية .



وكان عبد الحليم حافظ لاينام الليل بطوله ، خوفا من التزيف المفاجىء .

وقال له عبد الناصر :
انت مش عاجبنى يا حليم

على مائدة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، تقرر مصير عبد الحليم حافظ . أمره الرئيس ، بأن يسافر إلى أمريكا . فى رحلة علاج طويلة فى واشنطن ، ثم إلى باريس . وفى لندن مات عبد الحليم رحمه الله . ولكنه سبحانه وتعالى لم يرحم الفن . وبعد عبد الحليم انقلب حال الفن . وبعد أن كان الذى يحدد الذوق المصرى فى الغناء ، ويتحكم فيه هو ميكرفون الإذاعة . انتقل « زمام المبادرة » وأصبح « صاحب القرار » فى نجاح الأغنية وانتشارها . هو حضرة صاحب المقام الرفيع الكاسيت . فى محلات عصير القصب ، وسيارات الأجرة بالنفر . وربما كانت أغنية « حبه فوق ، وحبه تحت » هى التسجيل الصادق والأمين لحال الفن . فكان أيام عبد الحليم حافظ ، حبه فوق . وأصبح الفن بعده حبه تحت . ولكنها حبه كبيرة قوى ، استمرت إلى اليوم .

والحكاية

أن الرئيس الراحل عبد الناصر ، عرف قدر الفن والفنانين ، وقدرتهم الفائقة على التأثير فى الناس . وبقدر تأثير عبد الحليم فى الجماهير العريضة . كان حب عبد الناصر له ، حتى أنه فى اجتماع مع رؤساء تحرير الصحف قال لهم بصراحة ، وبهدوء إنه ليس من المصلحة العامة أن يمس أى قلم ، عبد الحليم حافظ بأى شئ يؤلمه . أما فى حفلات ٢٣ يوليو فلم يكن يجلس إلى مائدة العشاء معه من الفنانين إلا السيدة أم كلثوم ، والأستاذ عبد الوهاب . وعبد الحليم حافظ . وأثناء العشاء سأل جمال عبد الناصر ، عبد الحليم عن صحته . وصحة ما يقال عن النزيف الذى يصيبه . وقال له يومها بالحرف : ياحليم انت مش عاجبنى . وعلى العموم فى أمريكا دكتور اسمه لنتون ، فى ماساشوستس هوسبيتال تسافر له . وعبد الحكيم ، وأشار إلى المشير عبد الحكيم عامر ، يرتب لك السفر ، والمصاريف اللى تحتاجها . وتسافر الأسبوع الجاى علشان يشوفك .

قرار جمهورى

واعتبر عبد الحليم القرار الجمهورى الذى أصدره عبد الناصر على مائدة العشاء مقلبًا . حاول أن يتخلص منه ، أو على الأقل يؤجل موعد السفر . ولكن كلمة عبد الناصر كانت قد سبقت . وقد وجه كلامه إلى المشير فى حزم بالغ : عبد الحليم يسافر الأسبوع الجاى . وبسرعة جاء رد المشير : احنا نروح إلى الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو يعنى بعد ٣ أيام . ويوم ٢٨ تيجى المكتب ضرورى ، منتظرك الساعة ١٢ . وحصل ، وذهب عبد الحليم ومعه مجدى العمروسى إلى مكتب المشير فى الاسكندرية . وعندما دخل عليه عبد الحليم قام المشير واقفًا واستقبله فى منتصف حجرة المكتب بالأحضان .. بالأحضان . وجلسنا ، وأخرج المشير ورقة من درج

مكتبه وقال لعبد الحليم : ده اسم الملحق العسكرى بتاعنا فى واشنطن ، أول ما توصل تلاقيه فى انتظارك ، فى المطار . وأى فلوس بالدولارات هو مكلف يدفعها لك ، ويروح معاك للدكتور لنتون . فقال له عبد الحليم : ياسيادة المشير أنا الحمد لله مستور . وسوف أقبل العملة الصعبة ، الدولارات ، لأنى مقدرش أدبرها . لكن بشرط إنك توعدنى ، إنى أول ما أرجع لمصر إن شاء الله ، ادفعها للشئون المعنوية هنا . وفعلاً عند عودتنا سددنا المبلغ بإيصال للشئون المعنوية للقوات المسلحة . وما زلت أحتفظ بالإيصال للآن . وسلمنا المشير عامر تذاكر الطائرة ، وهو يقول لعبد الحليم : واحدة لك ، ودى لمجدى . وطائرتكم بكره فى الفجر . وسافرنا إلى نيويورك .

٥٠ دولارا

وفى نيويورك كان معنا الأستاذ أحمد الجندى ابن عضو مجلس الشيوخ يوسف بك الجندى . أو العمدة كما يسمونه فى لندن وفى نيويورك . وهو من رجال الأعمال الناجحين ، وقابلنا الملحق العسكرى فى المطار ، اسمه محمود عبد العال . وأخذنا منه الفلوس . ولكن الشئ الذى أدهشنى وأفزعنى فى نفس الوقت أن عبد الحليم قال لى : يا مجدى نفسى أنزل فى الوولدرف ستوريا ! قلت له : فندق وولدرف ستوريا مرة واحدة يا عبد الحليم . قال : دى مرة فى العمر ، ويا عالم نيجى هنا تانى أولا . وشجعه أحمد الجندى . ونزلنا فى أعظم فنادق نيويورك ، والعالم كله . فى جناح ضخم فخم ، واسع جدًا . وكانت أول مفارقة تحدث لى وسط هذه العظمة والأبهة . أنى وضعت فى يد حامل الحقائب الذى أوصلنا للجناح ، ورقة من فئة خمسة دولارات . فقد كانت المصروفات فى يدى وعلى مسئوليتى . وكنت أحسبها بالمليم أو بالسنت ، وبسعر الصرف للدولار فى

السوق السوداء . وعلى أيامنا كانت هناك سوق سوداء للعملة الحرة ، وكان الدولار سيد أسياد العملة الصعبة . وكنت أظن أن هذه الدولارات الخمسة هى صيغة منتهى الكرم . وعندما سألنى عبد الحليم ، قلت له فى كبرياء وشموخ ، أعطيته ٥ دولارات بحالهم . وخطف عبد الحليم وأحمد الجندى من يدى ورقة فئة خمسين دولارا ، وجريا وراء حامل الحقائب . ووضعها عبد الحليم فى يده . وصرخت بأعلى صوتى ، صرخة سمعها نزلاء الفندق ، وسكان جزيرة مانهاتن وقلت لهما : اعملوا اللى تعملوه هى فلوس أبويا . بس لما تشحتوا محدش يتكلم .

☆☆☆

تانى يوم الصبح ، نزلنا بالاسانسير الى الجراج مباشرة . ولاحظت أنه يقف على مدخل الجراج رجل طويل عريض ، يرتدى ملابس رسمية وعليها نياشين وأوسمة ، وكأنه اكبر من أى فيلد مارشال ، أو مشير فى أى جيش . وقال له أحمد الجندى : أنا أحمد الجندى ، وده الاستاذ عبد الحليم . وشد الرجل قامته . وخبط كعبيه معا . وصاح بصوت عال على طريقة النداء العسكرى : سيارة الاستاذ أحمد الجندى ، قالها بالانجليزية طبعا . واستعمل لقب مستر . وإذا بسيارة كاديلاك صالون فاخره ، تقف أمامنا نحن الثلاثة . وحاولت أن أدخل فمنعنى عبد الحليم . وركب أحمد الجندى السيارة وحده . وسارت به ثم كرر المنادى – الفيلد مارشال – النداء بنفس الصوت وبنفس الحركات العسكرية : سيارة الاستاذ عبد الحليم . وظهرت أمامنا سيارة كاديلاك مماثلة تماما للسيارة الأولى . وفى هذه المرة قال لى عبد الحليم : تفضل أركب ياسى مجدى . ولكنى رفضت وقلت : والله ما اركب الا أما تيجى سيارة مستر مجدى العمروسى ، هو أنا أقل منك ، انت واحمد الجندى . ويدفعنى عبد الحليم – الله يرحمه – إلى داخل السيارة وهو يضحك ، وأنا

أزوم وازمجر واتحسر على عشرات الدولارات التى تخرج بقشيشا لحامل الحقائب والمنادى الأبهه الذى يقف على باب جراج الفندق الكبير . لمدة ٣ أيام .

١٠ ورقات

وجاء موعد السفر الى واشنطون . وقمت أعد حقيبتى ويدخل علىّ عبد الحليم ويقول : انت بتعمل ايه ؟! زى ما أنت شايف . بارتب شنطتى علشان نسافر . ويقول لى عبد الحليم فى حدة وفى غيظ : اسمع يا استاذ ، أنا مسافر اقابل الملحق العسكرى . و اروح فى نفس اليوم اقابل د .لنتون وارجع أبات هنا . وإذا أخذت أى شنطة أو هدوم ، مش مسافر . وحاولت أن اهدئ من انفعاله . وقلت : على رأيك ، احنا ايه اللى يخلينا ناخد شنط وهدوم .. ووافق عبد الحليم على السفر . وقابلنا الملحق العسكرى محمود عبد العال فى المطار . وانتحيت به جانبا . وطلبت منه همسا أن يجارى عبد الحليم فى طلباته لأنه عنيد . وعندما نصل الى د .لنتون يحلها ربنا . وعندما ركبنا الطائرة التاكسى الى المستشفى وضع محمود عبد العال فى يدى مظروفا فتحته فوجدت فيه ١٠ ورقات . كل ورقة بألف دولار .

وكانت أول مرة أشاهد فيها هذه الورقة . وهى فى نفس حجم ورقة المائة دولار . ولكنها تزيد عنها صفرا على اليمين . وعندما وصلنا الى عيادة د . لنتون كان عبد الحليم فى قمة القلق والتوتر . وكان يتعجل الوقت والاجراءات . ولكن التقاليد فى العيادة كانت على غير مايريد وما يرغب .

فى الأول لابد أن يمر على مساعدى الطبيب الكبير لتسجيل بعض البيانات العامة : اسمه وسنه وطوله ووزنه وفكرة عامة عن المرض . وهل

هو جديد أو قديم ، وأوجاعه وآلامه . وبعدها يقابل د . لنتون . ودخلنا معا لأساعده فى الترجمة . وكان عبد الحليم يحمل معه ٣ دوسيهات تحكى تاريخ المرض معه طول عمره ، وأسلوب العلاج . وأقوال الحكماء . أقصد الأطباء الذين عالجوه . وأول عملية أجراها فى لندن ، والاشعات والتقارير . وكان يقدم للطبيب المستندات لكل جزئية صغيرة فى مرضه عندما يبدأ الطبيب فى الكلام عنها . منتهى النظام لتطور المرض . ومنتهى الفهم لمراحله . وبدأ عبد الحليم يطمئن لحديث الطبيب الكبير . واعتقد أنه تصور نفسه فى هذه اللحظات الطبيب المعالج ، وليس المريض ، وفجأة وبطريقة سريعة وضاحكة رأيت د . لنتون يمسك بالملفات التى تعب عبد الحليم وشقى فى جمعها . ويمزقها إلى قطع صغيرة .. فتافيت . حتى صور الأشعة والتقارير الطبية ، اصبحت كما يقول المثل العربى أثرا بعد عين . وكان يقول فى هدوء وبرود شديد . ولا جراح بريطانى : احنا ح نبدأ من الصفر . ونظرت إلى وجه عبد الحليم فوجدته شديد الحمرة من الغيظ ، والدموع فى عينيه ، ونظرت إلى يديه كانت أصابعهما متشنجة وكأنه ينوى أن يضرب الطبيب . والحيرة والقلق فى جسمه كله . ولكن الطبيب أكمل حديثه بنفس البرود الانجليزى : أنت محجوز لك الغرفة ١٦ فى مستشفى ماساشوستس العسكرى . وح تنزل من عندى دلوقت ، وح نبتدى الفحوصات من جديد .. وقمنا وتركنا د . لنتون . ووجدنا الملحق العسكرى محمود عبد العال فى انتظارنا على باب حجرة الكشف . وإذا عبد الحليم يفرغ أمامنا كل ما لم يستطع أن يقوله للطبيب . وصرخ فينا غاضبا : ورحمة أمى لا أنا رايح مستشفى عسكرى ولا مدنى ، ولا رايح اى مكان فيه أدوية أو دكاتره . أنا عايز اسافر دلوقت أنا ومجدى على نيويورك . والحمد لله سايبين شنطنا هناك . فى نفس الوقت كنت أضغط على يد الملحق العسكرى ، حتى لا يرد عليه أو ينفعل مثله . ولكنه

سحب يده ، و قال كأى واحد عسكرى تعود القاء الأوامر : احنا مش جايين نلعب هنا . والاستاذ عبد الحليم لازم يروح المستشفى . ولازم ينفذ أوامر الحكما . وحاولت تهدئة الاثنين وقلت له : سيب الموضوع ده علىّ . وأخذت أحايل عبد الحليم لأمتص غضبه وصدمته فى تقطيع الملفات الطبية التى احتفظ بها سنوات . وقلت له : نخش المستشفى ليلة أو ليلتين . نشوف ايه التحاليل دى ، يمكن عندهم علم جديد . نجرب . وهدأ عبد الحليم قليلا . وقال : ماعنديش مانع ليلة ، أو اثنين مش أكثر .

فوق الستين

وكانت الثلوج فى ذلك الوقت من السنة تملأ شوارع المدينة ، وتغطى عجلات السيارات والمبانى والأشجار وأعمدة النور .. كله أبيض فى أبيض . ولم يكن معنا إلا البدل التى نلبسها ، ولا بيجاما ، ولا كوفية ، ولا بالطو ، ولا حاجة . وفى المساء اشتريت أغلى بيجاما فى حياتى . ودفعت ثمنها ٥٩ دولارا - ولاحظ ان رأسى فيه كومبيوتر ، مبرمج على سعر الدولار فى السوق السوداء . وبالعملة المصرية - وكانت البيجاما من القطن العادى . وفى مصر لا يزيد ثمنها على ٢٠ أو ٢٥ جنيها ، يعنى بالميت ٧ أو ٨ دولارات . ولكنها لم تكن الصدمة الوحيدة . فى المستشفى وجدت ان القسم الذى دخله عبد الحليم له سمة معينة . كل المرضات اللاتى يعملن به فوق سن الستين . ولا واحدة أقل من هذه السن . ووجدت السؤال على لسان عبد الحليم : ايه الحكاية ياسى مجدى . احنا داخلين مستشفى ، واللا ملجأ عجزة . واللا متحف . وكان يتكلم وهو يوزع نظراته الحائرة على كل ممرضة تدخل وتخرج .

وظائف الكبد

ودخلنا حجرة الفحص . وجدنا بها أكثر من ٥٠ شاشة من شاشات التليفزيون . وأوقفوا عبد الحليم أمام جهاز ، عاريا تماما ، وبدأت أجزاء جسمه تظهر على الشاشات الكثيرة المعلقة فى الحجرة . شاشة للقلب ، وشاشة للكبد ، وأخرى للكلى . وثالثة للمرارة .. كل أجزاء الجسم تظهر فى وقت واحد ، وهى تدق ، وتنبض ، وتتحرك . وأجهزة تقيس درجة حرارتها ، ومدى حركاتها ، وضغط الدم ، والنبض ، وكل شىء كان أمامنا واضحا . فعلا كان علما جديدا ، وأجهزة لم نرها من قبل فى أى مستشفى . وانبهر عبد الحليم بكل ما رآه ، وقال لى : فعلا ده مستوى ثانى يا مجدى . قلت له : علشان كده البروفيسير لنتون قطع الملفات القديمة . وكانت أول مرة انطق فيها اسم د . لنتون مسبوقا بلقب البروفيسير ، .الأستاذ يعنى ، وبقى عبد الحليم فى هذا المستشفى الأمريكانى ، ٦ شهور . وثانى يوم سألنى عبد الحليم : معاك فلوس ؟! هنا بلاطى كثيرة كويسه اشترى لنا بلاطى ، الدنيا برد ، ثلج . والجو صعب . وما زلت احتفظ بالبالطو الأمريكانى حتى اليوم .

☆ ☆ ☆

وانتهت رحلة الفحص ، ونقل عبد الحليم إلى حجرته ، وأحاط به ٦ أطباء - كونسولتو - وعلى رأسهم د . لنتون ، وتكلم معى بعضهم ، على جنب ، ولكن عبد الحليم أصر على أن يسمع كل شىء . وقال بصوت عال على طريقة أغنية السد العالى : اخوانى .. أنا العيان .. أنا صاحب المرض ، ولازم اسمع كل حاجة . وبدأوا فى شرح طبيعة مرض عبد الحليم . قالها د . لنتون وكأنه يشرح لتلميذ صغير : يا حليم أنت مشكلتك فى الكبد . والكبد ده يا حليم هو معمل التحليل للدم . وهو يشبه

بالضبط مصفاة الطماطم . وفيها عدد معين من الخروم . ويمكنك أن تصفى فيها كيلو طماطم فى وقت واحد . ولكن إذا انسدت نصف الخروم ، وحاولت أن تصفى فيها نفس الكمية ، ماذا يحدث ؟! قال له عبد الحليم : الطماطم تسيح ، وتندلق من على حروف المصفاه . قال له د . لنتون : وهذا ما يحدث عندك بالضبط . كبدك لا يمكنه أن يحلل كمية الدم ، الواردة له من القلب بالسرعة المطلوبة . وفى المدة المطلوبة ، وعندما تصل إلى الكبد الكمية التالية . لا تجد مكانا فى المصفاه . فالدم ينتظر خارج الكبد ، ويبحث لنفسه عن أماكن أخرى يقف فيها . وأنت عندك بلهارسيا . والشرايين فى معدتك ، وفى المرىء عندك ، هى أضعف المناطق التى يقف فيها الدم الزائد . والذى يزداد باستمرار .

وتنتفخ هذه الشرايين ، وتكون دوالى تنفجر عند الامتلاء ، ويحدث النزيف .. والنزيف فى حد ذاته ليس مخيفا إلى درجة كبيرة . لأنك عندما تنزف وتفقد كمية من الدم يمكن تعويضها عن طريق نقل الدم ، لتر أو اثنين ، أو ثلاثة حسب الحاجة . ولكن المشكلة أنك لا تعرف متى ينفجر النزيف . وقد لا تجد من يسعفك بنقل الدم . فيحدث لك فشل كبدى لا يمكن تداركه .

سحابة على المخ

وقال عبد الحليم فى ضعف شديد ، والعلاج ايه يا دكتور ؟ الحل إيه ؟ وقال د . لنتون : الطريقة للتخلص من هذه المشكلة أن نقص من عند الشريان الذى يدخل إلى الكبد ، ونوصله بالوريد الذى يخرج منه . يعنى نلغى مرور الدم فى الكبد تماما . وقال عبد الحليم وصوته أكثر ضعفا : وده نتيجته ايه يا دكتور ؟ قال الطبيب : طبعا له أثر جانبى - سايد إفكت - إن الدم يذهب إلى المخ غير مكرر وغير نظيف ، وفيه بعض النوشادر التى

تعمل سحابة على المخ ، تجعل المريض ينسى ، ويتوه بعض الوقت : وسأله عبد الحليم : وده له وقاية ، له علاج ؟ ورد عليه الطبيب بسرعة : طبعا له . الوقاية ، ان نمنعك من كل الأكل الذى يحتوى على مادة النوشادر . ورغم كل الاحتياطات سيظل فيما تأكله بعض النوشادر ، يمكنها أن تمد على المخ سحابة خفيفة ، وعلاجها أن يكون فى جيبك نوع معين من البرشام تتعاطاه تحت اللسان : عندما تشعر بها . وهنا قفز عبد الحليم من السرير . وقال لى : قله متشكرين قوى . احنا لازم نسافر ، ونرجع له فى الصيف ان شاء الله . قلت له : وناوى ترجع ؟! قال لى وهو يلملم هدومه : أهو كلام لغاية مانمشى من هنا .

● ● ●

وكان لكلام د . لنتون ، ولهذه الحصة التى استمع اليها عبد الحليم فى المستشفى الأمريكانى ، فى علم وظائف الاعضاء ووظيفة الكبد على وجه الخصوص أثره العميق على سلوك عبد الحليم وتصرفاته . ولكنه ظل يتحمل كل أعباء حياته الفنية والعائلية . ويحمل عن اصدقائه متاعبهم ، ويحاول أن يحل مشاكلهم . وقبل رحيل عبد الحليم بسنة واحدة صادفتنى مشكلة ، تصورت أنها عويصة وأنها تصعب على الكافر ، وتستعصى على الحل . وحملت مشكلتى إلى معظم عواصم العالم من القاهرة إلى بيروت إلى جنيف إلى لندن ، إلى أن قابلنى عبد الحليم فى قرية لبنانية اسمها صوفر ، قاد بنفسه السيارة من بيروت اليها فى ٣ ساعات كاملة فى الذهاب ، و ٣ ساعات فى العودة . وكنت أقيم فى فندق مخصص لكبار السن – فوق سن الستين – مثل ممرضات مستشفى ماساشوستس العسكرى . مع أنى كنت أيامها فى الخامسة والثلاثين .





مع طبيبه د . هاشم سرور يراجع عبد الحليم قوائم الدواء ، قبل السفر .



وكانت كل الممرضات فى المستشفى الأمريكى فوق سن الستين .



قضى عبد الحليم حافظ ربع حياته على المسرح ، والباقى على فراش المرض .

غنى عبد الحليم فى دمشق
فسهر السادات فى القاهرة للصبح !

الحديث الذى دار بين الرئيس الراحل أنور السادات والمطرب عبد الحليم حافظ . كان السبب فى تصفية الأجواء السياسية بين مصر وسوريا . وكان عبد الحليم يكلف أحيانا ببعض المهام السياسية . عملها معه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وسلمته وزارة الخارجية ، خطابات هامة كان يحملها فى حقيبته واعتبرها عبد الحليم ، الحقيبة الديبلوماسية . حتى أنهم فى مطار القاهرة ، طلبوا منه أن يفتح الحقيبة ، ورفض عبد الحليم . وأجرى عدة اتصالات تليفونية من المطار . وبعدها خرجت الحقيبة دون أن يفتحها أحد ، أو يعرف ما بداخلها . وكان لعبد الحليم حافظ صلات وثيقة بمعظم الملوك والرؤساء العرب . وكانوا يسمحون له بأن يغنى أغانينا الوطنية ، ويطربون لها . وكان عبد الحليم يعتبر مهمته الفنية مهمة سياسية رفيعة المستوى .

مع أصدقائه ، فكان يقوم بدور حلال العقد ، والمشاكل . والطبيب النفسى الذى يزيل أوجاع العقل ، وآلام القلب .

وأما

وفى سوريا غنى عبد الحليم قبل الوحدة معها ، وبعد الوحدة . وفى كل المدن السورية ، له معجبون ومحبون . وأصدقاء . خصوصا فى مدينة حلب ، واسمها حلب الشهباء . وتاريخها الاسلامى حافل بأعمال البطولة . وأهلها من أصحاب القلوب الكبيرة الوفية الطيبة . وهم يتمتعون بالكرم وهم مجاملون إلى أقصى درجة . وفى مدينة حلب حاصر الجمهور سيارة عبد الحليم فى أحد الشوارع . وهم من شدة الحفاوة ، أطبقوا عليها . والسيارة مغلقة ، والجماهير لا تعد ولا تحصى ، حتى أنهم لم يسمحوا بالهواء أن يصل إلى السيارة ، ولا نسمة ، وكدنا نختنق داخلها . ولكن الجمهور كان واعيا وأحسوا بالورطة التى وضعونا فيها . فقاموا بتنظيم أنفسهم بسرعة ، وأفسحوا الطريق أمام السيارة لتخرج من وسط هذا الزحام فى سلام .

عاش اللى قال

وكان عبد الحليم يدعى إلى سوريا فى أوقات تمر فيها العلاقة بينها وبين مصر بأزمة عارضة . وكانت السياسة تفرض هذه الأزمات، بين الأخوة الأشقاء. وفى مرة دعى إليها . ولم تكن الأمور بيننا فى أسعد حالاتها وكان على عبد الحليم أن يستأذن الكبار قبل أن يسافر . وكان يظهر له الضوء الأخضر فى كل مرة يستأذن فيها . كان الفن هو الذى يمنحه الإذن بالخروج من بلده ، وتأشيرة الدخول إلى كل البلاد . وكان يشترط على الاخوة فى سوريا أنه سوف يبدأ غناءه بأغنية وطنية نذر بينه وبين نفسه أن يغنيها فى كل مكان . أحلف بسماها وبترابها ، أولا ، ثم أغنية عاش اللى قال . وكنا قد انتصرنا فى حرب أكتوبر . وعبرنا القناة . وقمنا

بتطهيرها . وفتحناها لكل السفن من كل الملل والنحل والجنسيات . كما نفتح صدورنا وقلوبنا لكل الأصدقاء . والأغنية تقول :

عاش اللى قال للرجال
عدوا القنال
عاش اللى حول صبرنا
عزم ونضال
عاش اللى قال ، يا مصرنا
ما فيش محال
عاش ليك ابنك
عاش اللى حبك .

☆ ☆ ☆

والأغنية تشير بصراحة وبوضوح للرئيس الراحل أنور السادات وتشيد بعزمه ، ونضاله ، وانتصاره . وقد غناها عبد الحليم فى سوريا أكثر من مرة . ولكنه فى هذه المرة ، وفى دمشق ، وفى ظروف الجفاء السياسى . فإنه طلب الإذن بمقابلة الرئيس السادات . وقال له : أنا مدعو لاحياء حفلتين فى دمشق . والدعوة موجهة إلىَّ من الحكومة السورية . وأردت أن أستأذن سيادتكم . وأنا على استعداد لرفض الدعوة . إذا كان هذا هو الرأى . وقال له الرئيس السادات - الله يرحمه - يا عبد الحليم أنا باعتبرك سفيرا لمصر فى أى مكان تذهب إليه . ولا مانع عندى اطلاقا من سفرك إلى سوريا ، وإحياء الحفلتين .

فى القصر الملكى

وللحق وللتاريخ فإن عبد الحليم حافظ كان يعامل فى كل البلاد العربية التى يزورها كسفير فوق العادة . وفى الأردن ارتبط مع الملك

حسين بكثير من الود والحب والاحترام . وكان يدعى إلى القصر الملكى كضيف فى الأفراح وفى الليالى الملاح . وما زلت أذكر يوم أن تأخر عبد الحليم عن موعد إقلاع طائرته . وقاد جلالة الملك حسين سيارته بنفسه وأجلس عبد الحليم إلى جواره ، وأوصله إلى الطائرة التى أقلته إلى القاهرة . تعبيرا منه عن احترامه لعبد الحليم ، وتقديرا منه للفن المصرى ممثلا فى سفيره عبد الحليم . ونفس الموقف تكرر فى الجزائر . ودخل عبد الحليم إلى الاستاد - مكان الاحتفال - فى سيارة الرئيس الجزائرى بن بيلا . وفى سوريا حملوا سيارته على الأعناق .

وفى مطار دمشق ، وجد عبد الحليم ، رئيس المكتب الثانى - المخابرات السورية - فى انتظاره . فى المطار . واصطحبه فى سيارته إلى الفندق . وحكى له عبد الحليم فى السيارة ، ما دار بينه وبين الرئيس السادات ، وانه اذن له فى السفر فورا ، ثم قال لرئيس المخابرات السورى إنه عاهد نفسه منذ انتصارنا فى حرب اكتوبر على أن يغنى فى كل حفلة أغنية عاش اللى قال . وطلب من رئيس المخابرات ، أن يستأذن الرئيس الأسد فى ذلك . وقال عبد الحليم : إذا كان لديه مانع من أن أغنى هذه الأغنية . فانى مستعد أن أعود من حيث أتيت . وقال له رئيس المخابرات : أنت ضيف سوريا . ولك أن تستريح فى الفندق . وسوف أبلغ فخامة الرئيس الأسد . وسوف أطلب الأستاذ مجدى العمروسى ، وأبلغه بالنتيجة . ودخل عبد الحليم إلى سريره ليستريح . وطلبنى رئيس المخابرات . وقال لى : بلغ عبد الحليم أن فخامة الرئيس الأسد يقول له : يا عبد الحليم ، أنت فى بلدك الثانى . ولك أن تتصرف كما تشاء . وأن تغنى ما شئت . وأحيا عبد الحليم الحفلتين . وغنى فيهما عاش اللى قال .



وعندما عاد عبد الحليم من سوريا . وجد فى بيته طلبا عاجلا لمقابلة الرئيس السادات . وذهب عبد الحليم فورا . وقال له الرئيس السادات : يا عبد الحليم ، أنا سهرت جنب الراديو ، وسمعت الأغنية فى سوريا . ازاى قدرت تغنى ، عاش اللى قال ، فى الحفلتين . وحكى له عبد الحليم كل ما دار بينه وبين رئيس جهاز المخابرات السورى . وحكى له ما قاله الرئيس الأسد ، وضحك السادات ، وبدا عليه السرور . وكان لهذه الحكاية أثر كبير فى إذابة الجليد الذى كان متراكما على العلاقات بين القاهرة ، ودمشق .

حمامة السلام

وكان يحلو لعبد الحليم أن يمارس هذا الدور حتى بين أصدقائه ومعارفه ، كان يحب أن يكون حمامة السلام ، وأن يكون الطبيب المداوى . وهو من كثرة تردده على الأطباء . ومن كثرة دخوله حجرة العمليات . تصور أنه ملم ببعض أنواع العلاج .

وكان يقول دائما : اسأل مجرب .. وفى كثير من الحالات التى وقع فيها أصدقاؤه فى مشكلة كان يقول : فلان فى زنقة ، تعال نخلصه منها !

وبعد أول لقاء تكون المشكلة قد انتهت ، وقد لايجد صاحبنا الحل ، ولكن عبد الحليم كان يقوم بالدور الذى يحبه ، والذى نذر نفسه له .

وقبل رحيل عبد الحليم بسنة واحدة . صادفتنى مشكلة . لم تكن نهاية الدنيا . وعندما اتذكرها بعد كل هذه السنوات وكل هذه الأحداث والحوادث التى مرت بى . اتعجب ، كيف ادخلتنى هذه المشكلة فى دوامة من الاكتئاب النفسى كاد يقضى على . لولا عبد الحليم ، وصبر عبد الحليم . وحبه العميق ، واخلاصه الشديد ، لأصدقائه ، ولأقاربه ، ولمن حوله . برغم أمراضه ، وبرغم آلامه ، وبرغم النزيف بأعماقه . كما

قال الشاعر ، وكما هى فى الحقيقة . وقد حاولت أن أنسى مشكلتى ، أو أبعدها عن تفكيرى ، وأنا انتقل بها من مصر ، إلى بيروت ، إلى سويسرا ، إلى لندن ، ولكنها كانت تنتفخ فى أعماقى ، وتكبر فى رأسى ، وتلح على تفكيرى أكثر وأكثر فازداد حزنا ، وتزداد حالتى النفسية سوءا ، وكانت تحرمنى من النوم ، ومن نعمة التفكير السليم ، وتسلبنى راحة البال . واستقر بى المقام فى لبنان فى منطقة جبلية بعيدة فى بلدة اسمها صوفر ، وقد تكون على وزن طوكر التى نطلقها فى لهجتنا العامية على آخر مراحل اليأس . وان كانت طوكر هذه بلدا فى جنوب السودان . وفى صوفر نزلت مع زوجتى فى فندق صغير . والغريب والعجيب أن هذا الفندق الصغير لا ينزل به الا العجايز وكبار السن . كل نزلائه فوق الستين ، أو تحت التسعين بكام سنه . وكانت سنى أيامها حوالى ٣٥ سنه أو ٤٠ سنه . وكان عبد الحليم فى لبنان فى ذلك الوقت .

وكان بينى وبينه ثلاثة جبال ، ومسافة طويلة تقطعها السيارة فى ٣ ساعات . وكان عبد الحليم معزوما عند أصدقاء له فى لبنان على العشاء . وعرف مكانى ، وإذا به يترك سهرته ، وأصدقاءه ، ويركب سيارته كل هذه المسافة الطويلة وحده وافتح باب حجرتى لأجده أمامى ، تسبقه ابتسامته البريئة الرقيقة - كما تقول الفنانة وردة من ألحان الموسيقار العظيم رياض السنباطى - وقال لى : البس هدومك ، أنت وزوجك ، وتعال معى ، نتعشى وعلى الرغم من كل المرح الذى حاول عبد الحليم أن يضعه فى صوته ، وفى ابتسامته ، وحركات يديه ، فإنى رفضت بشدة ، وبغضب . ولكن اصراره وعناده كان أقوى من غضبى ، ولم يتركنا الا وقد ارتدينا ملابسنا ، ونزلنا معه إلى السيارة ، وفى السيارة ولمدة ٣ ساعات . كان عبد الحليم يغنى قليلا ، ويحكى كثيرا عن مرضه ، وآلامه ، والعمليات الجراحية التى أجراها .. وكيف انه يخرج من حجرة العمليات

ليدخل إلى أخرى . ويحكى عن كمية الحقن التى يأخذها كل ليلة وكل يوم . وكيف أنها سدت مسام جسمه ، وأغلب الشرايين فى ذراعيه ، وفى ساقيه . وكيف .. وكيف ؟! ولكنه يمارس عمله ويعيش حياته . ويجامل أصدقاءه ، ويتعشى مع أصدقائه على جبل من جبال لبنان . وربما لآخر مرة فى حياته ، بينما أنا ومشكلتى بسيطة - قياسا بما يمر به من آلام وأوجاع - أعتزل فى فندق بعيد للعجائز . وأهرب من كل شىء .

حكاية النوشادر

وعندما وصلنا إلى حفل العشاء . كانت نصف كآبتى قد تلاشت . وفى العودة أصر على أن يكمل معى الحديث . وظل يواسينى . ويهون على . وكان يقول : إذا كانت مشكلتك بسبب صوت الفن . ولا يهمك ، ولا تساوى ، وإذا كنت أنا السبب أو الأستاذ عبد الوهاب . سيبنا يا أخى ، وشوف نفسك ، وشوف صحتك . يا مجدى ، أسألنى أنا ، ما فيش أبدا زى الصحة . وقال لى وهو يضحك - ابتسامته كانت صافية ، وضحكته من الأعماق : فاكر حكاية د . لنتون والنوشادر اللى فى الأكل ، ويطلع سحابة على المخ ، تغطى تفكير الانسان وتفقده ذاكرته . وتذكرت العملية الجراحية التى طُلب منه أن يجريها فى أمريكا . وهرب منها . وكان يقول : حتى لو عملت العملية ، فسوف ينقطع النزيف ، ولكنى سوف أفقد ذاكرتى ، دقيقة أو دقيقتين . ولا أعرف متى ولا أين أتعرض لهذا الموقف . تصور أن هذه السحابة تغطى مخى وأنا على المسرح أغنى أغنية المسئولية . دقيقة واحدة أنسى فيها الأغنية . وأدخل على وحياة قلبى وأفراحه . ساعتها أموت من الخجل ، لا ياعم أحب أعيش حياتى محترم ، وأغنى وأنا محترم . ويضحك من أعماقه ، وهو يرفع صوته بالغناء : أحب عيشة الحرية .. زى الطيور .. كان يجب أن يغنى أغانى

الأستاذ عبد الوهاب فى السيارة . فى المسافات الطويلة . واعجب بقوة عبد الحليم ، وشجاعته . وصلابته ، واتعجب لضعفى وهوانى .

ووصلنا إلى الفندق . ودخلت حجرتى ، ونمت ٤٨ ساعة متواصلة . وصحوت على دنيا غير الدنيا . وكأن كل المشاكل قد انتهت . أو انها لم تكن موجودة أصلا . نسيت أن أحكى عن المشكلة التى تصورت أنها نهاية الدنيا بالنسبة لى . والحكاية ببساطة ، وقعت بينى وبين أحد الأصدقاء - ولا يهم أن أذكر لك اسمه ، أو لا أذكره - وكنت اعتبره الأخ والصديق ، والشريك - وكان قد اتفق معى على عمل معين . ثم سافرت إلى بيروت فى رحلة سريعة . وعندما عدت ، وجدت أنه وقع عقدا بنفس العمل الذى اتفقنا عليه مع آخرين . ليحصل على المكسب وحده . قروش قليلة . أو جنيهات كثيرة . ولكنها لم تكن صلب المشكلة . كانت الخيانة والجحود هى التى تؤلمنى . وقد شفيت منها بإذن الله ، وبفضل الطبيب النفسانى عبد الحليم حافظ .

● ● ●

كان الوفاء من شيمته ، وكان الاخلاص بعضا من صفاته . ولا يهم بعد ذلك أن يدفع الثمن من صحته ، ومن دمه ، ومن حياته نفسها . ويسبب صداقته للملك الحسن الثانى ملك المغرب ، كادت حياة عبد الحليم تنتهى بالرصاص فى الانقلاب الفاشل ضد الملك . وقد استولى الارهابيون على مبنى الاذاعة والتليفزيون فى الرباط . وكان عبد الحليم فى الاستديو داخل المبنى . وحاصروه ، ووجهوا إليه بنادقهم . وهددوه بالموت . وطلبوا منه ان يذيع بيان الثورة الأول . ورفض عبد الحليم وحبسوه فى حجرة صغيرة مظلمة رطبة ليجبروه على إطاعة الأوامر ، وإذاعة البيان أو بيان الثورة كما كانوا يسمونه .





عبد الحليم وإشارة مرحة وبعدها يبدأ الغناء



عبد الحليم حافظ خفيف الظل الابتسام .. على المسرح

صديقى .. صاحب الجلالة

كنا نسمع من الرئيس الراحل أنور السادات هذه العبارة : صديقى كارتر .. صديقى ديستان . وهو يصف العلاقة بينه وبين الرئيس الأمريكى جيمى كارتر . والرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان . وكانت نفس العبارة نسمعها من عبد الحليم حافظ . كان يقول : صديقى الملك حسين ، وصديقى الملك الحسن . وملوك ورؤساء ، كانت بينه وبينهم جسور من الصداقة والمحبة ، لم تكن بين مطرب وملك فى يوم من الأيام ، ولكن مع الملك الحسن كانت له حكايات وروايات . وفى الرباط عاش أسعد أيام حياته ، وأشقى ساعات عمره . وضحك من أعماقه ، وبكى بحرقة . ولبس أشيك بدلة ، أهداها له الملك . وشاهدته شوارع الرباط وهو يسير فيها والدماء تسيل من وجهه وركبتيه وثيابه ممزقة . وبفردة حذاء واحدة .

ولكنه

كان يبتسم . ويحمد الله على نجاته من الموت ونجاة صديقه صاحب الجلالة من المؤامرة . وعاد الشعب المغربى يهتف من قلبه : بارك الله فى عمر سيدنا . ويغنى مع عبد الحليم : الماء والخضرة والوجه الحسن .. عرائس تختال فى عيد الحسن .

وكما يقول مجدى العمروسى :

كانت المرة الأولى التى أقابل فيها ملكا يحمل لقب حضرة صاحب الجلالة ، وفى البلاط الملكى . حتى كلمة البلاط ، لم يكن لها معنى محدد عندى . وخدم ، وحشم ، وحرس ، وعظمة وأبهة . وكان السؤال الحائر فى رأسى . فى رءوسنا جميعا ، كل المصريين فى القاعة الكبيرة العظيمة الواسعة . كيف نستقبل حضرة صاحب الجلالة الملك ؟ أو كيف يستقبلنا هو ؟ فنحن فى حضرته . وفى قصره . ودخل الملك يسبقه ذلك النداء الذى أحببت المغرب كلها بسببه : بارك الله فى عمر سيدنا . وهو دعاء لخير الشعب والدولة ، قبل الملك . ومعنى أن يبارك الله فى عمره ، أن يملأه خيرا وبركة تعم على بلده ، وعلى شعبه . ولاحظت أنهم يسلمون على الملك بطريقتين ، أو أسلوبين . طائفة تقبل كتفى الملك ، وهؤلاء هم أقاربه .. والمقربون منه ، قبلة على الكتف اليمين .. وقبلة على الشمال . وطائفة لا تقترب منه كثيرا ويمد الملك يده فيقبلون ظاهر اليد ، وهم يقبلونها بمفهوم الابن لأبيه ، فالملك والد ، والذين يقبلون يده هم ابناؤه أفراد الشعب المغربى . ولا نحن من المقربين منه ، ولا نحن نحمل الجنسية المغربية . وسألت عبد الحليم بينى وبينه . وابتسم عبد الحليم فى حيرة . وقال نسلم عليه ، على طريقتنا ، مع انحناءة خفيفة تدل على الاحترام العظيم . وطلب من الإخوة الفنانين أن يتقدموه للسلام على الملك . وآخرهم أحمد فؤاد حسن ، ثم أعضاء الفرقة الماسية . وتقدمت بعدهم وسلمت على الملك بنفس الطريقة . وبعدى مباشرة كان عبد الحليم . ولكن ما حدث منه

كان شيئا عجيبا وغريبا على البلاط الملكى ، ومفاجئا أيضا . ولم يكن مألوفا عندهم . فقد فوجئنا بعبد الحليم يتقدم من الملك ، لا هو يقبل يده ، ولا هو يقبل كتفيه . ولكنه يقبله من خده ، على طريقة الأحبة والخلان فى مصر . وسمعنا همهمة فى القاعة الكبيرة .

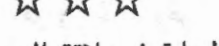
☆ ☆ ☆

وتعلقت الأبصار بالملك وتركزت على وجهه ، وتحولت إلى عبد الحليم ، ثوان ، كأنها ساعات . حتى عاد عبد الحليم إلى صفوفنا . وهنا تقدم منه رجل طويل عريض أسود الوجه ، أحمر العينين من الغضب . اسمه السنوسى ، وكان يشغل منصب وزير الأنباء . وقال لعبد الحليم ، والشرر يتطاير من عينيه :

من أذن لك بتقبيل سيدنا بهذه الطريقة ؟! الليلة دى تلم حاجاتك ، وتأخذ رفاقك ، وتأخذوا أول طيارة على مصر . وبصراحة كده ، خفنا ، أو على الأقل انتابنا القلق ، كما نقول فى اللغة العربية . وظل عبد الحليم رابط الجأش ، هادئ الملامح . ولم يرد على الوزير المغربى ، بكلمة واحدة . وفجأة رأيناه يتجه إلى شخصية مغربية كان يرتدى الزى العسكرى ، ويضع على رأسه الكاب ، وكانت ملامحة صخرية . وكأنه تمثال حجرى . وعرفنا اسمه ورتبته بعد ذلك ، الجنرال أوفقير . وهو نفس الجنرال الذى حاول قلب نظام الحكم على الملك الحسن . وهو الذى أمر باطلاق النار على طائرة الملك وهو فى الجو . وهو الذى دار بينه وبين الملك الحسن أعجب حوار بين الملك فى الطائرة المصابة وقائد المتمردين أوفقير على الأرض . ويومها صاح الملك فى اللاسلكى من الطائرة : سيدنا مات ! وأوقفوا اطلاق النار ، ونزلت الطائرة ، والملك فى سلامة الله وعنايته ، واستطاع الملك أن يسحق الانقلاب ، وقتل أوفقير فى هذه المحاولة الفاشلة لقلب نظام الحكم فى المغرب .

المهم أن أوفقير فى ذلك الوقت ، وفى هذا الحفل كان أقوى شخصية فى المغرب بعد الملك . وتقدم منه عبد الحليم وهمس فى أذنه بكلام لم نسمعه . ورد عليه أوفقير بكلمات هامسة أيضا .. وعاد إلينا عبد الحليم ، لم ينطق بكلمة ، ولكن أعصابه كانت هادئة ، وملامح وجهه أيضا . وتشجعت وسألته : إيه الحكاية ياحليم ؟ قال لك إيه أوفقير ؟! ورد علىَّ عبد الحليم باختصار شديد : إن طلبنى الملك الليلة دى علشان أغنى فمعنى هذا أن الأمر مر ببساطة . وان كل شىء قد انتهى على خير . والملك لم يغضب مما فعلت معه . ومعناه أيضا أن هذا إذن منه بأن أقبله بهذه الطريقة عند التحية . وإذا لم يطلبنى للغناء الليلة ، فمعناه أنى خالفت قواعد البروتوكول . وان هذا الأسلوب فى التحية قد أغضب الملك ، وأن علينا أن نغادر فورا . ثم قال : وعلى العموم ماتقلقش ، كلها ساعتين ويبدأ الحفل ، وياخبر بفلوس ... وفعلا بدأ الحفل الغنائى . ودعا الملك عبد الحليم ليكون أول المطربين فى الغناء .. وشملتنا جميعا فرحة كبيرة . وحكينا للرفاق ما قاله أوفقير لعبد الحليم . وكان جلالة الملك الحسن فى منتهى السعادة ، وهو يسمع الأغنية التى كتبها مرسى جميل عزيز ، ولحنها بليغ حمدى :

الماء والخضرة والوجه الحسن
عرائس تختال فى عيد الحسن



وكانت هذه نقطة البداية فى علاقة الصداقة القوية والمتينة بين جلالة الملك الحسن .. وعبد الحليم حافظ . ومع هذه البداية السعيدة ، كان الفنانون المصريون الذين يدعون إلى المغرب ، يعاملون كضيوف صاحب الجلالة . لكل واحد منهم سيارة تنقله من المطار إلى مقر الضيافة ، فى واحد من القصور الملكية ، أو إلى الفندق . وتستمر السيارة تحت تصرفه

حتى توصله إلى المطار فى العودة ، وكل ٤ موسيقيين كانت لهم سيارة تلازمهم طوال فترة الضيافة . وكانوا فى حضرة الملك يجلسون مع باقى المدعوين من وزراء وحاشية . وكان الملك يدعو الفنانين إلى مائدته وفى قصره ، اكثر من مرة ، ويجلس معهم . وتبدو عليه البساطة الشديدة ، وهو يدعوهم إلى صنف معين من الطعام ، ويشرح لهم مكوناته ، ومدى حب الشعب المغربى له . وكان يفضل دائما أن يأكل الجميع من « الكسكسى » الذى يعتبر الأكلة الشعبية فى المغرب . ونحن نعرفه هنا فى مصر ، ونقدمه بمرقة اللحم ونضع فيه التوابل ، أو بالسكر واللبن . وعندما عرف جلالته علاقتى بعبد الحليم ، ومسئوليتى عن الفريق . كان يسألنى عن أجور الفنانين . فإذا ذكرت له الأجر الحقيقى . دون جلالته بخط يده ٤ أضعاف الأجر الذى قلته . وكذلك أعضاء الفرقة الموسيقية . أما أجور الأستاذ محمد عبد الوهاب والفنان فريد الأطرش ، وعبد الحليم ، فكانت هذه الأمور ، بين الملك وبينهم ، ولم يكن أحد يعلم عنها شيئا . شىء واحد كنا نعرفه جميعا ، أن كل الأجور التى يدفعها الملك سواء من ميزانية رئاسة الديوان الملكى ، أو من جيب جلالته الخاص . كانت تدفع بالدولار . بالرغم من أن القانون المغربى لم يكن يسمح بتحويل العملة فى المغرب إلى العملة الحرة . وكانت الرياضة المفضلة عند الملك الحسن هى لعبة الجولف . وكان يلعبها فى الصباح الباكر ، ويدعو معه عبد الحليم إلى ملعب الجولف ، وفى الملعب ، كانت الصداقة بينهما تبدو واضحة وفى أجمل وأكمل صورها .

توصية ملكية

وطول إقامة عبد الحليم فى المغرب ، كان الملك يسأل عنه ، وعن صحته ، وعن مرضه . وخصوصا بعد أن فاجأ النزيف عبد الحليم وهو فى

المغرب ، فى إحدى المرات . ودخل بسببه مستشفى ابن سينا فى الرباط . هنا طلب الملك من طبيبه الخاص أن يزور عبد الحليم فى المستشفى وأن يطمئنه عليه . وأن يشرف على علاجه بنفسه . وابلغ الطبيب جلالة الملك ، بحقيقة مرض عبد الحليم . فطلب الملك مقابلة الطبيب المرافق لعبد الحليم . وطلب منه ملفا كاملا عن حالته الصحية والعمليات التى أجريت له ، والأطباء الذين عالجوه ، والمستشفيات التى عولج فيها . كل شىء . ثم أمر بأن ينقل بطائرته الخاصة إلى أكبر مستشفى للكبد فى باريس . وطلب بنفسه أكبر أخصائى فرنسى فى الكبد . د . سارازان ، وتحدث معه بالتليفون ، بالفرنسية التى يجيدها الملك . ومعظم أبناء الشمال الافريقى . وأوصاه على عبد الحليم .

وعندما عاد عبد الحليم من فرنسا . وكان قد استرد عافيته ، أدلى بعدة أحاديث إلى الصحف والاذاعة . أوضح فيها موقف الملك منه ، ومن صحته . وما قام به معه ، وكان عبد الحليم فى كل هذه الأحاديث يتصور أنه يظهر شكره العميق ، وامتنانه للمغرب . ولم يكتف بما كان يقدمه من آيات الشكر للملك فى صحافة القاهرة ، فكان عند وصوله الى المغرب ، يلهج بالشكر والثناء على تصرفات صاحب الجلالة معه ، وأيضا فى الصحف والمجلات والاذاعة . وفى كل مجلس خاص وعام . ولكن هذا التصرف من عبد الحليم ، كان له رد فعل عكسى عند الملك الحسن . وأقول إنه ثار على عبد الحليم ثورة عنيفة . وأرسل له خطابا فى القاهرة يعاتبه فيه على نشر هذه الأسرار على الناس ، قال له إن ما بيننا يجب أن يكون سرا لا يعلمه الا الله .

واجب على الصديق

وعندما سافر عبد الحليم إلى المغرب لإحياء عيد الشباب ، وعيد ميلاد الملك الحسن فى نفس العام . كان الاحتفال عظيما حضره الآلاف من الفنانين من العالم العربى كله ، وقام عبد الحليم دون استئذان وأمسك بالميكرفون فى يده ليتكلم . وقبل أن ينطق بحرف . نظر اليه الملك ، وعرف بذكائه الشديد من نظرات عبد الحليم ، وطريقة امساكه بالميكرفون ، كل ما كان عبد الحليم ينوى أن يقوله من كلمات الشكر والثناء . وفى مفاجأة أذهلتنا وشلت تفكيرنا . أسرع الملك إلى الميكرفون وانتزعه من يد عبد الحليم قبل أن ينطق بحرف واحد . وحاول عبد الحليم ، أن يبقى الميكرفون فى يده ، ولكن يد الملك كانت أسرع . وارتجل الملك أمامنا جميعا هذه الكلمة ، قال جلالة الملك : إن أشد ما أحزننى ، وأغضبنى . وجعلنى اكتب رسالة إلى عبد الحليم أن الأمور التى كانت بينى وبينه جعلها عبد الحليم علنية ، ونشرها على الناس . وهذا لا يحدث بين الأصدقاء . والتفت الملك إلى عبد الحليم وقال : عندما قمت بما تعتبره أنت تفضلا منى عليك . قمت به كواجب نحو صديق أحبه . واعتز بصداقته . ونحو فنان أسعد العالم العربى ، شماله وجنوبه ، وشرقه وغربه . بما أعطاه الله من فن أسعد به الملايين . فلا أقل من أن أقوم أنا بواجب بسيط تجاه هذا الصديق العزيز ، والفنان الكبير . وقال جلالته : ياعبد الحليم لا تظن ما أنفقته عليك ، وعلى مرضك ، صدقة . أو تفضلا . بل هذا هو الواجب . وأقل ما أرد به على كل ماقدمته من فن لنا وللعالم . وعندما أخصك ببعض ما أعطاه الله لى من أفضال ونعم ، لا أريد من أحد ، ولا حتى منك ، أن يتكلم فى ذلك أو يخوض فيه . أو يشكرنى عليه .

وكان الملك يتكلم بقوة ، وكانت عباراته صادقة ، ونبرته حزينة ، فلم نستطع أن نحبس دموعنا، التى انفلتت من عيوننا تأثرا وانفعالا . وكان اكثرنا استجابة لهذه الانفعالات ، عبد الحليم حافظ ، فانسابت دموعه أنهارا . كما قال فى واحدة من أغانيه . وحاول أن يتماسك وحاول أن يمسك بالميكرفون . ليقول للملك كلمة . فلم تطاوعه الكلمات حتى الميكرفون سقط من بين يديه . وانهار فى مكانه جالسا إلى جوار الملك . وبكى بشدة . وحاول الملك أن يخفف عنه .. ووضع يده الكريمة على كتفه وأخذ يربت عليها . وكان المنظر مؤثرا للغاية . ولو حاول أكبر مخرج فى السينما أو المسرح أن يظهره بهذه الصورة الرائعة ، ما استطاع أن يصل به الى هذا الحد من الاتقان والتأثير . ولكن الحقيقة أحيانا تفوق الخيال . وأحيانا كثيرة تتفوق على الصناعة حتى لو كانت صناعة التمثيل والسينما . وكان هذا المشهد الواقعى يعكس بصدق أجمل وأكمل صور الصداقة والوفاء والاخلاص . بين ملك يحمل لقب حضرة صاحب الجلالة ، ومطرب منحه الناس ، كل الناس ، كل الحب .

مدرسة الفن

وبرغم هذا الحب الشديد والصداقة القوية بين الملك الحسن الثانى ، وعبد الحليم حافظ . أو بسبب هذا الحب الشديد . قام جسر من الغيرة والحسد ، بين الفنانين المغاربة والفنانين المصريين . وكان الملك ومازال شديد الاعجاب بالفن المصرى . كان يقولها بوضوح وبصراحة ، ان الفن المصرى مدرسة عريقة . ومن لم يذهب الى مصر ليتعلم الفن المصرى ، فانه أمامنا الآن وفى بلادنا . وهى فرصة لمن يريد أن يدخل هذه المدرسة الأصيلة ، ويتعلم فيها الفن . وكانت كلمات الملك الصادقة ، ومشاعره الفياضة مع الفنانين المصريين تثير بعض ضعاف النفوس . فأطلقوا هذه

الوشاية التى كادت - لو أنها نجحت فى الوصول إلى هدفها - أن تدخلنا السجن ، على أقل تقدير ، ومع التخفيف فى الحكم .

هذه الوشاية ظهرت مع انقلاب قصر الصخيرات الفاشل ، وقد حدث فى واحد من أعياد الشباب ، وهو عيد ميلاد الملك . وقصر الصخيرات هو القصر الرسمى . وهو القصر الصيفى أيضا . وفى تلك السنة اجتمع فيه عدد كبير من الفنانين المصريين . على رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب ، والفنان فريد الأطرش ، والفنانة شادية ، ومحمد رشدى ، ومحمد قنديل ، ومحمد العزبى ، ومحمد الموجى ، ومحمد حمزة ، وشريفة فاضل ، وبليغ حمدى ، والفرقة الماسية بقيادة أحمد فؤاد حسن . ومن لبنان حضر مطربها الكبير وديع الصافى .

☆☆☆

وفى الليلة السابقة على يوم الاحتفال ، ويوم الانقلاب الفاشل . اقيمت حفلة فى القصر . وكان الملك يجلس على المائدة الرئيسية ، وإلى جواره الاستاذ عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم . كان يبحث معهم برنامج حفل اليوم التالى . وما يجب أن يتم فيه . وفى ذلك اليوم كان التقليد المتبع أن تفتح أبواب قصر الصخيرات فى التاسع من أغسطس من كل عام ، لكل افراد الشعب ، وتمد الموائد العامرة ، وتذبح الذبائح ، وتنصب الخيام فى الفراندة الواسعة ، الممتدة على شاطىء البحر . مساحة الفرانده حوالى ٥٠٠ متر . ويحضر الناس ، عدد كبير جدا منهم ، يأكلون ويسعدون ، ويستحمون من أول النهار ، حتى موعد الحفل المسائى ، الذى يحضره فنانون من كل انحاء العالم العربى ، والغربى أيضا .

وعندما اجتمع الفنانون مع الملك فى الليلة السابقة على موعد الحفل الكبير ، أو الختامى . وجه الملك حديثه إلى الاستاذ محمد عبد الوهاب . وقال يا أستاذ ، عايزك بكرة تغنى لنا . ودارت الأيام ، ومرت الأيام .

وفوجىء الاستاذ عبد الوهاب . ونظر إلى الملك من وراء عدساته السميكة فى دهشة . وقال : بس أنا مش جاهز يا مولانا . وقال الملك : مش جاهز ازاى يا أستاذ ؟ وقال الأستاذ بذكائه وسرعة بديهته : أولا الموسيقيين مش حافظين اللحن . ومش مستعدين لأدائه معى . ثانيا لازم نعمل كام بروفة ، والوقت ضيق . ثالثا .. ولكن الملك ألح على الأستاذ عبد الوهاب قبل أن يسترسل فى الكلام : عايز أسمع ودارت الأيام . وهمس عبد الحليم فى أذن الأستاذ : ايه ده يا أستاذ ؟ ! لا يمكن ترفض . ده أمر ملكى . ولابد من تنفيذه . وسكت الأستاذ عبد الوهاب عن الكلام . وفكر قليلا . ثم قال : إذا كان لابد ، وجلالته مصر على أن أغنى فى حفلة بكره ، فأرجو اعفائى من حضور وليمة الغداء مع جلالته لأستعد . وكان الاستاذ عبد الوهاب مدعوا لحفل الغداء ، على مائدة الملك فى قصر الصخيرات . هو والسفير البلجيكى الذى قتل فى محاولة الانقلاب برصاص المتمردين . وفعلا أعفى جلالة الملك الاستاذ عبد الوهاب من حضور حفل الغداء المشئوم . وطلب من أحمد فؤاد حسن أن يلازم الاستاذ عبد الوهاب لعمل البروفات اللازمة من الصباح . ولم يحضر الاستاذ ، ولم يشاهد المذبحة التى تمت فى القاعة الكبيرة . وراح ضحيتها عدد من المدعوين .

● ● ●

ففى اليوم التالى ، توجه أغلب الفنانين إلى احتفالات الصباح فى قصر الصخيرات . وامتد المرح والفرح طول النهار . وبعد الغداء طلب منى الفنان فريد الأطرش أن نعود إلى الفندق ليستريح . وكنت فى حاجة إلى هذه الساعات القليلة من الراحة لاستئناف الحفل فى المساء ، والسهر حتى الساعات الصغيرة من الفجر . وركبت مع فريد الأطرش ووديع الصافى فى احدى السيارات . وخرجنا من القصر . وعند البوابة الرئيسية قابلنا عدد من السيارات المحملة بالجنود ، فى طريقها إلى داخل القصر . وعلى الطريق العمومى . سمعنا بعض طلقات الرصاص فى انحاء متفرقة وبكثافة غير عادية . وسألت فى دهشة وفى حذر . ورد على وديع الصافى بفرح ، وبلهجته اللبنانية : والله ياأخى ، بيقوصوا .. بيقوصوا . يعنى انهم يطلقون الرصاص ابتهاجا بالمناسبة . ووصلنا إلى فندق هيلتون الرباط ، حيث كنا نقيم مع باقى الفنانين . ووجدنا على الباب وأمام الفندق عددا كبيرا من الفنانين والنزلاء . وعندما علموا أننا كنا فى قصر الصخيرات . وأننا قادمون منه . سألونا : هل صحيح أن الملك قتل ؟ وهل مات معه عبد الحليم ؟ هل هناك انقلاب فعلا ؟ ايه الحكاية بالضبط ؟ ولم أسمع بقية الاسئلة . فقد كنت فى حالة بين الفزع والذعر . وتذكرت الجنود المغاربة فى السيارات العسكرية داخلين إلى القصر ، وأصوات الطلقات النارية . والأفكار السوداء تحيطنى من كل جانب .



مع الملكة السابقة دينا وكلام عن آخر أغانيه وأمراضه



بروفة فى المغرب بين الأستاذ وعبد الحليم

عبد الحليم
وأسلحة المتمردين

الصداقة مع الملوك لها بريق يخطف الأبصار . ولها ثمن قد يكلفك حياتك . وفى يوم من الأيام . وجد عبد الحليم حافظ نفسه فى المغرب . وفى مبنى الإذاعة ، فى موقف لا يحسد عليه ، بينه وبين والموت ، طلقة رصاصة ، أو ضربة سونكى . وعرف وهو فى حجرة المونتاج المغلقة أن انقلابًا وقع ضد الملك . ولم يكن يعرف ساعتها أن قائد الانقلاب هو الجنرال أوفقير ، أقوى رجل فى المغرب بعد الملك . يومها طلب منه المتمردون أن يقرأ بيان الانقلاب فى الإذاعة ، ورفض عبد الحليم ، فضربوه ، وأهانوه ، وحبسوه ، ومزقوا ملابسه . ولكنه قالها بينه وبين نفسه . النار ولا العار . والنار كانت تحيطه من كل جانب ، وأصوات الرصاص والانفجارات تخرق أذنيه . والعار أن يخون صديقه ملك المغرب . واتخذ عبد الحليم أصعب قرار فى حياته . وواجه قوات المتمردين وأسلحتهم ، بسلاح واحد .. بالعقل !

عندما

وصلنا إلى فندق هيلتون الرباط . وجدنا الفنانين المصريين والموسيقيين ، وعددا كبيرا من النزلاء عند الباب الخارجى للفندق على غير العادة . وعندما شاهدونا أقبلوا علينا فى لهفة ، كانت الأسئلة تخرج من أفواههم مذعورة ، مضطربة ، متلاحقة ، هل حدث انقلاب ؟ هل قتل الملك ؟ هل مات عبد الحليم ؟ كم عدد القتلى والمصابين ؟ وكان رد فعلنا غريبًا . وقد كنا فى قصر الصخيرات ، ولم نشاهد الانقلاب . وبدأنا نسألهم بدورنا : إيه الحكاية ياناس ؟ هوه حصل إيه ؟ وفى حجرتى بالفندق طلبتنى عاملة التليفون . وهى مصرية ، والرعب يغلف كل حرف تنطق به ، ويهز أسلاك التليفون فى يدى : شفت اللى حصل فى قصر الصخيرات ؟ وقلت لها فى هدوء : أنا تركت القصر ، وكل شىء فيه طبيعى . قالت بنفس النبرات المذعورة : أبدًا .. أنا جالى تليفون دلوقت ان الملك مات . وعبد الحليم كمان . وبدأ الخوف يتسلل إلىّ . شىء واحد كان يحاول تهدئتى . ويطمئننى ، أنى متأكد من أن عبد الحليم لم يذهب فى ذلك اليوم الأسود إلى القصر . ولم أستطع البقاء فى حجرتى ، فنزلت إلى « الريسبشن » ، الاستقبال ، رأيتهم يحملون بعض الجرحى ، والمصابين والدم ينزف منهم . وزحام، وناس تدخل إلى الفندق فى سرعة ، وفى هلع . وتذكرت السيارات المحملة بالجنود التى قابلتنا فى الطريق ، وأصوات الرصاص . وبدأت أفكر فى هدوء . وأحاول أن أسيطر على انفعالاتى . ولكنى لا أعرف شيئًا عن الأمور الداخلية فى المغرب ، ولا عن أوضاعه السياسية . ولا يمكننى أن أحكم على الأمور بمنطق سليم . كل ما تأكدت منه أن انقلابًا وقع . وأن موقفنا - كضيوف للملك - فى منتهى الحرج . وبدأت أتصل بالرفاق فى الفندق ، وأولهم الأستاذ محمد عبد الوهاب ، طبعًا . كانت الأنباء قد وصلتهم مثلى . وطلبت عبد الحليم فى حجرته ، فلم أجده . سألت عنه فى اللوكاندة

كلها . لم يكن موجودًا . سألت عن الموجى ، وبليغ حمدى . قالوا إنهما خرجا من الصبح ، ولكنى وجدت شحاته ابن خالة عبد الحليم . وأنا أعرف أنهما لا يفترقان أبدًا . وسألته بسرعة : فين عبد الحليم ياشحاته . قال إنه ذهب إلى الإذاعة لعمل مونتاج ، للأغنية الجديدة . فقلت فى غضب : مونتاج إيه ! إزاى تسيبه يروح وحده . اتصلت بالإذاعة المغربية بالتليفون . كانت التليفونات تعمل حتى ذلك الوقت . وجاءنى صوت عبد الحليم هادئًا متثاقلًا : ألو .. أيوه يامجدى . وتلاحقت أسئلتى : بتعمل إيه عندك ؟ أنت لوحدك ؟ الحالة عندك هادئة ؟ فيه حاجة مش طبيعية ؟

ويرد علىّ عبد الحليم بهدوئه المعتاد : إيه الأسئلة دى كلها يامجدى . أنت عارف إنى باعمل مونتاج ، هو حصل إيه ؟ قلتُ له وأنا أحس بالخطر الذى يتهددنا جميعًا : سيب أى حاجة فى إيدك ، وتعال فورًا ، باختصار حصل انقلاب ، والملك قتل . فاهم ؟! ويرد على بعدم اكتراث : إيه الكلام الفارغ ده ؟ أنت بتتكلم منين ؟ ده تخريف اللى بتقوله ، ده كلام فارغ طبعًا . قلت له وصوتى يحمل كل ألوان الخوف والقلق : دى أخبار مؤكدة . فقال فى عناد : طيب أنا مش ح انزل دلوقت . وأنهى المكالمة . بنفس الهدوء ، وكأنه يكلمنى من بيته فى الزمالك : طيب يامجدى ، أكلمك بعدين . وتركنى على السماعة ، وأنا أغلى من الغضب .

مرة ثانية

وطلبت النمرة مرة ثانية . وقلت له بحدة : يا عبد الحليم ، ارجوك أنزل من الإذاعة فورًا . ده مش هزار . ويرد بعناد : مش ح انزل إلا لما أخلص المونتاج . ويحصل اللى يحصل . وللمرة الثانية ينهى المكالمة . ويتركنى مع القلق والحيرة ، والخوف الشديد . وتوافد الرفاق إلى حجرتى . وبدأوا يتساءلون ، فى جنون . هل الانقلاب حقيقى ؟ من

الذى قام به ؟ وما مصير الملك ؟ وماذا سوف نفعل نحن ؟ وما هو مصيرنا ؟ وكانت الأمور غامضة ، ومفزعة . ولا شئ يطمئن على الإطلاق . وفجأة ونحن فى قلب هذا القلق وهذه الحيرة . بدأت إذاعة الرباط فى إذاعة أنباء الانقلاب ومصرع الملك ، والاستيلاء على الحكم . وعلى الإذاعة . وتجسدت المأساة كلها أمامنا . وتحول حالنا إلى هم وغم ، وكرب عظيم . وكان السؤال الذى يهزنا جميعًا . أين عبد الحليم الآن ؟ ما هو موقفه ؟ دقائق ثم ساعات . وجاء المساء . كئيبًا ، حزينًا ، أسود قاتما ، رغم جمال الأمسيات فى الرباط ، فى ذلك الوقت من السنة . وفى توتر شديد كانت أصابع الرفاق على مؤشرات الراديو ، وآذانهم تلتصق بها . وفى السابعة مساء . بدأت إذاعة طنجة تذيع بياناتها . كانت الأخبار تقول ان الملك نجا من الموت . وأنه عين أو فقير حاكمًا مؤقتًا للبلاد لتسيير الأمور ، وأن الملك فى مكان آمن . وصدقنا إذاعة طنجة على الفور ، وكذبنا كل ما تقوله إذاعة الرباط . وشملنا فرح طفولى . وعلى لساننا كلمات : الحمد لله ، ربنا ستر . كابوس وانزاح . ثم انطلقت بعض الزغاريد من المصريات اللاتى سمعن هذه الأخبار المبهجة . وكان رد فعل طبيعيا . ولم نكن نعرف أن هذه الزغاريد سوف تضعنا فى موقف حرج بعد ذلك . وأنها يمكن أن تدخلنا إلى السجن . ولكن هذا حديث آخر . المهم أين عبد الحليم الآن ؟! ويظل القلق مسيطر علينا ، والخوف من المجهول يكتم أنفاسنا .

الملك حى

وحاولنا الاتصال بالاذاعة . كانت الاتصالات قد قطعت من الاذاعة ، واليها . وبدأت الاقتراحات . قالوا : ننزل كلنا ومعنا جوازات السفر المصرية . نبحث عن عبد الحليم . ورفض الاقتراح . أولا لأنهم أصدروا

قرارا بمنع التجول فى الشوارع ، و ثانيا لأننا ضيوف الملك . وسوف يقبض علينا المتمردون . وحاولت أن أضع على وجهى ابتسامة شاحبة لكى أطمئن الموجودين . وكان موقفى مكشوفا ومحاولتى فاشلة . وهنا قرر محمد الموجى أن ينزل وحده ، مهما كانت الظروف وعارضنا الاقتراح . ولكن اصراره كان يتحدى اعتراضاتنا . وهنا تقدم الكاتب الصحفى محمود عوض . وكان مع المجموعة فى مهمة صحفية . ووقف بيننا ، كان أطولنا جميعا . وصوته غليظ ، قوى ، وصاح فى جرأة : أنا نازل مع الموجى لابد أن نبحث عن عبد الحليم . لابد أن نعرف ماذا حدث له . وحسمت كلمات محمود عوض الأمر . ونزلا فعلا . ومرت ٣ ساعات طويلة مملة . مخيفة . والقلق يزداد ، والجرى وراء المحطات فى الراديو يزداد ونسمع اذاعة ليبيا . فيزداد الخوف . إنهم يؤكدون نجاح الانقلاب وموت الملك . ونسمع إذاعة القاهرة ، فتزداد الحيرة . فهم على الحياد . يذيعون بيانات اذاعة الرباط . وأخبار إذاعة طنجة .



وفى الساعة الواحدة صباحا بدأت الامور تأخذ طريقها إلى الاستقرار وبدأت اذاعة الرباط فى تغيير برامجها . وأوقفت اذاعة بيانات المتمردين وبدأت تتوحد مع إذاعة طنجة . وأعلنت الاذاعة بشكل قاطع ، ومؤكد أن الملك حى . وأنه يسيطر على الموقف . وأنها سوف تذيع حديثا بصوت الملك .. وفعلا أذيع الحديث بصوت الملك . وهدأت النفوس ، واطمأنت القلوب . ولكن أين عبد الحليم حافظ ؟ أين محمد الموجى ؟ فين محمود عوض ؟ وعاد الخوف مرة أخرى . حتى الثانية صباحا . وصل الموجى ووصل محمود عوض وفرحنا بعودتهما بالسلامة . و لكنهما قالا : لم نصل إلى عبد الحليم ولم نعرف عنه شيئا . ولكن الأحداث بدأت تظهر بوضوح اكثر . وبدأت قوات الملك تسيطر على الموقف . حتى الثالثة صباحا ، لم

ننم ليلتها . لم يستطع ولا واحد منا أن يغمض جفنه . أو تهدأ أعصابه . حتى دخل علينا عبد الحليم . كان شكله غريبا شعره أشعث . ووجهه أغبر . وهدومه ممزقة . وجسمه كله جروح . ويداه وركبتاه حتى البنطلون ممزق من عند الركب . وقميصه متسخ ، وأكمامه بلون التراب الغامق . وكان شاحبا ضعيفا على ضعفه ، متهالكا . زائغ العينين . وكل جسمه ينتفض . وتسابقنا جميعا نتحسسه ، وننفض التراب من على ملابسه . ونحن لا نصدق انه عاد . ولكن شيئا قد حدث له . وأخذنا نسأله ونلح فى السؤال ، والاستفسار . ساعة كاملة قبل أن ينطق بكلمة .

عودة الأسير

قال عبد الحليم : لقد كنت أسير الانقلابيين . ولكنى كنت أردد بينى وبين نفسى : قل كنت أسير عنادك . وأسير حبك للملك الحسن . وأسير اتقانك لعملك . وبين إنصات الجميع ، ودموعهم ولهفتهم على سماع قصة عبد الحليم مع الانقلاب الفاشل . استوقفته قبل أن يبدأ فى الحديث . وطلبت منه : خش اغسل وجهك ، وغير هدومك . ونظر إلى عبد الحليم فى استعطاف وفى انكسار . وقال : قبل أى حاجة ، أنا عايز آكل . أنا مادقتش أى حاجة من الصبح لغاية دلوقت . هات لى أكل . أنا ح افضل عِنَدى وما اسمعش كلامك لغاية ما أودى نفسى فى داهية .

ووضعت يدى على كتفه ، وقلت له : حمد الله على سلامتك . وطلبت الأكل من الأوفيس الذى ظل ساهرا طول الليل . واتصلت بالاستاذ عبد الوهاب فى حجرته . كان مستيقظا وقلت له : عبد الحليم رجع يا أستاذ . فاطمأن الأستاذ وقال : دلوقت بس اقدر أنام . ولم أكن أعرف أن هذه العبارة التى قلتها للاستاذ فى الفجر . سوف تكون السبب فى نجاتنا من السجن بعد ذلك .

وبدأ عبد الحليم يحكى حكاية الساعات القاتلة التى غاب عنا فيها . وفى البدء وجه كلامه إلىّ وهو يقول : عندما اتصلت بى بالتليفون وقلت لى على حكاية الانقلاب . بصراحة أنا صدقتك . وقلت إن انقلابا قد وقع . ولكنى لم أصدق اطلاقا موت الملك . كان عندى إحساس قوى أن الملك عايش . وقلت فى نفسى ان الانقلاب لن ينجح أبدا . وسيطرت على هذه الحقيقة ، وملكت على حواسى وذهنى ، وأفكارى . وظللت أقوم بعملية المونتاج للغنوة ، عادى خالص . وبدأت الملاحظات تتجمع حولى . وحول مهندس المونتاج الذى يعمل معى . وبدأنا نتأكد أن هناك انقلابا . واقتربت أصوات الرصاص منا . رغم إحكام منافذ حجرة المونتاج . أصبحت طلقات الرصاص داخل المبنى. وسمعنا اصوات المترواليوزات ، والبنادق الآلية فى الدور الذى نعمل به . و سيطر الفزع على مهندس المونتاج . وحاول أن يترك الاستوديو ويخرج مسرعا . ولكنى أمسكت به . و همست فى أذنه - مفيش شك كنت خايف - ولكن قلت له : لاتخف .. إن بقينا فنحن ميتون ، وإن خرجنا فنحن ميتون : ياسيدى نموت هنا بشرف . بدلا من أن نتلقى الرصاص فى ظهورنا كالجبناء . ورأيت الباب يفتح بقوة وبعنف . وشاهدت أكثر من ٢٠ جنديا مسلحا ودخل واحد منهم كالقذيفة . وكان ضابطا يحمل مدفعا رشاشا ، ويده على الزناد . وخلفه جنديان يحملان بنادق سريعة الطلقات . سمعناها قبل أن يفتح الباب . وكانت نظراتهم زائغة ، ويبدو عليهم التعب والعذاب . وقال لى الضابط : انت ايش تسوى هنا يا عبد الحليم ؟ قلت له ، ونبرات صوتى ترتجف على طريقة اغنية ياسيدى أمرك - : زى ما أنت شايف ، باعمل مونتاج للأغنية . قال لى فى غضب : طيب للأمام سر . وسرت أمامه . ومهندس المونتاج إلى جوارى . وماسورة الرشاش فى ظهرى . يعنى ضغطة بسيطة على الزناد . وينتهى كل شىء بالنسبة لى . ووصلنا إلى

غرفة الاذاعة الخارجية فوجدت بها مجموعة أخرى من الضباط . وعند دخولى صاح الضابط من ورائى . كانت لهجته فى هذه المرة تمتلئ بالفرح وبالسعادة : وجدت الحل لمشكلتنا . جبت لكم اللى يذيع البيان . هذا ما فهمته من لهجته المغربية .. البدوية وبسرعة تقدم منى ضابط آخر ، وقدم لى ورقة . واستطعت بين الدهشة والخوف أن أقرأ الكلام المكتوب فى أولها . وكان عنوانا على رأس الصفحة . وبخط كبير : البيان الأول للانقلاب . ولفت نظرى كلمة الانقلاب . وبدأت كلمات البيان تتراقص أمام عينى . وفى ذهنى معركة أقوى وأعنف من المعركة التى أسمع أصواتها خارج حجرة الاذاعة . وصممت بينى وبين نفسى على عدم قراءة هذا الكلام أمام الميكرفون . وبدأ شريط من ذكرياتى مع صديقى الملك الحسن يمر أمامى . وبالتصوير البطىء .. لقطة لقطة .

☆ ☆ ☆

الملك الذى وقف بجانبى فى محنة مرضى . وارسلنى بالطائرة إلى باريس .. طائرته الخاصة ، وأشرف على علاجى بنفسه ، واستضافنى بمنتهى الكرم والسخاء . ومعى كل الرفاق . هل يمكن أن أنسى كل هذا ؟ هل يمكن أن أخون صديقى . واشترك فى هذه المؤامرة الدنيئة . واذيع ، أنا بالذات ، أول بيان ضده . لن يكون ، وأبدا أبدا لن يكون . حتى لو كانت حياتى هى الثمن . ودار عقلى بسرعة ، يفتش عن مخرج من هذه الورطة . وكيف اقنع هؤلاء الارهابيين ، الذين يتعاملون بالرصاص وليس بالمنطق . وبعد أن قرأت الفاتحة فى سرى مرات ، اتكلت على الله . وقلت لهم محاورا : ولكنى للأسف لا استطيع التحدث باللهجة المغربية ، التى يجب أن يلقى بها البيان . واطلق واحد من الضباط الشرر من عينيه ، قبل أن يقول لى بحدة : لا تتهرب ياعبد الحليم ، ليس لدينا مانع من أن تقرأ البيان باللغة العربية الفصحى ، طبعا عارفها . ويبدو أن الذى قال هذا

الكلام هو اكبر واحد فى هذه المجموعة . ولف الصمت الرهيب جو الاستديو . ولم تفلح الحيلة ، ويبدو أنهم يفكرون أيضا . وحاولت أن اتماسك . وكأن شخصا فى داخلى يتكلم بالنيابة عنى ، وقلت : تسمحوا تقولوا لى انقلاب ايه ده اللى يذيع البيان الأول فيه ، واحد مصرى ! معنى كده أنه ليس هناك مغربى واحد مقتنع بعملكم ، يتقدم ، ويقرأ البيان ، وربما أخذتهم المفاجأة من منطقى ، ومن قوة أعصابى . وظهر الغضب على الوجوه .. ودفعنى أحدهم بقوة فى صدرى ، ألصقنى بالحائط : وقال لى بغضب أشد : اخرس خالص ! لا تتكلم أبدا ! وآلمتنى الضربة ، ومازالت تؤلمنى حتى الآن . وبقيت ملتصقا بالحائط . أرقب ما يحدث فى صمت وحذر .

انقلاب بالصدفة

ومن نظرتى العامة ، بدأت أكون فكرة عنهم . فهم مجموعة لا تؤمن بما تفعل ، ويبدو أن فكرة الانقلاب ظهرت لديهم فجأة . فلا تخطيط ولا ترتيب . وكأنهم من نوع الانسان الآلى ، ينفذون بلا وعى ولا احساس . واحد من الضباط بينهم كان ينظر إلى وفى عينيه بريق عاطفة لم أخطئها . وكنت ألمح فى وجهه شبح ابتسامة باهتة ، ومزيجا عجيبا من الحيرة والقلق . وقلت فى نفسى ، ربما كان هذا الضابط من المعجبين ، يمكن بيحبنى لله فى لله ! وحاولت أن أقرأ أفكاره على ضوء هذا الحب ، وهذا الاعجاب . ربما يحاول مساعدتى . وبدأت اقترب منه فى خوف شديد وفى حذر أشد ، وببطء حتى لا يلاحظ زملاؤه ، وفى نفس الوقت كانوا مشغولين فى البحث عن أى واحد ، يلقى البيان . حتى وجدوا ملحنا ضريرا ، كان موجودا بالصدفة فى المبنى . تصوروا واحد أعمى يلقى البيان ! ووضعوه أمام الميكرفون . وقرأوا عليه الكلام عدة مرات حتى

حفظه . وطلبوا منه أن يعيد قراءته أمام الميكرفون كان الرجل مضطربا ، مرتبكا . وكان يخطىء كثيرا . وفى كل مرة يخطىء فيها ، كان يتلقى ضربة على كتفه أو ظهره من كعب البندقية . وكانت كل ضربة تزيده خوفا وارتباكا . وانتهى تسجيل البيان ، وسمعوه عدة مرات حتى استقروا على واحدة من المرات التى سجلها هذا الملحن الضرير . فأذاعوها . وأطلقوا سراحه .

وبعدها جلسوا يتدبرون أمرى بصوت مرتفع ، نعمل فيه إيه المغنى المصرى ده ؟! وكان عقلى يدور بسرعة . وتوقعت أسوأ الاحتمالات . خصوصا وقد رأيت ارتباكهم ، وتخبطهم عند اذاعة البيان وازداد يقينى بعدم ايمانهم بما يعملون ، عندما نظرت الى عيونهم الميتة ، ليس فيها الا الكراهية لكل شىء .. فكرة واحدة كانت تطمئننى وأنا أنظر اليهم .. واتصور كل قوات الانقلاب على هذا الحال ، ان الملك لم يقتل ، وأن هذا الانقلاب مصيره إلى الفشل لا محالة . وانتبهت من تخيلاتى على الصمت المفاجىء . كانوا قد انتهوا من المناقشة ، فى أمرى ، وأمر زميلى مهندس المونتاج ، وصاح الضابط الذى ضربنى فى صدرى ، وكأنه يصدر أمرا عسكريا : لابد من القضاء عليهما فورا . واختلف الضباط . مجموعة منهم تؤيد فكرة الخلاص منا . ومجموعة تطالب بالصبر قليلا لتتبين أمرنا . وتتضح الأمور . وكنت أمامهم أرى بالعافية ، وأسمع « طشاش » . كلمات متفرقة متناثرة وكان شريط حياتى يدور أمامى كفيلم فى السينما . وأيام الحلوات قريتى وبيتى فى الريف واخوتى . وسلام التعب والعرق والكفاح ، ومقابلة الجمهور لى فى أول مرة فى الاسكندرية . غضب الجمهور كان أرحم بكثير من هذا الموقف .. ووقعت نظراتى على الضابط الشاب الذى أحسست فى عيونه بالحب . وتصورت أنه يعرفنى ربما تقابلنا فى مكان ما . وأجهدت ذاكرتى ، فين يا عبدالحليم .. فين ؟ وكان هذا

الضابط الانسان يترك المناقشة ويضع عينيه على كأنه يحمينى منهم . أما أنا فلم أكن أرفع عينى عنه . وجه مريح ، وهادىء . وسط هذه الوجوه الغاضبة المكفهرة . والعيون المتعبة الزائغة . وكنت مشدودا اليه بقوة غريبة . ولا أعرف السبب ..

●●●

وتنبهت إلى صوت هذا الضابط الشاب وهو يقول لرفاقه : لا داعى لكل هذه المناقشات ، والوقت يمر علينا هنا . اتركوهم لى وسوف أضعهم فى الغرفة السفلى مع باقى المقبوض عليهم . وظهر الغيظ على وجه الضابط الشرس الذى دفعنى فى صدرى . ولكنه فى هذه المرة كان يستعمل كعب بندقيته بقوة . مرتين ، ثلاث مرات . وتوقعت فى المرة الرابعة أن يكون السونكى هو الحل . وسمعته يوجه الكلام لى بلهجة مغربية بدوية . ويبدو أن كلماته كانت تحمل كل ألوان الشتائم والسباب .. والذى تبينته من كلامه أنه قال : مش انت المغنى المصرى الذى يحضر للغناء فى أعياد الملك واولاده لابد أن تذوق المر والعذاب مثلهم . وكان يتكلم ولا يتوقف عن الضرب المؤلم الموجع . وكنت أسمع بعض الكلمات تتساقط من أفواه زملائه اتركه الآن . وسوف نتصرف معه هو وزميله مهندس المونتاج . فى الغرفة السفلى . وكنت أسأل نفسى ، ما هى هذه الغرفة السفلى ؟ وما هو مصيرى فيها ؟ ..



عبد الحليم حافظ فى حالة هدوء .. لحظات قليلة فى حياته .



اللمسات الأخيرة قبل الخروج .



ومع د. هشام سرور قبل كل حفلة



وكانت الجنود تحيط بعبد الحليم فى كل مكان .

شاهد على الانقلاب !

المغرب ، واجه عبد الحليم حافظ الموت ، عندما أحاط به الجنود فى وضع الاستعداد لاطلاق النار . وكانت نظراتهم الشرسة كافية لأن يفقد الانسان رشده ، وأن يستسلم لكل أوامرهم . ولكنه تمسك بموقفه ، وتماسك فى شجاعة نادرة . حتى عبد الحليم نفسه لم يصدق أنه كان فى هذا الموقف . وهو يحكيه لرفاقه . والرفاق حائرون ، مذهولون ، ينصتون لكل كلمة ، وكل حرف حكى لهم عن الغرفة التى حبسوه فيها مع مهندس الصوت . ولكن مفتاح الغرفة كان فى جيبه . سلمه له واحد من الضباط فى السر . وظل عبد الحليم فى مخبئه . يسمع أصوات الرصاص والانفجارات . ولا يرى جنود الانقلاب .

يشاهدوه ، ولم يعرفوا أنه مختبىء فى الغرفة وخرج فى الظلام وظل يزحف ٣ ساعات كاملة إلى باب الفندق . وكان يتحسس طريقه على ضوء الانفجارات والحرائق . والرصاص حوله . واستقرت واحدة من الرصاصات الطائشة فى رأس زميله مهندس الصوت . وكان يلتصق به . وفجأة ثقل جسم عبد الحليم . وعرف أن المهندس سقط فوقه .

ولم

والحكاية نسمعها من صديق عمره مجدى العمروسى وهو يقول : بدأ عبد الحليم يحكى لنا الموقف الصعب الذى واجهه فى الاذاعة وقال :

شخص واحد بين هذه المجموعة الشرسة من الجنود والضباط كان يطمئننى على حياتى ومستقبلى . وكانت ابتسامته التى لم تظهر على شفتيه تملأ نفسى بالراحة والهدوء . ويبدو أن هذا الاطمئنان وهذا الهدوء ظهر على قسمات وجهى ، وعلى تصرفاتى . ويبدو أنه أغاظ الضابط البدوى غليظ القلب ، فعاد إلى ضربى بمؤخرة بندقيته - ولا مؤاخذه - بحذائه الذى لا يقل غلظة عن قلبه . وفى هذه المرة ، تصدى له زملاؤه ، ومنعوه فى كثير من الجد والجفاء . وسمعت أصواتهم ، تصيح فى حدة : اتركه الآن ، وسوف نتصرف فى أمره ، هو وزميله - يقصدون مهندس الصوت - مع باقى المقبوض عليهم فى الغرفة السفلى .

بلاش كلام

حدث كل هذا ، وزميلى مهندس الصوت ، يندب حظه العاثر الذى جعلنى اختاره هو بالذات ، فى تلك الليلة حالكة السواد ، من ذلك اليوم المشئوم ، ولكنه - والحق يقال - كان فى منتهى الشجاعة . وخرجنا من غرفة الاذاعة الخارجية . الضباط ، والمهندس وأنا ، ومعنا الضابط الشاب الذى قرأت فى عينيه حبه لى . ولكنه لم ينزل بنا إلى الغرفة السفلية ، كما

قال لزملائه . إنه أشار الينا ، وضع أصبعه على فمه ، وهى لغة عالمية يفهمها كل البشر ، فى كل البلاد ، فى كل الظروف ، اسكت . اصمت ، بلاش كلام . وبحركة سريعة ، رأيناه يبتعد بنا عن رفاقه ، ويصعد السلم أمامنا قافزا فى كل مرة درجتين ، وهو يشير الينا ، بسرعة ، ورائى . ونحن ننفذ اشارته بنفس السرعة . حتى وصلنا إلى آخر دور فى المبنى ، الطابق العلوى . وادخلنا إلى غرفة كبيرة كانت بها أجهزة التكييف وأجهزة الانارة الخاصة بكل مبنى الاذاعة . وكان عقلى يدور بسرعة فى تصرفات هذا الضابط معنا . ولماذا جاء بنا إلى هذه الحجرة . وأخيرا تكلم الشاب فى همس . كانت كلماته كأنها تسحبنى من بئر عميقة . وهو يقول : يا أستاذ عبد الحليم أرجوك أن تمتنع عن الكلام ، وعن الحركة ، وأن تلتزم بالهدوء التام . لا تتحرك ، أنت وزميلك ، وسوف أعود اليكما بعد قليل . وفوجئت بكلمة استاذ ، وأرجوك . هذه الكلمات التى لم أسمعها طوال هذا اليوم الأسود الملىء بالخوف ، والعذاب .

☆☆☆

وبدأت الفرحة تدخل فى قلبى . لقد صدقت فراستى ، وصدق إحساسى نحو هذا الشاب . واستطاع لسانى أن يتحرك بعد أن ظل ملتصقا بحلقى فترة طويلة . وقلت له : ان أمنيتى الوحيدة فى هذه اللحظة ، أن اشرب قليلا من الماء . فقد قتلنى العطش . ثم استرخت عضلات وجهى المشدودة ، الخائفة ، وأنا أراه يقترب منى وعلى وجهه ابتسامة كبيرة ويقول : يا عبد الحليم اننى أحبك . وأحب كل أغانيك . وكنت أسافر إلى مصر خصيصا ، من أجل أن أسمعك . أما رفاقى الجنود والضباط ، فهم من العسكر البدو ، وهم لا يعرفون شيئا عنك . ولا عن الغناء ولا الموسيقى . والشىء الجميل الوحيد الذى قابلته ، فى هذه المحنة ، وكان شيئا طيبا ومفرحا هو لقائى معك ، وبرغم كل هذه

الظروف ، فأنا أعتبر هذه اللحظات هى من أسعد لحظات حياتى . وربما أتمكن من تقديم أى مساعدة لك . وأملى الآن ، أن انقذ حياتك ، وأن أخرجك من هذا المكان . كلام جميل ، كلام معقول ، حلو الكلام ، ولكنه تركنا وحدنا فى الحجرة ، وانصرف ويكفى ألا يعرف الانسان ما يدور حوله ليصاب بالرعب . وكنت وزميلى المهندس ، نسمع فى بعض الأحيان أصوات الرصاص تشتد ، وكأنها معنا فى الحجرة ، ثم تهدأ وتبتعد ، وتكررت العملية عدة مرات ، وقلت لزميلى ، لابد أن هناك هجوما ، وهجوما مضادا ، لابد أنهم يقاومون المتمردين . ويمنعون قواتهم الباقية من دخول مبنى الاذاعة ولكن الأصوات زادت ، طلقات وانفجارات ، وزاد عليها رائحة البارود الذى بدأ ينفذ من تحت عقب الباب . ويدخل إلى أنفى فيصيبنى بحالة من الغثيان . ساعة ، وربما يوم ، أو سنة ، فى هذا الرعب ، ثم وجدنا الباب يفتح فى هدوء . ويظهر من فتحته وجه الضابط الشاب الصديق . ومعه أجمل هدية فى الدنيا . و لم أصدق عينى ، وهو يمد يده لى وفيها زجاجة من الماء البارد المثلج . وتصورت أننى أحلم ، ولم أصدق عينى . كيف استطاع أن يحقق هذه المعجزة وسط الرصاص والزجاج ، والبارود المتطاير فى كل مكان . ومع زجاجة الماء المثلج ، ناولنى قطعة من الخبز الجاف . وضعتها فى فمى بسرعة ، فكانت أحلى وأشهى عندى من الكباب ، والرومى ، والسومون فيميه ، والفواجراه .. وكل الأكلات التى أشتهيها ولا أتذوقها بسبب مرضى اللعين .. وحمدت الله . فلم أكن اتصور أن أجد بين الموت والدمار والرصاص وأشلاء القتلى ، مثل هذا الانسان ، فى شهامته ، ومروءته وحبه ، إنه انسان آخر غير الذين يقاتلون ، ويَقتلون ، ويُقتلون ، وكان الماء المثلج على لسانى وفى حلقى أحب إلى من شراب العرقسوس ، الذى أحببته منذ طفولتى وفى قريتى .

دبة النملة

وقال لى الضابط الشاب وهو يناولنى الماء ، والخبز : يا أستاذ عبد الحليم ، فيه هجوم مضاد من القوات الموالية للملك . والأمر بالنسبة لنا يبدو سيئا . ولا أعرف إذا كنت سوف أعيش ، وأنجو ، وأعود اليك ، أو أكون من الهالكين . على العموم . سوف أترك لك مفتاح الحجرة ، أغلق عليك الباب من الداخل . ولا تفتحه الا عندما تتأكد تماما أن الامور هدأت . ساعة اثنتين ، عشر ساعات .. لا يهم الزمن . المهم أن تشعر بالهدوء التام . أما إذا تحسن الموقف ، وعدت اليك ، فسوف أدق على الباب ثلاث دقات هكذا . ودق الباب بالعلامة المتفق عليها . وساعتها تعرف أنى أنا الذى أقف خلف الباب . والآن أغلق الباب خلفى جيدا ، وانصرف بسرعة . وسرحت طويلا فى أمر هذا الضابط الشاب . هل يمكن للحب أن يخلق هذه المعجزة . يجعل الانسان يضحى بحياته بهذه الصورة ، فى سبيل شخص لا علاقة له به الا الاعجاب بصوته وأغانيه . ومر الوقت بطيئا ، متثاقلا . والقصف لا يتوقف ، ولا ينتهى . وأصبحت أحاسيسنا مركزة على آذاننا . وعرفت ساعتها ، معنى التعبير ، كلنا آذان صاغية . كنا ننصت لكل شىء . ونسمع كل شىء . طلقة رصاص . وقع الأقدام . دبة النملة . وحالتنا المعنوية ترتفع مع الهدوء . وتنخفض إلى درجة الصفر ، والذعر ، مع زيادة الطلقات والانفجارات .

الصبر ياباشمهندس

ولأول مرة طول النهار ، أسمع صوت المهندس ، ألصق فمه فى أذنى .. و كان يرتجف كله . وهو يهمس لى : ياسلام عبد الحليم لو استطعنا أن نصل الى الدور اللى تحتنا مباشرة . فأنا أعرف أوصل منه إلى باب خلفى .

يوصل إلى سلم لا يستعمله احد . ولن يرانا أحد ، ولا يحس بنا . ويمكننا الخروج من هذا الطريق إلى الشارع ، ونغادر المبنى . ولاحظت أن أعصابه وصلت إلى قمة التوتر . وكان عبد الحليم يحكى لنا هذه الحكاية ، ونحن منتبهون لكل كلمة تخرج من فهمه ، وأعصابنا مشدودة على الآخر . ولم يتحرك واحد منا من أمامه ، ولم تطرف لنا عين ، ولا حركة ولا نفس . وكان عبد الحليم ينظر إلى وجوهنا ، فتنفتح شهيته للحديث ، وهو يقول : سمعت كلام المهندس ، وحاولت أن أزن كلماته ، وأقيسها على حالته العصبية . ووجدت أنه وصل الى حالة من التوتر ، يمكنها أن تفقده حسن التقدير ، وصحة القرار . وربما نقرر أشياء خاطئة ، ونقوم بحركات عشوائية ، ونجد أنفسنا فى مواقف لا ندرك عواقبها . فقلت له مهدئا ، وكأنى اسمع كلمات الضابط الشاب فى أذنى : ياباشمهندس .. اصبر قليلا حتى نعرف أيه الحكاية . صحيح أن صوت الرصاص تلاشى. ولم نعد نسمعه . وربما يكون قد انتهى تماما . ولكننا لا نعرف ماذا وراء الباب ، ولا مايجرى فى طرقات المبنى . ولكن كلماتى لم تصل إلى عقل الباشمهندس . ويبدو أنه فقد السيطرة على انفعالاته . وفى سرعة ، خطف المفاتيح من يدى ، وفتح الباب ، وأطل برأسه خارجة ، ونظر يمينا وشمالا . وأشار إلىَّ أن اتبعه ، فتبعته فى حذر ورعب قاتلين . وبخطى بطيئة متثاقلة ، كأننى أسير على أطراف أصابعى . ثم أخذنا فى الزحف على الأرض ساعة كاملة ، قطعنا فيها طرقة لا يزيد عدد الأبواب على جانبيها أكثر من ٥ أو ٧ أبواب يمكنك أن تقطعها فى الظروف العادية فى دقيقة أو اثنتين على الأكثر . وكنت أتصور أن صوت احتكاك اجسامنا بالأرض أعلى من صوت الانفجارات . وكان شعر رأسى يقف ، كأن أحدا يشدنى منه فماذا يحدث لو أننا ضبطنا ونحن نتسلل بهذه الصورة .. وأخيرا وصلنا إلى الباب الخلفى ، الذى قال عنه الباشمهندس . وفتحناه بحذر ،

وكان الشارع فعلا خلفه ، ولكن من يجرؤ على الخروج ؟! كان الرصاص ينطلق ، من كل مكان ، وفى كل اتجاه . واشلاء القتلى والدمار ، والانفجارات . جهنم الحمراء .

ولكننا لم نستطع العودة بعد أن قطعنا هذا المشوار المميت . كان علينا أن نكمل المشوار بأى ثمن . وقرأنا الفاتحة والصمدية ، والمعوذتين . وخرجنا الى الشارع ، وكانت بداية رحلة جديدة من العذاب . والرعب ، والزحف . ونظرت إلى زميلى المهندس المسكين ، نظرة ذات معنى ، لم يرها طبعا ، فقد كان الظلام يغطى على كل شىء . لحظات خاطفة كنا نرى فيها الطريق على ضوء الرصاص ، والانفجار والحريق ، نستريح قليلا ، ونكمل الزحف ، ونخفض رءوسنا على قدر استطاعتنا اتقاء للرصاص المتطاير فى كل مكان . وكان الرصاص يمرق فوق رءوسنا . وعندما نشعر بالهدوء النسبى ، نرفع الرأس فى حذر لنعرف فى أى اتجاه نزحف . وما هى المسافة بيننا وبين الفندق ؟ وكم بقى منها ؟ وكانت المسافة كلها بين الاذاعة والفندق ١٠٠ متر فقط . قطعناها فى أكثر من ساعتين من الزحف البطىء . ويبدو أن زميلى المهندس قد توسم أو توهم أننا قد ابتعدنا عن مجال الخطر ، فأراد أن يطمئن إلى خلو الطريق . وكنت أزحف إلى جواره ، وأكاد التصق به من الخوف والرعب . فرفع رأسه عن الأرض حوالى ١٠ سم . أقل من شبر . وكأن أجله قد حان فى هذه اللحظة . أصابته رصاصة طائشة . فلم أشعر الا ورأسه يسقط على الأرض بقوة . وعرفت على الفور أنه أصيب برصاصة قاتلة . وسقط قلبى كله فى رجلى. فقد أصبحت وحدى تماما . الشىء العجيب أننى بدأت أتحسس جثة زميلى ، لقد مات هذا المهندس الشهم . ولا أدرى كيف واتتنى كل هذه الجرأة ، وأنا أقرأ الفاتحة على روحه . وانتهيت من القراءة . فوجدت هدوءا عجيبا يلفنى وراحة واطمئنانا يشملنى .. رحمتك يارب ، ولطفك بى .

ساعدنى فى الوصول إلى زملائى فى الفندق . وأيقنت أن الله معى . وأكملت المسيرة ، أو الزحف البطىء أزحف خطوات قليلة ، وأتوقف فى الظلام الدامس لأطمئن على نفسى . حتى توقفت على باب الفندق . وتوقف صوت الرصاص .

وانطلقت الزغاريد

وتوقف عبد الحليم عن الكلام ، وكأنه يزيح من فوق صدورنا حجرا ثقيلا . انزاح الهم والغم ، ولم يبق لدينا الا الدموع نغسل بها كل الأحداث والحوادث التى مرت بنا وعلينا فى الساعات الحرجة . وانفجرنا فى البكاء كلنا . حتى عبد الحليم . نزلت دموعنا مزيجا عجيبا من الألم والأسى والحزن والفرح والسعادة . ويبدو أن الضجة الكبرى التى صدرت من حجرتى ، والزغاريد التى اطلقت عندما سمعنا بأن جلالة الملك حى يرزق . وعندما عاد الينا عبد الحليم ، وعندما سهرنا نسمع حكايته حتى السابعة صباحا ، كل هذه الأصوات المرتفعة ، لابد أنها أزعجت سيدة مغربية كانت تقيم فى الحجرة المقابلة لحجرتى ، وهى سيدة ، كان واضحا عليها أنها صاحبة مركز مرموق فى المغرب ، ولها مكانتها الكبيرة . كان يبدو من شكلها ، وتصرفاتها . وقد حضرت إلينا أكثر من مرة ، ترجونا الهدوء قليلا ، وأن نخفض من أصواتنا ، حتى لا نزعج نزلاء الفندق ، ومن أجل خاطر طفليها الصغيرين فهما لا يستطيعان النوم مع هذه الدوشة العالية . وكنا نحاول أن نرضيها ، ونحاول أن نخفض أصواتنا ، وأن نقلل حركتنا . ولكن ضخامة الحدث ، وخطورته ، ولهفتنا على سماع حكاية عبد الحليم ، وفرحتنا بعودته كانت تفرض علينا هذه الضجة . ولم نستطع أن ننفذ وعودنا للسيدة الفاضلة التى كانت تسكن فى الحجرة المقابلة ، وكانت السيدة زوجة لرئيس وزراء المغرب . وهى التى أكدت

براءتنا عند جلالة الملك ، عندما تأزم الموقف ، وأشارت الينا أصابع الاتهام .

وأشرقت الشمس أخيرا . واتضحت كل الأمور ، وفشل الانقلاب . وعرفنا أن بعض الضيوف الذين كانوا على مائدة الملك فى القصر ، قد أصابهم رصاص الانقلابيين . ومن بينهم السفير البلجيكى . وكان من المقرر أن يجلس إلى جواره الاستاذ محمد عبد الوهاب فى تلك الليلة ، ولكنه اعتذر بسبب البروفات التى طلب من الملك أن يجريها للأغنية . وكتب له عمر جديد لهذا السبب . وعادت المياه إلى مجاريها ، والأوضاع الى طبيعتها . وتولت أجهزة الدولة الرسمية مهمتها . وبقينا فى المغرب لا نستطيع أن نغادرها الا بعد الحصول على إذن من الملك شخصيا ، كما هى التقاليد وكان عبد الحليم فى هذه الفترة يحاول أن يحصل على إذن السفر من الملك فيستمهلونه قليلا ، طيب ، حاضر ، بعدين ، جلالة الملك مشغول حتى طلبوا منه الحضور لمقابلة صاحب الجلالة . وذهب عبد الحليم لمقابلة الملك . ولكنه عاد الينا فى أسوأ حالاته النفسية . أسوأ مما كان يوم عودته زاحفا من مبنى الإذاعة . كان فى شدة الانزعاج والتوتر والخوف . وبعد أن هدأ قليلا . قال لنا : لقد سمعت من الملك أعجب وأغرب كلام سمعته فى حياتى . وأسوأ موقف واجهته فى عمرى كله . تصوروا انهم قالوا للملك إن الفنانين المصريين الضيوف ، عندما سمعوا حكاية الانقلاب ، وعندما علموا بموت الملك ، أطلقوا الزغاريد ، وصيحات الفرح . وكانوا فى حالة سعادة كبرى . وهيصة ، وزفة . وكلام كثير لم يحدث منا على الاطلاق . وقد آلم هذا القول الملك ، وجعله يفقد الثقة حتى فى من كان يظن أنهم من الأصدقاء . وكان يجب على الأقل أن يحترموا استضافة الملك لهم ، ويحاولوا اخفاء مشاعرهم ، مادامت مشاعرهم الحقيقية بهذه الصورة . وفوجىء عبد الحليم ، ولكن عبد الحليم تماسك

بسرعة . وقال للملك : أولا أود أن أؤكد لجلالتكم ، ولو أننى لم أكن موجودا معهم فى ذلك الوقت ، وكنت محاصرا فى الاذاعة طول الليل ، حتى الفجر ، أنه لا يمكن أن يكون ماوصل الى علم جلالتكم صحيحا . فإننى أعرف عن يقين مشاعرى ، ومشاعر رفاقى الفنانين المصريين ، تجاه جلالة الملك الحسن الثانى ، ملك المغرب . وكنا نسمع كلامه فى ذهول ، وكنا نردد وراءه طبعا يا عبدالحليم هذه هى الحقيقة ، وقلنا له إن الزغاريد أطلقت فعلا ، ولكن المناسبة كانت مختلفة ، لقد زغردت النساء وهلل الرجال عندما سمعنا من اذاعة طنجة أن الملك مازال على قيد الحياة وأنه يواجه الانقلاب بقوة وبشجاعة . وزغردت النساء مرة ثانية ، وهلل الرجال عندما شاهدناك تدخل علينا ، متعبا مرهقا ممزقا . ولكنك كنت عايش ، وسليم ، ونروح بعيد ليه . عندنا الشهود على حسن النية ، ويمكن للملك أن يسألهم . وتذكرنا السيدة التى تقيم فى الحجرة المقابلة ، والتى كانت تتوسل الينا أن نهدأ قليلا ، علشان خاطر أولادها . ثم سيدة أجنبة أخرى ، تقيم بالغرفة المجاورة ، حضرت الينا . وسمعت الأخبار منا . وفهمت مانقول ، وعرفت انفعالاتنا ، واتجاهاتها . وكانت السيدة فى الغرفة المقابلة هى زوجة رئيس الوزراء . وقد عاشت الموقف كله معنا ، وفهمته تماما . وكانت السيدة الأجنبية الأخرى ، سويسرية فى زيارة سياحية للمغرب ، وكانت لحسن الحظ تعرف اللغة العربية ، وكنا نشرح لها الأحداث أولا بأول . وأسرع عبد الحليم إلى السيدتين . وسألهما ، وشرحتا له . وقالتا إن هذا صحيح ، وانهما شاركتا فى الفرح معنا عندما سمعتا بنجاة الملك . وعندما وصل هو إلى الفندق .



وهنا طلب عبد الحليم الاذن فى مقابلة الملك ، وعلى وجه السرعة ، وفى أقرب وقت ممكن . وفعلا سمح له بالمقابلة ، وحكى له عبد الحليم كل

شيء . واستشهد بالسيدتين . وواحدة منهما زوجة رئيس الوزراء . والثانية أجنبية وليست لها مصلحة فى اتهامنا أو فى تبرئتنا . ولكن عبد الحليم لم يحك للملك ، حكايته فى مبنى الاذاعة ، والساعات الرهيبة التى عاشها قريبا من الموت . وكان الملك يستمع اليه فى إنصات وانتباه تام - ولكنه لم يعلق بكلمة واحدة . ثم طلب منه الإذن بالمغادرة . ولكن الملك لم يسمح لنا بالسفر الا بعد عدة أيام . وسافرنا ونحن لا نعرف حقيقة شعور الملك ، ولا رأيه ، فيما بلغه عنا ، ولا موقفه منا .

● ● ●

وفى القاهرة كانت لنا جلسات وسهرات وحكايات عن المغامرة الهائلة والساعات التى كانت عصيبة التى مرت بنا فى المغرب . ومرت الأيام ، والشهور ، ثم فوجئنا بدعوة جديدة للمغرب ، وكانت دهشتنا عظيمة ، عندما حضر الينا مندوب شخصى من قبل الملك ، وقال إنه لابد أن نكون فى المغرب خلال ٣ أيام . وأكد علينا أن نكون فى المغرب قبل يوم ٦ أغسطس .

وقال لعبد الحليم ويمكنك أن تدعو معك من تشاء من الفنانين ، كالمعتاد . وعندما وصلنا الى المغرب . دعى عبد الحليم إلى القصر . وكانت مفاجأة جديدة . أخذه الملك من يده ، ودخل به إلى حجرة الملابس الخاصة به ، وفتح دولاب الملابس . وأخرج منه بدلة سوداء . وبها زهور قطيفة بارزة ، وقدمها له . وهو يقول : يا عبد الحليم ، بكرة ، وفى مسرح محمد الخامس . يقام حفل لتكريمك . وفى هذه المناسبة أحب أن ترتدى هذه البدلة . وهى من بدلى الخاصة ، وقد لبستها مرة واحدة . وأحب أن تلبسها من بعدى . ولحسن الحظ فقد كان جسم عبد الحليم فى نفس مقاسات جسم الملك . والبدلة ، لا تحتاج إلى اصلاح . وقال له الملك : أنت

فى كل مرة بتيجى المغرب علشان تحتفل بنا . وفى هذه المرة دعنا نحتفل نحن بك .

وفى المساء . وفى مسرح الملك محمد الخامس . كان الاحتفال بعبد الحليم حافظ . وقد أحيا الحفل عدد من المطربين المغاربة . مطربين من المغرب فقط . ولم يغن فى الحفل مطربون من أية جنسية أخرى . ثم تقدم رئيس الوزراء ليقلد عبد الحليم وساما من أرفع الأوسمة المغربية ، ويقتصر حمله على الأبطال العسكريين المغاربة فقط . ولا يمنح ألا لمن يحملون جنسية المغرب وحدهم ..



وجلس عبد الحليم على الرصيف ، يحكى .



باقة ورد وقبلة على المسرح



عبد الحليم حافظ .. النسخة المغربية

هدية من الملك الحسن

بلاد المغرب العربى ، بين قوسين من المياه الواسعة . على جانب منها ، المحيط الأطلسى من أوسع مياه العالم امتدادا . ثم انها على ساحل البحر المتوسط ، أكثر بحار الدنيا اتصالا بالحضارات العريقة ، من الإغريقية إلى العربية ، وبالعكس . وشهر أغسطس فى المغرب من أجمل شهور السنة . ولكنه فى واحدة من السنوات ، كان الأكثر جمالا وبهاء . عندما وجه الملك الحسن الدعوة إلى عبد الحليم حافظ لزيارة المغرب فى الأسبوع الأول من شهر أغسطس . بعد الأحداث الدامية التى وجد عبد الحليم نفسه فى دوامتها الرهيبة ، على غير وعد ، وغير انتظار . والتى زاد من قسوتها كلام الناس . من أن الفنانين المصريين هتفوا ، وهللوا ، وصفّقوا ، وزغردوا ، عندما وقع الانقلاب الفاشل . ولكن الله سلم .

بصراحة

لم نكن نتوقع أن يدعونا الملك الحسن إلى المغرب بعدما سمع أن الفنانين المصريين زغردوا وهللوا عندما سمعوا بوقوع الانقلاب ضده ، وكل الأخبار السيئة التى ترددت فى بداية الانقلاب . لابد أنه غضب علينا . ولابد أنه اكتفى بهذا الغضب الملكى . وهو أقصى العقوبة . وأقسى عقاب يمكن أن يحل علينا . ثم كانت المفاجأة السعيدة وجه الملك إلينا الدعوة للحضور . ولم يكتف جلالته فى هذه المرة ببطاقة الدعوة ، أو خطاب من القصر الملكى أو من السفارة . كانت المفاجأة لنا فى هذه المرة ، انه حضر إلى القاهرة مندوب شخصى من قبل الملك ، وطلب مقابلة عبد الحليم . وقال له : إن جلالة الملك الحسن الثانى ، يطلب منه سرعة الحضور إلى المغرب . وإن هذه الزيارة تحددت بعد ٣ أيام من تاريخه . وكنا فى شهر أغسطس فى عز الحر ، يعنى لابد أن نكون فى المغرب يوم ٦ أغسطس . وهو من أحسن شهور السنة جوا ، وجمالا .

وقال مندوب الملك لعبد الحليم . إن صاحب الجلالة يقول لك : يا عبد الحليم . يمكنك أن تدعو معك من تشاء من الفنانين ، وأى عدد منهم ، وكانت فرحتنا كبيرة . لابد أن الملك عرف بعد البحث والتحقيق أننا ابرياء من تهمة مناصرة الانقلاب وتأييده . وسافرنا إلى المغرب .. وكان الاستقبال فى هذه المرة غير عادى . وكان الترحيب بنا أعمق من الزيارات السابقة . ولم نكد نصل إلى الفندق حتى دُعى عبد الحليم إلى القصر الملكى . قالوا له إن الملك يطلبه على وجه السرعة . وأسرع عبد الحليم ، بملابسه التى حضر بها من القاهرة - أو بتراب السفر كما يقولون - إلى القصر الملكى . وكانت مفاجأة جديدة لعبد الحليم . فإن الملك فى هذه المرة لم يفتح ذراعيه وقلبه فقط . إنه فتح أيضا دولاب ملابسه . كانت المرة الأولى التى يشاهد فيها عبد الحليم حجرة الملابس

الملحقة بحجرة نوم الملك . وفى دولاب الملابس شاهد عبد الحليم عشرات البدل من تفصيل ترزى الملك فى باريس . وعشرات القمصان ومئات الكرافتات . ومد جلالة الملك يده الكريمة ، وسحب من بين البدل . بدلة معينة . لونها أسود وبها زهور قطيفة بارزة . آخر شياكة . ولم يكن عبد الحليم قد تخلص بعد من الدهشة ، والحيرة والإعجاب الشديد ، وسمع الملك يقول له : أولا هذه البدلة أحب أن أقدمها لك هدية من صديق لصديقه .

وهى من البدل التى أحبها كثيرا . وقد لبستها مرة واحدة . وأحب أن أشاهدك وأنت تلبسها . وبدأ عبد الحليم يعرف المعنى الحقيقى وراء هذه الهدية . إن جلالة الملك بهذه اللفتة الكريمة يريد أن يعرب لعبد الحليم عن مدى صداقته وعميق حبه . وأكمل الملك حديثه مع عبد الحليم وهو يقول : يا عبد الحليم ، أنت فى كل مرة تحضر إلينا فى المغرب ، لتحتفل بنا . ولكن فى هذه المرة دعنا نحن نحتفل بك . فأنت تستحق .

البدلة والوسام

وحمل عبد الحليم البدلة الملكية ، كأنه يحمل كل كنوز الدنيا بين يديه . لم تكن الدنيا كلها تسعه من الفرحة والسعادة . ودخل علينا وهو يحمل أغلى وأعز ما يملكه إنسان . وقال لنا سترون علىَّ الآن أشيك بدلة لبستها فى حياتى . وهى فى نفس الوقت الرمز الحقيقى لصداقة قوية ومتينة . وبسرعة لبس عبد الحليم البدلة . ولحسن الحظ . كان جسم عبد الحليم فى نفس مقاسات جسم الملك . والبدلة لا تحتاج إلى ترزى يعيد صياغتها على جسمه . ولا تحتاج إلى إصلاح أو تقييف . وقال لنا عبد الحليم إن الملك وهو يهديه هذه البدلة قال له : يا عبد الحليم ، بُكْرة ، فى مسرح الملك

محمد الخامس . يقام حفل لتكريمك . وفى هذه المرة أحب أن تلبس هذه البدلة ، بالذات .

وفى المساء أقيم الحفل الكبير فى مسرح محمد الخامس وهو أكبر مسارح العاصمة المغربية ، وفى مقام ومنزلة الأوبرا عندنا . وكان برنامج الحفل يقول بصراحة : إن المطربين والفنانين المغاربة فقط هم الذين سوف يحيونه . ونحن الضيوف . وقبل أن يبدأ الغناء والمرح . وقف رئيس وزراء المغرب . وألقى كلمة قصيرة . قال فيها : إنه - نيابة عن الملك - يقدم لعبد الحليم وساما من أرفع الأوسمة المغربية . وان هذا الوسام ، يقتصر حمله على الأبطال العسكريين المغاربة فقط . ولا يمنح الا لمن يحملون الجنسية المغربية . وقال رئيس الوزراء : إننا نعتبر عبد الحليم حافظ مغربى الجنسية . وأخرج من جيبه جواز سفر غلافه أحمر . والغلاف الأحمر هو لون جوازات السفر الديبلوماسية . وقدمه لعبد الحليم . وقال له : إن سيدنا جلالة الملك الحسن يسعده أن تحمل الجنسية المغربية من الليلة . وهذا الجواز هو الإثبات الرسمى للجنسية ، ويمكنك أن تستعمله فى تنقلاتك كما تشاء .

تحريات الملك

وفى المغرب عرفنا الحكاية كلها . فبعد أن استقرت الأمور ، وقضى على المحاولة الفاشلة للانقلاب ، وصفيت جيوب المتمردين . واستتب الأمر للسلطة الشرعية . فكر الملك فى مجموعة الفنانين المصريين . وحقق فى أمرهم من جميع جوانبه . وسأل الشاهدتين اللتين استشهد بهما عبد الحليم . فأكدتا له رواية عبد الحليم . وأن مظاهر الفرح التى عمت المصريين فى تلك الليلة كانت رد فعل حقيقيا للأخبار التى أعلنت فشل الانقلاب ونجاة الملك ، وكانت الزغاريد هى التى استقبلوا بها عبد الحليم

وهو يعود الينا زاحفا على ركبتيه من مبنى الإذاعة إلى الفندق ، تحت وابل من الرصاص . وان حياته فى تلك الليلة كانت مهددة بالقتل . وعرف حكاية مهندس المونتاج الذى كان يرافقه فى تلك الليلة حالكة الظلام ، وانه قتل برصاصة فى رأسه وهو يزحف ملتصقا بعبد الحليم . كل هذا عرفه الملك من خلال تحرياته الواثقة . فطلب من عبد الحليم ورفاقه أن يزوروه فى المغرب . وقلده هذا الوسام الرفيع ، تعبيرا عن شكره وثقته فى الفنانين المصريين ، وبعدها أقمنا فى المغرب عدة مهرجانات فنية ، فى ٦ مدن ، منها الدار البيضاء ، وفاس ، وأغادير على الحدود . عبرنا فيها عن ابتهاجنا بنجاة الملك ، وفشل الانقلاب . واستقرار الأمور .



وأثناء الزيارة كان لعبد الحليم أكثر من لقاء مع الملك على انفراد . وفى هذه المقابلات حكى له الملك القصة كما سمعها . وقال إنه غضب فى أول الأمر عندما سمع حكاية الزغاريد ، والفرحة والهيصة التى أحدثها المصريون فى تلك الليلة . وما فعلوه أثناء الانقلاب . وقال له : يا عبد الحليم بصراحة ، أنا لم أصدق أن كل هذا يحدث من المصريين . خصوصا وأنا اعتبرهم أصدقائى . وإنهم جزء من نفسى . وبعد أن حكيت لى الظروف ، تحققت من روايتك بنفسى . وعلمت كل صغيرة وكل كبيرة حدثت فى غرفة مجدى العمروسى التى اجتمع فيها الفنانون . وأكدت لى السيدة حرم رئيس الوزراء التى كانت تقيم فى الحجرة المقابلة . انها دخلت عليهم أكثر من مرة ترجوهم الهدوء رفقا بأطفالها الصغار . وقالت لى : إن باب الغرفة كان مفتوحا طول الليل . ويمكن لأى واحد أن يطلع على أحوالكم ، لحظة بلحظة . وأن الزغاريد انطلقت عندما سمعتم بيان اذاعة طنجة . وأن الفرحة ظهرت على أشدها عندما سمعتم صوتى فى الاذاعة . وأنكم عند إذاعتى للبيان كنتم فاتحين الراديو على آخره . وسمعت أيضا

شهادة السيدة السويسرية . وأكدت لى أيضا موقفكم ، وتعاطفكم الشديد مع الملك ، وضد الانقلاب .

واستمر الملك فى حديثه وهو يقول : أما بالنسبة لك يا عبد الحليم . فقد كنت فى منتهى الشجاعة . وفى منتهى النبل ، وأنت ترفض إذاعة البيان ضدى بصوتك .

كان يمكنهم عند رفضك إذاعة البيان أن ينهوا حياتك برصاصة واحدة . بل انهم لم يكونوا فى حاجة إلى رفضك إذاعة البيان ، للتخلص منك . ويكفيهم أنك صديق للملك الحسن وضيف عليه . ووجه جلالة الملك الكلام لعبد الحليم وهو يقول : لقد كنت يا عبد الحليم على مستوى الصداقة والثقة التى منحتها لك . ووضعت حياتك ودمك ، فداء لصداقتنا . ولهذا منحتك الوسام الذى لا يحمله الا الأبطال المغاربة . واعتبرتك مغربيا مخلصا . وأمرت رئيس الوزراء . ووزير الداخلية بتسليمك جواز السفر المغربى . بل اننى اعتبرك يا عبد الحليم من أسباب فشل الانقلاب . فقد حطمت معنويات الانقلابيين برفضك إذاعة بيانهم . وتضحيتك بحياتك فى سبيلى . وقال له الملك : أرجوك أن تبلغ شكرى وتقديرى لكل الأخوة المصريين الذين كان من نصيبهم حضور أحداث الانقلاب . وتقديرى العميق لمشاعرهم الرقيقة ، التى علمت وتأكدت من صحتها .

مندوب الملك

وتصوروا معى سعادة عبد الحليم الغامرة وفرحته الشديدة وهو يسمع كل هذا الكلام من الملك بنفسه . ويستعيد كل الأحداث والحوادث التى مرت به فى ليلة الانقلاب المشئوم . والأيام التى سبقتها . كان من المقرر أن يسافر عبد الحليم من باريس إلى المغرب وأن يصحب الملك فى طائرته

الخاصة، وهى نفس الطائرة التى تعرضت للقصف ، وأصيبت اثناء الانقلاب الفاشل . واضطرت الطائرة إلى أن تهبط اضطراريا . ولم يصب الملك بسوء ، بفضل ذكائه ، وجرأته . وأحب الملك الحسن عبد الحليم إلى أقصى درجات الحب ، وحزن على فراقه ، وتأثر من أعماقه عندما سمع خبره . وعندما رحل عبد الحليم أرسل الملك مع سفير المغرب فى القاهرة خطابا بخط يده إلى أسرة عبد الحليم يقول فيه : لقد فقدت صديقا عزيزا . عزاء لكم من قلبى . وبقدر ما كان الملك يعتز بمصر ويقدرها . بقدر ما حرص عبد الحليم على أن يكون ورفاقه عند حسن الظن ، وعلى المستوى الذى يجب أن يكون عليه رسل مصر ، ورموزها ، أو أساتذة جامعاتها ، العلمية ، والفنية ، كما كان يسميهم الملك . وقد أتبع عبد الحليم تقليدا كان يحرص عليه عندما يدخل إلى أماكن الاحتفالات . ومقار الضيافة . فلم يكن يتقدم المجموعة ، ويمشى أمامهم . كان يدخل فى الآخر . آخر واحد يدخل إلى القاعة . ولا يجلس الا بعد أن يتلفت حوله ، ويطمئن إلى أن كل واحد فى المجموعة قد جلس فى مكانه الصحيح ، واللائق . حتى فى حفلات العشاء التى كان يقيمها الملك ، ويحضرها الفنانون والموسيقيون كان عبد الحليم حريصا على هذا الأسلوب . أذكر فى مرة أن الفنان محمد رشدى رفض أن يدخل مكان الاحتفال قبل عبد الحليم . وأصر عبد الحليم على أن يسبقه رشدى . وكان الموقف على الباب مؤثرا . وهما يتبادلان التحية والترحيب . اتفضل يا رشدى . والله انت الأول يا حليم . وكان الملك يرقب هذا المشهد بين الاثنين دون أن يشعرا به . وعندما اقبلا عليه ، اجلسهما الملك إلى جواره ، ووضع يديه على كتفيهما فى حنان . وكان جلالته فى منتهى السعادة والرضا لهذا الموقف .

للقلب أحكام

وقد يحدث بين عبد الحليم وأصدقائه جفوة . من الجفاء . أو فجوة فى العلاقة فيبتعدون قليلا . ولكن للقلب أحكاما لا يدركها العقل ، كما يقول المثل الفرنسى . حدث مع محمد الموجى ، وعبد الحليم مايشبه الخصام ، قليل من الزعل حجب علاقة الصداقة ، والود بينهما . ولكن بلاد المغرب الجميلة العريقة الأصيلة ، كانت السبب فى عودة العلاقات المتينة بينهما . وكانت أغنية رسالة من تحت الماء ، هى السبب ، وهى الكوبرى الذى عبر به محمد الموجى إلى أعماق قلب عبد الحليم مرة ثانية .

والحكاية أن محمد الموجى عندما سمع كلمات أغنية رسالة من تحت الماء ، صاح بكلمات الأغنية : أنى أغرق .. أغرق أغرق ، فى جمال الكلمات وحلاوة المعنى . وتردد اللحن فى أعماقه قبل أن يخرج من أوتار العود . وسجل اللحن على شريط . ولكن من الذى يغنى هذه الرائعة . لا أحد إلا عبد الحليم . ولكن الخصام بينهما كان يقف سدا عاليا فى وجه اللحن الرائع ، والكلمات المنتقاه . وعرفت حكاية الأغنية ، وكنت أعرف حكاية الخصام . ولكن أسبابه كانت واهية . أسباب مادية لا معنى ولا قيمة لها + كلام الناس + قمصة من الموجى + عِنْد من عبد الحليم . وكنت أعرف أن أول لقاء بينهما سوف يذيب كل الجليد المتراكم على العلاقة، وكنت أعرف أن الأغنية محبوسة فى درج الموجى منذ ٦ سنوات . وقد سمعت أجزاء منها يدندن بها الموجى ، وأعجبت تماما بهذه القطع المتناثرة من اللحن . فما بالك باللحن كله على بعضه . وكان الفضل ، حقيقة ، للفنان الراحل أحمد الحفناوى ، رحمة الله عليه . هو الذى همس فى أذنى . ان ادفع عبد الحليم لكى يطلب من الموجى أن يسمعه أغنية رسالة من تحت الماء . لأن الموجى يخجل من أن يعرضها

بنفسه على عبد الحليم . وقال رأيه بصراحة ، وفى حماسة شديدة ، إنها أجمل قصيدة لحنها الموجى . وفى حجرة عبد الحليم فى الفندق ، كنت بدورى أهمس فى أذن عبد الحليم : تصور يا عبد الحليم ، الموجى عيان . وحابس نفسه فى غرفته ، ولا يريد أن يُعَرِّف أحداً بتعبه ، ونحن فى بلد بعيد عن الأهل والأحباب . لازم نزوره : ولم يكن عبد الحليم ينتظر الا هذه الكلمات . كان متشوقا لأن يرى صديقه ، وكانت الاستجابة السريعة ، وهو يقول : يا مجدى الموجى أخويا . ودخلنا حجرة الموجى . ووجدناه جالسا على كرسى . وسألناه عن صحته . وفهم الموجى الموقف . وقال فى ضعف مصطنع : الحمد لله . وكلمة منى ، وكلمة من الحفناوى ، وكلمتان من عبد الحليم، واحتضن الموجى العود . وقلت له أنا عايز أسمع منك رسالة من تحت الماء .. وغنى محمد الموجى الأغنية من بدايتها .. إن كنت حبيبى ساعدنى كى أرحل عنك . أو كنت طبيبى ساعدنى كى أشفى منك . ولو أنى أعرف أن هذه الأغنية سوف تعيد العلاقة بين عبد الحليم والموجى إلى طبيعتها ، وتعيد المياه الصافية بينهما إلى مجاريها ، لكنت بدأت هذه المحاولة من سنوات هى العمر الحقيقى لهذه الأغنية . ولكن كل شىء بأوان . وأعجب بها عبد الحليم . وقال : يا محمد دى حاجة حلوه قوى ، فقال الموجى : دى من ٦ سنوات جاهزة ومستنياك يا عبد الحليم . فقال عبد الحليم إن شاء الله ، أول مانرجع نعمل بروفات . وهكذا وببساطة شديدة عادت العلاقات بينهما على أحسن ما يكون .

وعندما عدنا إلى القاهرة . بدأت البروفات فعلا . وغنى عبد الحليم للموجى ، قصيدتين فى يوم واحد ، يا مالكا قلبى . ورسالة من تحت الماء . وكأنه يُعَوِّض أيام الزعل والخصام .

وقد وجد محمد الموجى ، المهندس الزراعى . فى صوت عبد الحليم

الأرض البكر الخصبة التى يزرع فيها ألحان أغانيه . وكانت البداية صافينى مرة ، وبعدها ياتبر سايل بين شطين ، يا حلو يا أسمر . وأغنية بتقول لى بكره ، ويا موعدنى بكرة .. وكان الموجى ميالا إلى ما يدخل قلبه بعنف من الكلمات . وما يشده إليه فى قوة ، كطبيعة أهل الريف فى بلادنا . وقد لا تعجب بعض الكلمات عبد الحليم . فكان يرفضها فى رفق ، أو كان يقترح عليه أن يغنيها غيره من المطربين والمطربات . ويقول ، فايزه أحمد أقدر منى على غناء هذه الكلمات ، ونجاة أحسن منى لو غنت هذا اللون . دى أغنية شعبية قوى تنفع لمحمد رشدى ، أو عبد المطلب . وفعلا غنت فايزة يا أمه القمر ع الباب . وبيت العز . وغنى محرم فؤاد رمش عينه . وغنت نجاة أما براوه ، وشاديه غنت غاب القمر يا ابن عمى . كما غنت صباح الغاوى ينقط بطاقيته .



وبهذا الأسلوب كانت طريقة عبد الحليم فى اختيار كلمات أغانيه ، وفى اختيار اللحن والملحن أيضا . ملحن واحد لم يغن عبد الحليم من ألحانه . وكان يقول عنه إنه أحسن من يخرج الألحان الشرقية الأصيلة وإنه مبدع إلى درجة عريقة فى الإبداع الفنى . وكان المطرب والملحن والممثل ، متعدد المواهب ، والصفات الحميدة ، فريد الأطرش . وكانت العلاقة بينهما ، كما القط والفأر . كان عبد الحليم يحب أن يناوش فريد الأطرش . وينتهز الفرص ليداعبه ، ويقفش له . وفى مرة زعل فريد من عبد الحليم . وكان قلبه أبيض ، واللى فى قلبه على لسانه ، وشكا لطوب الأرض من عبد الحليم وعمايله . وانتهز عبد الحليم الفرصة ، ووقف على المسرح قبل الغناء . واعتذر على رءوس الأشهاد للأستاذ فريد . وقال إنه يحبه ، ويحترمه . وقال أيضا ، إن الأستاذ فريد فنان عظيم

له ألحانه العظيمة ، وجمهوره العريض فى مصر ، وفى كل البلاد العربية، ولكنه أضاف الكلمة التى جعلت فريد الأطرش يغلى من الغيظ قال إنه زى والدنا . وكاد عبد الحليم يغنى من ألحان فريد الأطرش واحدة من أحلى أغانيه : فوق غصنك يا لامونه ، ولابد أن تكتب وتقرأ كما يغنيها فريد الأطرش : يا لامونه . وصحتها كتابة ونطقا ، يا ليمونة ! وسمع عبد الحليم اللحن ، ودندن بالأغنية بينه وبين نفسه . وربما حفظها فعلا . ولكنه لم يغن من ألحان فريد الأطرش .



ولم يغن عبد الحليم من ألحان فريد الأطرش





وفى المغرب ، كان عبد الحليم يلبس أحيانا العباءة المغربية ، ثم اهداه صديقه الملك الحسن هذه البدلة ، من دولابه الخاص .

المنافس الوحيد

المنافسة الشريفة واحدة من السمات أو القسمات التى يمتاز بها الفنانون ، أمس واليوم وغدا . وصدقونى لا يوجد فن بدون منافسة ، ولا منافسة بدون شرف . وإلا أصبحت حربا ضارية . ونوعًا من الاغتيال . ويكون الضحية دائما . المستمع والمشاهد . ومن ربع قرن تقريبا . نشبت معركة حادة ، وجادة بين الشرق الأوسط ، وصوت العرب . وكان يتزعم المعركة فى صوت العرب الإذاعى وجدى الحكيم . وفى الشرق الأوسط ألمع مخرجى الميكروفون محمد علوان .. وكانت الحروب تطول وتستمر ، كما استمرت وطالت حروب زمان . حرب الباسوس وحرب الوردتين ، والحروب الصليبية .

وظل وجدى الحكيم ، ومحمد علوان . عشر سنوات ، يحاولان مع عبد الحليم حافظ ليكون نجم مسلسل إذاعى فى رمضان . وكل واحد منهما بطريقته ، وأسلوبه يحاول أن يظفر به . ونجحت مفاوضات وجدى الحكيم مع السيدة أم كلثوم . وأقنع محمد علوان عبد الحليم حافظ بأن يكون بطل المسلسل الاذاعى الوحيد الذى قام به طول حياته . وكان ذلك فى رمضان سنة ١٩٧٣ ميلادية . وعندما وقع عبد الحليم العقد ، أضاف فقرة بخط يده ، يشترط فيها أن يكتب المسلسل الكاتب الصحفى محمود عوض . ورفع عبد الحليم سماعة التليفون . وطلب محمود عوض :

يا محمود ح أفوت عليك فى البيت . البس هدومك ، وانتظرنى .

وعندما سمع محمود صوت سيارة عبد الحليم نزل ، وفوجىء بعبد الحليم يقول له : اركب ، ويسأله على فين ؟! اركب مالكش دعوة ، وانطلقت السيارة يقودها عبد الحليم إلى الطريق الصحراوى ، ولم تتوقف إلا أمام شاليه عبد الحليم فى بيانكى فى العجمى . واستيقظ محمود عوض فى الصباح فلم يجد عبد الحليم ولا السيارة . ومن القاهرة اتصل عبد الحليم به بالتليفون - كان يضحك وهو يقول له : أنا فى مصر يا محمود ، وانت لا عندك عربية ، ولافيه مواصلات من العجمى للأسكندرية وسوف أرسل لك السيارة بعد ما تقول إنك خلصت ١٠ حلقات من المسلسل . وظل محمود عوض حبيسا فى الشالية ٢٥ يوما . انتهى فيها فعلا من كتابة ١٠ حلقات . قرأها عبد الحليم والمخرج محمد علوان بإعجاب ، وقال أنا مستعد للتسجيل . واختار عبد الحليم الفنان المتمكن عادل إمام ليمثل فى المسلسل ، ورشح الرقيقة نجلاء فتحى للبطولة . ولم يهدأ وجدى الحكيم المنافس العنيد ، إلا بعد أن سجل للسيدة أم كلثوم ذكرياتها لتذاع فى نفس الشهر .

٣٠ رسالة

فى نفس الوقت كانت كل الإذاعات تقدم أهم فقراتها بعد مدفع الافطار فى رمضان . وهى فقرات قصيرة ، سريعة . متنوعة . أدعية ، وأحاديث ، ومواقف ، وطرائف . واقترح علوان أن يسجل عبد الحليم حافظ ٣٠ رسالة بصوته يوجهها لمن يشاء من الفنانين والصحفيين ، والشخصيات العامة . ومرة ثانية . يطلب عبد الحليم أن يكتب محمود عوض الخطابات . ووافق محمود . واشترط ألا يكتب اسمه ، أو يذكر اسمه فى الحلقات أنه كاتب الخطابات . ووعده عبد الحليم ، ولكن فى آخر خطاب . سجل عبد الحليم بصوته ، أنه لم يذكر اسم كاتب الخطابات فى الـ ٢٩ خطابا السابقة ، أما فى الخطاب الأخير ، الثلاثين ، فإنه يضطر لعدم الوفاء بوعده ، ويذيع اسم المؤلف . ونطق باسمه واتصل بمحمود عوض . وقال له : أنا نفذت وعدى ٢٩ مرة . ولكنى وجدت أنه فى المرة الثلاثين فإن الوعد تقادم عليه العهد ، وأصبحت فى حل منه بالتقادم . وقامت حرب اكتوبر فى ١٠ رمضان ، فى عاشر حلقة من مسلسل « أرجوك لا تفهمنى بسرعة » وتغيرت كل برامج الاذاعة بسبب الحرب ، الا موعد اذاعة المسلسل . وكانت اذاعتنا قد تعاقدت مع ٢٢ محطة اذاعة عربية ، تذيع المسلسل معا وفى وقت واحد .



ولكن المنافسة بين عبد الحليم ، وبعض المطربين ، كانت تأخذ شكلا آخر . وأضرب مثلا بالفنان فريد الأطرش . وكان له صوته القوى ، وصيته البعيد ، وفنه العريق ، وجمهوره العريض ، وكانت المنافسة بينهما تشتد وتقوى فى مناسبة من أحلى مناسبات السهر ، والسمر ، ليلة شم النسيم . وأصر عبد الحليم على أن يقيم حفلته فى نفس الليلة ، التى يقيم

فيها فريد احتفاله . وكان يقول ، إن فى مصر مستمعين بالملايين ، لهم مزاجهم الرايق ، وذوقهم الرفيع . والقاهرة ولياليها الساحرة ، يمكنها أن تستوعب أكثر من فريد الأطرش . وأكثر من عبد الحليم فى ليلة واحدة . ويظل فريد الأطرش المنافس الحقيقى الذى كان عبد الحليم يخشاه . ويضع صوته ، وحب الجماهير له ، أمام عينيه فى كل وقت وكل مكان . وكانت هذه المنافسة ، وهذه المناسبة تفتح الباب أمام أهل الدس والوقيعة . وكلام كثير قيل فى هذه المناسبة . وأن عبد الحليم يحاول أن يسرق جمهور فريد ، ويسحب إعجاب الناس به ، وإنه اكتشف منافسا لفريد . غلاما صغيرا فى عمر الزهور ، وحلاوة البلابل - وأنه يعده ليكون خليفته على عرش الغناء ، وكرسى الطرب ، بالعند فى فريد الأطرش . والمشكلة أن فريد كان يصدق هذه الشائعات بسرعة . ولكنه والحق يقال كان ينساها بسرعة .

الأمير ابن الأمير

وفريد الأطرش فنان من شعر رأسه ، وحتى أظافر قدميه . وقد يذكر فريد الأطرش بدايته فى بيت الإمارة فى جبل الدروز ، أمير ابن أمير ، ابن أميرة ، ولكنه لم يحس بنفسه ولم يشعر بذاته ، إلا وهو الفنان فريد الأطرش . ولو أنك سافرت إلى جبل الدروز وزرت القرية التى ولد فيها فريد الأطرش . لوجدت كل وجوه الشباب هناك . نسخ مكررة من فريد بدمه ولحمه وشكل وجهه ، وشعره الغزير ، وطريقة تسريحته . حتى ملابس فريد تجد كل الشباب يقلدونه فيها .. وهم يحبونه ويخلصون لذكراه حتى اليوم ، وبعد اليوم . وفريد الأطرش يمتاز إلى جانب عظمته كفنان ، ملحنا ، ومطربا . بقلبه الصادق ، البسيط ، الأبيض . لم يحمل فى قلبه غلا لأحد . كل الناس عنده على درجة عالية من النقاء والطهر ، حتى لو

أثبتوا عكس ذلك . وهذه الصفات كانت تغرى بعض الخبثاء . ومحترفى النميمة . فكانوا يوسوسون لفريد . كلمات قليلة فى أذنه كافية لاقناعه بأن عبد الحليم حافظ يحاربه فى الاذاعة ، وفى الصحافة . ويغضب فريد ، ويحمر وجهه أكثر من لونه الطبيعى . ولكنه عندما يلتقى وعبد الحليم فإنه يبدأ بالسلام . والكلام ، والأحضان . ويبادله عبد الحليم حرارة بحرارة ، ويسلم عليه ، ويقبل وجنتيه . وينتهى غضب فريد فى ثانية واحدة ، ويعود الود بينهما على أحسن ما يكون . وتعود الصداقة بينهما أقوى مما كانت . وفى كل مرة يلتقى فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ كنا نرى هذا المشهد الودود المحب ، ولكن عبد الحليم لم يغن من ألحان فريد . مع أنه كان يعترف أمامنا جميعا أن فريد الأطرش هو أقدر الملحنين على صياغة الجمل الموسيقية الشرقية . وهو أبدع من عزف على العود من الموسيقيين الذين عرفهم . ولكنه لم يغن من ألحانه . ولم يفكر فى أن يغنى من تلحينه ، والسبب بسيط للغاية .

كان عبد الحليم يقول دائما : أنا لم أضع فى اعتبارى فى يوم من الأيام أن الأستاذ محمد عبد الوهاب منافس لى : كنت دائما أعتبره الاستاذ والمعلم ، والقدوة الحسنة . أما فريد الأطرش فهو المنافس الحقيقى لى فى الغناء . وهو منافس قوى ، وله جمهوره العريض فى مصر وفى البلاد العربية . من هذه النقطة وهذا الاحساس . أصر عبد الحليم على أن يقيم حفلة شم النسيم ، فى سينما ريفولى . عندما كان فريد يقيم حفلة فى نفس ليلة شم النسيم ، فى سينما قصر النيل . وكان عبد الحليم يتصور أنه لو غنى من الحان فريد ، فإنه سوف يسهم فى إضافة مزيد من النجاح ، وكثير من المعجبين لفريد .

ولكن عبد الحليم لم يصارح فريد أبدا بهذا الشعور . وعندما يقابله ، كان يرسم على وجهه ابتسامة كبيرة ، ويقول له : جهز لى لحن ، وأنا

أغنيه . وأحيانا كان يدير قرص التليفون ، ويطلب فريد الأطرش فى بيته . ويقول له بدون مناسبة : فين يافريد ، اللحن بتاعى . أنا جاهز وفى الانتظار . ويسرع فريد إلى عوده ، وهات يا تلحين . وكان خبثا من عبد الحليم . وكان فريد يأخذ المسألة جد . حتى أنه لحن ، فعلا ، أغنيتين . وعرضهما على عبد الحليم .

وحدد له الأغنية التى يغنيها أولا والأغنية التى يغنيها بعدها . وأصر فريد على أن يغنى عبد الحليم الاغنيتين ، بالترتيب الذى وضعه لهما . وانتهز عبد الحليم الفرصة . وقال له : لا يا عم ، أغنى الأول فوق غصنك ياليمونه . وبعدين الاغنية الثانية . ويغضب فريد ، ويرفض ويحتج عبد الحليم ، وهو يعرف أنه لن يغنى ، لا الأغنية الثانية ، ولا الأولى . ولا أى لحن لفريد الأطرش . ويعتذر له . ويشكو فريد لطوب الأرض من عبد الحليم وعناده . ودماغه الناشفة ويغضب عليه غضبا عظيما . وقد ترجم فريد الأطرش غضبه على عبد الحليم بموقف لا أنساه أبدا .

أزمة فى بيروت

كان من المقرر أن يقيم عبد الحليم حفلا فى بيروت . وتحدد يوم الغناء وسافر عبد الحليم ووجد مفاجأة لم يتوقعها . وجد أن كل الأماكن التى يمكن أن يقام فيها الحفل محجوزة . وحاول مع المتعهد أن يجد شبرا واحدا فى بيروت كلها يصلح لاقامة الحفل . أبدا . كل الاماكن محجوزة . وعرف السبب ، أن فريد الأطرش وراء هذه الأزمة . هو الذى حجز كل الأماكن ودفع العربون بسخاء . وأثار عبد الحليم القضية فى كل صُحف العالم العربى وقدم المستندات التى تثبت تورط فريد الأطرش . وأنه يحاول منعه

من الغناء فى بيروت . واضطر فريد إلى أن يلغى الحجز لأهم مكان فى بيروت ، « مسرح البيسين » . وأعلن ذلك فى مقابلة تليفزيونية بينه وبين عبد الحليم ، وقال ان المتعهد هو الذى قام بهذا العمل ، وأنه لم يكن يعرف بارتباطات عبد الحليم . ولا يد له فى هذه الأزمة . ولو لم يكن فى بيروت الا مسرح واحد سوف يغنى عليه ، لتنازل عنه لعبد الحليم . وفتح عبد الحليم ذراعيه . وفتح فريد قلبه . وصافى يا لبن .. ولكن الصحافة اللبنانية كانت قد سجلت هذه الواقعة .

كانت المنافسة وحدها هى التى جعلت عبد الحليم يبتعد عن الحان فريد الأطرش . أو هو تصور المنافسة والخوف منها . هو الذى حرم الجمهور من هذه التوليفة الرائعة فى الغناء . صوت عبد الحليم بجماله وكماله . والحان فريد بعظمتها وجلالها الشرقى المهيب . وإذا كانت السيدة أم كلثوم ، والأستاذ عبد الوهاب قد تداركا هذا الموقف . ولعبت كلمات الرئيس جمال عبد الناصر دورها فى أن تغنى أم كلثوم من ألحان الأستاذ ، فإن عبد الحليم لم يجد ، عبد الناصر ، مرة ثانية يدفعه لأن يغنى من الحان فريد . ولكن عبد الحليم لم يجد فى الاستاذ عبد الوهاب المنافس ، المزاحم على عرش الغناء والطرب . وكان يعتبره المدرسة ، والناظر والمدرسين ، وقد تعلم على يديه الكثير . وكل ما كان يحصل عليه عبد الحليم من الاستاذ عبد الوهاب كان يعيد صياغته فى معمله الخاص . ويخضعه لطبيعته وطريقته . ويمكنك أن تسمع أغنية الطلاسم التى غناها الأستاذ فى فيلم « رصاصة فى القلب » . ثم غناها عبد الحليم فى فيلم « الخطايا ؟ . وهى من كلمات الشاعر اللبنانى إيليا أبو ماضى . وبعض معانيها تتشابه مع آخر أغنية كان من المقرر أن يغنيها عبد الحليم .. من غير ليه ؟ وستجد أن لكل واحد منهما طريقته ، وأسلوبه . وكانت هذه هى النقطة الرئيسية التى تعجب الاستاذ فى تلميذه عبد الحليم . أنه لم يكن يقلد غيره حتى لو

كان هذا الغير هو القمة الشامخة فى عالم الغناء العربى الأستاذ محمد عبد الوهاب .

لقاء مع الأستاذ

وكان عبد الحليم بالنسبة للأستاذ فى البداية ، صوتا جديدا مميزا فى لونه وفى نبرته ، وإحساسه بالغناء . استمع اليه الاستاذ بصفته عضوا فى لجنة الاستماع بالاذاعة . والتقطت أذنه الخبيرة ، ما فى هذا الصوت من جمال . وتنبه احساسه الواعى لما يمكن أن يكون عليه مستقبل هذا الشاب ناحل العود ، رقيق الملامح . فطلب من حافظ عبد الوهاب ، الاذاعى القديم ، أن يرسله له فى مكتبه بشارع توفيق . فى وسط القاهرة . وفعلا صحبه مأمون الشناوى ومعهما محمد الموجى . واستمع اليه الاستاذ ، وظل يتتبع خطواته فى عالم الغناء ، خطوة خطوة ، دون أن يقترب منه . وعندما قرر أن يمد يده لعبد الحليم . كان التعاقد على فيلمين مرة واحدة ، « بنات اليوم ، وأيام وليالى » ، وكانت مجموعة هائلة من الأغانى : « ظلموه ، وتوبة ، وأنا لك على طول ، وإيه ذنبى إيه ؟! وأهواك ، وعلشانك يا قمر ، وعقبالك يوم ميلادك .

ولم يقتنع الاستاذ بعبد الحليم حافظ الا بعد أن درس شخصيته دراسة كاملة ، وعرف أخلاقه ، وهواياته ، وطريقة حياته ، وسلوكه مع الناس . ومدى نجاحه فى الفيلمين اللذين انتجهما له . هنا فتح له الاستاذ قلبه ، وبيته وعمله ، واصطحبه فى تنقلاته العادية ، والعائلية . واتيحت الفرصة لعبد الحليم أن يقترب من مثله الأعلى ، وأن يلازمه ، وأن ينهل من نبعه الصافى . ويدرس على يديه الكثير . ويستفيد من علاقاته الواسعة القوية . وكان الاعجاب بينهما متبادلا . كان الاستاذ يطلبه فى بيته ليعرض عليه كلمات أغنية جديدة ، أو بداية لحن يخطر على باله . وكان الاستاذ

يحب أن يسمع منه أغنية معينة ، كانت تطربه ، ولا يمل من سماعها . وكان يطلبها بإلحاح ، وفى كل وقت ، وعندما يبدأ عبد الحليم فى ترديد الأغنية : « يا اللى الهوى خالك » . كان الاستاذ يغمض عينيه ، ويضع أصابعه على خده ، ويسرح بشدة مع صوت عبد الحليم . وكان يحلو للاستاذ ، أحيانا أن يردد معه الاغنية . وتصور الاستاذ عبد الوهاب وهو يغنى : « يا اللى الهوى خالك » . ولكنه يتوقف فجأة . وينظر إلى عبد الحليم بإعجاب شديد ويقول له : لا يا عبد الحليم .. أنت فيك حاجة ثانية !

●●●

وكان الاستاذ يهمه العمل الذى يعرض على الناس . ويقول : لابد للفنان أن يضع المشاهد والمستمع على رأسه ، وفى عينيه من جوه . والجمهور لا يهمه المتاعب ، والمصاعب ، التى يتعرض لها الفنان فى عمله . الذى يهمه هو العمل الكامل ، المتكامل . من التيتر ، فى البداية ، إلى كلمة النهاية . وهو الممول ، وهو الحكم . وعندما شاهد الاستاذ عبد الوهاب ، نسخة من فيلم الخطايا قبل عرضه . وشاهد عبد الحليم وهو يغنى أمام ناديه لطفى داخل مبنى الأوبرا القديمة قبل أن يحترق .

سأل فى لهفة : فين نسخ الفيلم ده ؟! وقلنا له فى المطار ، وفى طريقها للتوزيع الخارجى ، فى البلاد العربية . وانفجر الاستاذ غاضبا : لازم نسخ الفيلم ترجع كلها ، وبسرعة . وقلنا إنه لابد أن تسافر نسخ الفيلم اليوم ، حتى لانتعرض لغرامة التأخير . وصاح الاستاذ دى مسألة تجارية ، مش مهم . لازم النسخ ترجع . ولازم تتعدل ، وكان السبب ١٠ ثوان فقط هى التى أثارت غضب الاستاذ فى ذلك

المشهد بين عبد الحليم ونادية لطفى . وكانت وجهة نظر مخرج الروائع حسن الامام ، وكانت تعليماته . ولكن الاستاذ كان له رأى آخر .. ووجهة نظر أخرى .



عبد الحليم يغنى والأستاذ يستمع



لحظات الصفاء بين عبد الحليم وفريد



عبد الحليم وفريد الأطرش .. اطعم الفم ، يكن تستحى العين .



عبد الحليم عندما يستمع إلى نفسه

الحفل الذى لم يحيه

التحق عبد الحليم حافظ بمدرسة الاستاذ محمد عبد الوهاب الفنية ، رغم تحذير الكثير من المقربين إليه . قالوا له إنها مدرسة مكتوب على بابها ، الداخل مفقود ، والخارج مولود . وأنه سوف يضيع فى دهاليز هذه المدرسة ، ولن يخرج منها على قدمين ثابتتين . ولكن اصرار عبد الحليم . وحماسته للأستاذ ، كان أقوى من كلام الناس . كان يعتمد على إحساسه الشخصى . و كان قلبه ينير له الطريق . وكان ذكاؤه الفطرى يقوده إلى أكبر جامعات الغناء والموسيقى . ولكنه لم يتعلم من الاستاذ أصول الغناء وحده . تعلم منه أسلوبه فى الحياة ، وطريقته فى التعامل مع الآخرين . وحبه للفن ، ووسوسته فى العمل . واصراره على تقديم العمل الفنى الكامل ، مهما كان الجهد ، والتعب ، والعرق ، والوقت . وكان عبد الحليم يعتبره الاستاذ والمعلم ، وكان الاستاذ عبد الوهاب يعتبر عبد الحليم الابن المخلص البار .

قال الناس كلاما كثيرا لعبد الحليم عن علاقته بالاستاذ عبد الوهاب . حذروه ، وأخافوه من أسلوب الاستاذ فى التعامل مع الآخرين . وخصوصا أصحاب الأصوات الحلوة . والحناجر الذهبية والماسية . قالوا له بصراحة : إن الاستاذ لا يقبل أى منافس له على عرش الغناء . وأن القمة فى رأيه لا تتسع لأكثر من عبد الوهاب وحده . وأنه سيكون كالفراشة التى تقترب من النار ، أو تنجذب إلى ضوء المصباح وتحترق . وضربوا له الأمثال . شوف محمد أمين شوف جلال حرب . لن تكون أحسن حالا منها . لقد احترقا فى نار محمد عبد الوهاب ونوره . ولكن عبد الحليم لم يستمع إلى هذه التحذيرات . كان يحب الاستاذ بكل كيانه . من اليوم الذى شاهده وسمعه فيه فى الزقازيق . وكان عبد الحليم أيامها صغيرا فى المدرسة الابتدائية . وعرف أن الاستاذ سوف يحيى حفلا قريبا من قريته الحلوات . فى الزقازيق . ومشى عبد الحليم الصغير على قدميه إلى المدينة . ولكنه لم يجد مكانا يستمع فيه إلى أستاذه الا سطح أحد المنازل المجاورة وتسلق عبد الحليم شجرة ، وجلس على حافة السطح . وغنى الاستاذ . وانبهر التلميذ ونسى نفسه . ونسى أنه على السطوح ، حتى انه سقط على الأرض وكسرت ساقه . وزاد حبه للاستاذ من يومها . وقرر أن يقترب منه أكثر وأكثر عندما جاءته الفرصة الذهبية بعد سنوات طويلة . وألقى بكل التحذيرات التى سمعها خلف ظهره ، وسار وراء إحساسه الشخصى ، وما يقوله له قلبه وحده . حتى أنه اتفق مع شركة كايرو فون - وكان الاستاذ عبد الوهاب احد أصحابها - اتفق معه على أن تطبع له أغانيه على اسطواناتها . وقد رحب الاستاذ عبد الوهاب بهذه الخطوة . وكان يقف إلى جانبه عندما يقع خلاف بين عبد الحليم وأصحاب الشركة . كان فى صفه دائما . وكان ينصحهم بالمحافظة على عبد الحليم . والاحتفاظ به .

ولم يهدأ عبد الحليم الا بعد أن أصبح شريكا للأستاذ فى عمل واحد كبير .. فى شركة صوت الفن . وتعلم منه فن الوسوسة ، وحب القلق ، والاهتمام بالعمل . واحد من المواقف التى تشدد فيها الأستاذ عبد الوهاب عندما أتم عبد الحليم فيلم الخطايا . وكانت بطلة الفيلم الفنانة المبدعة نادية لطفى .. وفى واحد من المشاهد ، كان عبد الحليم يغنى لها فى داخل الأوبرا وكان يقف فى أحد البناوير ، والفرقة الموسيقية تعزف المقدمة . وينظر عبد الحليم إلى ناحية الباب فيرى حبيبته - فى الفيلم طبعا - وهى تدخل إلى الصالة . وطلب المخرج حسن الامام أن تتوقف الموسيقى لمدة ١٠ ثوان ، وأن تدخل الكاميرا على وجه عبد الحليم - كلوز آب - وهو يلتفت اليها . ثم تعود الموسيقى إلى العزف ، ويغنى عبد الحليم . وكان الفيلم مباعا لأكثر من دولة عربية ، وموعد عرضه يوافق عيد الأضحى .

وكنا قبل وقفة العيد بيوم واحد وشاهد الاستاذ نسخة الفيلم فى عرض خاص . واستمع الى الاغنية وعندما انتهى عرض الفيلم . سأل الاستاذ عبد الوهاب : مين اللى عمل الوقفة دى . وحاول المخرج حسن الامام أن يشرح له وجهة نظره . ولكنه رفضها تماما . وقال لى : فين نسخ الفيلم يا أستاذ ؟! فقلت انها كلها فى المطار فى طريقها للعرض فى البلاد العربية . وأن الفيلم سوف يعرض فى العيد . فقال وهو ينظر إلىَّ من خلال عدسات نظارته السميكة : ياأستاذ النسخ ترجع فورا من المطار . وتخلق لى المونتير بتاع الفيلم يسهر معى الليلة فى استوديو مصر . وارتبكنا جميعا . لأن عقد الشركة به غرامة تأخير ضخمة ، وربما لا تتحمل الشركة دفع هذه الغرامة ، وفى هذا أضرار كبيرة . الا أن طلبات الاستاذ أوامر . وعادت النسخ فعلا وسهر الاستاذ فى الاستوديو ليلة كاملة . ليغلق هذه الثغرة التى فتحها علينا المخرج والتى لم يستمر عرضها اكثر من ١٠ ثوان . ولكنه العمل ، وإتقانه الى آخر ثانية . وهذا بعض ما تعلمه

عبد الحليم من الأستاذ عبد الوهاب . وكان مثله ينتقى كل كلمة يغنيها . وكل لحن يتغنى به . ولا يهمه الوقت ، فى يوم ، فى شهر ، فى سنة . المهم أن تخرج الكلمة فى أجمل معانيها . وأن يخرج اللحن كما ينبغى . كان عبد الحليم يجلس إلى بليغ حمدى ومحمد حمزة ساعات طويلة ، أياما متتالية لينتهوا من كوبليه واحد فى الغنوة ، أو من جملة موسيقية فى الافتتاحية . وكان عبد الحليم يدخل على محمد حمزة بين الحين والحين ، ويقرأ ما كتبه ، وقد لا يرضى عن الكلمات . ويكررها مرة واثنتين . ويقول له جملة اعتاد أن يرددها فى هذا الموقف . هد كل ده يا محمد ، من تانى علشان خاطرى والنبى . وتكررت كلمة هد يا محمد أكثر من مرة . حتى أن محمد حمزة اطلق على عبد الحليم لقبا كنا نتندر به عليه : مأمور الهدد .. وهى وظيفة المهندس أو المقاول الذى يتولى هدم العقارات الآيلة للسقوط . وقد يطول القلق ، وتطول الوسوسة شهورا . الكوبليه الأخير فى أغنية موعود . والذى يبدأ بعبارة : تانى ، تانى . وقف على حنجرة عبد الحليم ٩ شهور كاملة . واستمرت الاجتماعات بينه وبين بليغ ومحمد حمزة طول هذه المدة إلى أن قال عبد الحليم : مبروك . هو ده اللى كنا بندور عليه . وهنا تم تلحين الاغنية . وغناها عبد الحليم .

من بلد إلى بلد

وقد تنتقل الأغنية مع عبد الحليم من بلد إلى آخر . وفى كل بلد يضاف إليها كلمه . وتكتمل فيها جملة موسيقية . أغنية زى الهوى . انتهى بليغ حمدى من تلحين مذهبها - والمذهب هو الجزء الذى يتكرر فى الاغنية - أقول انتهى من المذهب فى يوم واحد - أو على الأصح ، فى ليلة واحدة ، بدأ ميلاد الاغنية فى دبى فى الامارات . فى منزل الصديق مهدى التاجر نائب حاكم دبى، وكان أيضا وزير البترول فى ذلك الوقت . وفى الصباح

اسمعنى بليغ المذهب ، وسألنى : رأيك إيه ؟! فقلت : نسمعه لعبد الحليم لما يصحى من النوم . ولكنى فى الحقيقة ، كنت معجبا باللحن ، وسعيدا به . وفى المساء ، التقينا جميعا على العشاء ، وكنت قد اتفقت مع بليغ على أن يحضر عوده معه . لكى يسمع عبد الحليم اللحن . ولكنه حضر بدون العود . وشعرت أنه لم يكن متحمسا لأن يسمع عبد الحليم اللحن . ربما لأنه لم ينته منه ، ربما لم يعجبه . وقلت لعبد الحليم : خلى بليغ يجيب العود ، و يسمعك اللحن اللى سمعته منه . ولكن بليغ قال : يامجدى مافيش حاجة جاهزة . دى نغمات منفصلة لا يمكن أن تظهر قيمة الاغنية وجمالها . ولكن عبد الحليم ألح عليه . وأمسك بليغ بالعود . وغنى زى الهوى ياحبيبى . وكان عبد الحليم يصيح بأعلى صوته : الله يا بليغ ، الله ، دى أغنية الربيع القادم . لازم تنتهى من الجزء الباقى ، لكى اغنيها فى عيد الربيع . وقال عبد الحليم . فين كلمات الاغنية يابليغ . ولكن الكلام لم يكن قد انتهى منه محمد حمزة . وسافرنا إلى لندن ليبدأ مشوار العذاب وراء كلمات أغنية زى الهوى . وتم تعديل المذهب اكثر من مرة . وقال المؤلف والملحن انها ستكون اغنية صغيرة سريعة . زى سواح ، وجانا الهوى . ولكن عبد الحليم كان يرى أكثر ، واحساسه بالأغنية أعمق . وقال : لا ، دى أغنية كبيرة ، ولن تقل عن أغنية موعود . واستمر محمد حمزة يكمل الكلمات ، وبليغ لا يتوقف عن التلحين لمدة ٥ شهور ونصف شهر . كنا نحسبها باليوم ، والساعة والثانية ، ومن دبى الى لندن إلى القاهرة .

لكن الاغنية لم تكتمل فى الربيع . انتهت فى الصيف ، وفى الاسكندرية على شاطىء سيدى بشر . وتكررت رحلة العذاب مع أغنيات كثيرة : كامل الأوصاف . ويامالكا قلبى ، وحبيبها أنا . ورسالة من تحت الماء وقارئة الفنجان ..

وفى يوم فى شهر أغسطس فى عز الحر دعا الملك الحسن ملك المغرب . عبد الحليم حافظ ، ليحيى حفلات عيد الشباب . وعبد الحليم ، ينتظر هذا الشهر ، بشوق شديد ، فهو عيد ميلاد صديقه الملك . ولكنه فى هذا الوقت كان يمر بأزمة صحية حرجة . حتى أن د . يس عبد الغفار منعه من الحركة . وحذره من ركوب الطائرات . وطلب منه أن يلتزم الهدوء والسكينه . وأن تكون حركته بحساب . وكلامه بحساب . أما الغناء فهو منه ممنوع ، ممنوع ، ممنوع بالثلاثة . ورأيت عبد الحليم فى أعجب صورة رأيته فيها فى حياته .

صورة الأسد الذى تشاهده فى حديقة الحيوان ، محبوسا فى قفص حديدى . يتحرك فى غضب ، ويدور حول نفسه فى قلق وتوتر . ولكنه فى هذه المرة ، أسد يفكر كثيرا ، ويكاد يفقد عقله من شدة التفكير . فهو يريد أن يلبى دعوة الملك ، حتى لو كانت على حساب صحته . وحبه الشديد للملك ، وصداقته العميقة ، تدفعه لأن يجازف بحياته . ويركب الطائرة ، ويعصى أوامر الطبيب الكبير ، و ليكن ما يكون . وكان أصعب المواقف التى يواجهها ، أن يعتذر للملك عن عدم المشاركة فى الاحتفالات التى تتم من السنة للسنة ، مش معقول ، عيب ، مايصحش ، وربما غضب الملك ، وربما ألغى الاحتفالات كلها ، والسبب عبد الحليم .

وكان عبد الحليم فى قمة ضعفه ، و هو يلسعنى بكلمات الرجاء والاستعطاف : والنبى يا مجدى ، قل للدكتور يس عبد الغفار أن يسمح لى بالسفر . اترجاه ، اعمل أى حاجة ، ولكنى كنت أعرف حالته كما شرح لى حقيقتها الأطباء المصريون والأجانب . ولم أضعف أمام رجاء عبد الحليم . وتوسلاته . ولم أوافقه على كلمة واحدة فى حكاية السفر . وأكثر من هذا ، طلبت د . يس عبد الغفار . وقلت له ان عبد الحليم ينوى السفر إلى المغرب . وأنت أدرى الناس بحالته الصحية ، أرجوك

يا دكتور ، الا تضعف أمامه . واجهه بالحقيقة ، ولو كانت مرة ، مؤلمة . إن مصلحته ، وصحته ، وحياته فوق كل اعتبار . وتأكد عبد الحليم أن موضوع السفر مستحيل ، وأن الباب مغلق أمامه بالضبة والمفتاح . وأنه لن يسافر بأى حال . وانه لابد أن يعتذر للملك ، وأخذ يفكر فى أسلوب الاعتذار ، وفضل أن يكذب ، كذبة صغيرة بيضاء ، ربما لا تنفع ، ولكنها لا تضر . وأرسل للملك يعتذر عن عدم الحضور للمغرب ، ويقول إنه يحضر نفسه للدخول فى فيلم جديد . وإنه مشغول بالسيناريو والحوار . والأغانى قد سجلت ، الاستوديو تم حجزه ، وإنه سيبدأ التصوير من بكرة . و عرف الملك بحاسة الصديق والمحب ، أن كلام عبد الحليم كذب × كذب . ولم يصدق أن عمل عبد الحليم يؤخره عن زيارته فى عيد ميلاده . وعن إحياء حفلات أعياد الشباب فى المغرب . وأرسل الملك يستفسر عن طريق السفارة ، وجاءه الرد ، أن المانع طبى ، وأن حالة عبد الحليم المرضية صعبة ، وفى اليوم التالى ، كانت طائرة الملك الخاصة فى القاهرة ، وعليها طبيبه الخاص . الذى أبلغ عبد الحليم بأمرين : اولا أن الملك سوف يكتفى فى أعياد الشباب فى هذه السنة باحتفالات تقليدية ، يحييها الفنانون المغاربة . والأمر الثانى . أن جلالة الملك ، يطلب من عبد الحليم ، ويشدد فى الطلب ، أن يتوجه عبد الحليم بالطائرة الخاصة الى باريس ليعرض على اكبر متخصص فى أمراض الكبد فى فرنسا . اسمه د . سارازان . وتم حجز مكانه فى المستشفى . والطبيب الفرنسى فى انتظاره . وهنا أجهش عبد الحليم بالبكاء .. وقال إن كل رغبته أن يسافر الى المغرب ، لإحياء حفلات أعياده فى هذا الوقت من السنة ، وإنه يحب أن يلبى دعوة الملك . وإنه .. وإنه .. ولكنه لم يجد من طبيب الملك أى تشجيع أو استجابة . وقال له إنه بعد أن فحصه ، يرى ما يراه د . يس عبد الغفار . أن حالته ، الصحية لا تسمح له بالعمل والغناء .

وفى اليوم التالى ، اتصل به الملك تليفونيا . وقال له : يا عبد الحليم إذا كنت بتحبنى ، وعايز ترضينى ، حافظ على نفسك ، وسافر إلى باريس . والمناسبات جاية كثير . وسوف تكون ، مطرب هذه الحفلات وبطلها . ولم يجد عبد الحليم مفرا من أن يخضع ويستسلم . وانزوى فى شقته لا يقابل أحدا ، ولا يخرج إلى أى مكان . وكان غاضبا ، وكان حزينا ، وكان يلف ، ويدور حول نفسه وكأنه فى قفص حديدى . وبعد يومين حضر إلى القاهرة د . روجرز كبير أخصائي الكبد فى مستشفى كنجز كوليج ، فى لندن . وكشف على عبد الحليم وقال إنه يجب أن يسافر بعد يومين الى لندن . لابد من عملية ولم أشاهد هذا اللون من الخوف العميق والحزن الشديد ، والانكسار المؤلم ، على وجه عبد الحليم إلا فى هذه المرة ، وكان عبد الحليم قد غنى « قارئة الفنجان » فى عدة حفلات ، وفى أماكن مختلفة . وأحبها الناس ، وكانوا يرددونها فى كل وقت ، والاذاعة تذيعها أكثر من مرة فى اليوم الواحد ، ويمكنك أن ترجع إلى كلمات الأغنية ، لتعرف أنها تشرح حالة عبد الحليم فى تلك الأيام .

☆ ☆ ☆

وكنا فى سنة ١٩٧٦ . وفى شهر نوفمبر طلب منى عبد الحليم أن أسافر إلى السعودية ، والخليج لأحقق بنفسى مسألة تزوير أشرطة أغانيه فى هذه المنطقة . وكانت المشكلة تشغل باله فترة من الوقت . وهل هناك حل لمنع عمليات السطو على هذه الاشرطة . وحاولت أن أهرب من هذه الرحلة ، وقلت له حاضر . ولكن بعد ماأشوف انت ح تعمل ايه ! وقال لى عبد الحليم : سافر انت ، خلص مهمتك ، وأنا ح أسافر بكره مع د . روجرز إلى لندن . وابقى أروح لسارازان بعدين . وسوف استأذن

الملك فى ذلك . وكنت فى دبى فى الامارات ، عندما دق التليفون فى غرفتى بالفندق . وسمعت صوت الاستاذ محمد عبدالوهاب يكلمنى بصوت حزين ، ويقول لى : يا مجدى ، اطلع بكره على لندن ، عبد الحليم محتاج لك ضرورى . قلت له : يا استاذ عبد الوهاب ، لازم أفوت على مصر فى الأول ، علشان آخذ ملابس ، تصلح لجو لندن . ولن يستمر وجودى فى القاهرة أكثر من ٢٤ ساعة . و لم يمانع الاستاذ . وحضرت إلى القاهرة ، واتصلت بالاستاذ عبد الوهاب استفسر منه عن حقيقة الموقف . فقال لى : والله يا مجدى ما أنا عارف الحقيقة . عبد الحليم قلق جدا . وعايزك تروح له فى لندن ، فى أقرب وقت . وحاولت مع الاستاذ عبد الوهاب ، لم يكن لديه أية معلومات عن عبد الحليم وصحته . ولكنه قال لى : عبد الحليم فى هذه المرة قلق جدا . أكثر من أى وقت ومش مستريح . روح له ، وشوف بنفسك كل حاجة . وأرجوك يا مجدى كلمنى من لندن ضرورى . لانى عايز أعرف كل حاجة . انت عارف عبد الحليم بالنسبة لى إيه ؟!

وهدى مع عبد الحليم

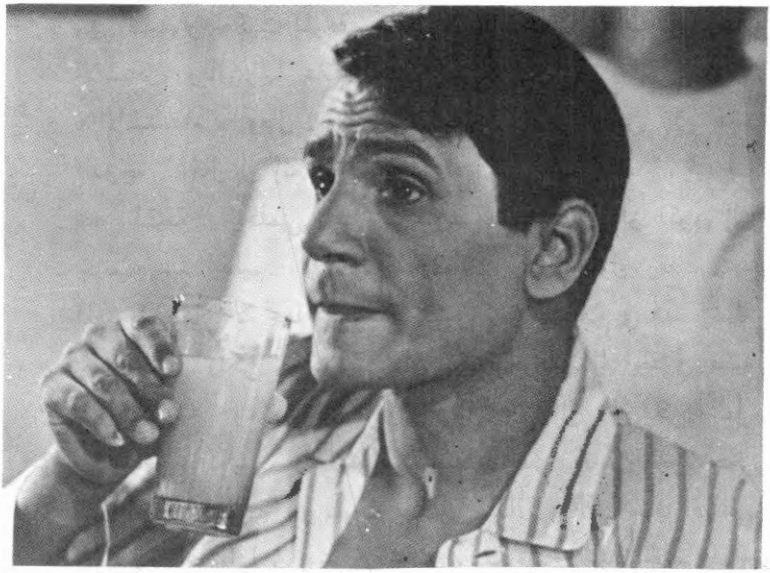
ومن مطار القاهرة ، إلى مطار هيثرو فى لندن إلى مستشفى كنجز كوليج رأسا . ودخلت على عبد الحليم فى حجرته . وأذهلتنى رؤيتى له . لم يكن عبد الحليم الذى أعرفه . كان وجهه شاحبا ، شديد الضمور ، ضحكته البريئة الرقيقة ، اختفت من وجهه تماما . القلق يملأ عينيه . الحيرة الشديدة فى حركاته . وأخته علية ، وشحاته ابن خالته ، وعبده السفرجى جالسون فى الحجرة ، فى حالة وجوم تام . وعندما شاهدنى ظهر على وجهه شبح ابتسامة . وقام من الفراش نصف قومة . وطلب منى أن أجلس إلى جواره . وطلب من علية وشحاته وعبده . الخروج من الحجرة ، وقال

لهم : معلش ، أنا عايز أقعد مع مجدى شويه ، سيبونا لوحدنا !

وخرجوا من الحجرة ، وتركونا وحدنا . أنا وعبد الحليم . والله على ما أقول شهيد . وبدأ عبد الحليم يتكلم . كان صوته متقطعاوأنفاسه متقطعة يتخلل حديثه فترات من السكوت صمت رهيب . وقال : أنا جيت من مصر الى لندن كنت كويس . كشفوا على هنا . وعملوا لى تحاليل ، وفحوصات . وبعد ١٠ أيام قالوا لى تقدر تروّح . بس تستنى هنا فى لندن . ماتسافرش مصر . وفعلا ، نزلت فى شقتى ، أنت عارفها ، وكان لعبد الحليم شقه فى لندن اشتراها من الاستاذ محمد سعيد زوج ابنة عبد اللطيف البغدادى ، عضو مجلس قيادة الثورة . وكان عبد الحليم يحب هذه الشقة جدا وعمل فيها تجديدات ، وتوضيبات ، وأضاف اليها ديكور يلائم ذوقه . ويكمل عبد الحليم الكلام ، ويقول : قعدت فى الشقة ١٥ يوما لا أخرج ، ولا أقابل أحدا ولكنى لاحظت شيئا غريبا يحدث فى جسمى . كانت بطنى بتكبر ، يوم عن يوم . والجلاليب بتاعتى ضاقت على . وخفت من منظر بطنى وهى تكبر بهذا الشكل . وكلمت د . روجرز . وكلمت د . يس عبد الغفار . والاثنان انزعجا . وطلبا منى أن أرجع للمستشفى ثانى . ورجعت ، ودخلت نفس الحجرة . ومن يومها وأنا هنا . وملأت الدموع عينى عبد الحليم وهو مستمر فى هذا الكلام الموجع : عارف قالوا لى ايه يا مجدى ؟ لازم يزرعوا لى كبد . تصور أنا أزرع كبد . يعنى كل شىء انتهى . مافيش فايده ، وأجهش فى بكاء طويل ، مرير . حاولت أن أهدئه بكلمات كانت تخرج من فمى ، ولا أعرف لها معنى : شد حيلك يا حليم ، لازم فيه علاج . على العموم دى اكبر مستشفى فى لندن ، ودول أكبر دكاترة فى تخصصاتهم . ولكن الشىء الذى لم أفهمه ، ما دخل أنه يسمن وبطنه تكبر فى هذا المرض .

●●●

وفى التليفون حكيت الموقف كاملا للاستاذ عبد الوهاب . وانزعج الاستاذ ، وقال إنها علامة مش كويسة . وهذه الحالة يسمونها « الاستسقاء » وقال : اتمنى الا يكون الأمر وصل إلى هذه الدرجة . وقال لى إنه سوف يطلب د . يس عبد الغفار ، ليعرف منه الحقيقة . ويكلمنى بعد ٢/١ ساعة . وطلب منى أن اكون إلى جانب عبد الحليم . ولا أتركه لحظه . وان احاول رفع روحه المعنوية دائما . لا تجعله يستسلم لليأس . الاستسلام فى هذه الحالة خطر جدا . ولكن عبد الحليم كان يبكى بحرقة . ولم أجد فى عينيه غير الدموع . وعلى وجهه مرارة الدنيا . وقال لى : لا يمكن أعمل عملية زرع الكبد . أوعى توافق عليها يامجدى . د . روجرز مصر على اجراء العملية . و سوف يكلمك فيها . ويطلب منك اقناعى بضرورة اجرائها . اوعى يامجدى . ثم فتح عبد الحليم درج الكومودينو بجوار سريره . وأخرج ورقة مطوية على ٤ مرات ، ومربعة الشكل . وقال لى : اقرأ الورقة دى . ونفذ اللى فيها حرفيا . أنا جبتك مخصوص علشان الحكاية دى . ويمكن يكون ده آخر طلب أطلبه منك . ومن لهفة عبد الحليم . وطريقة كلامه ، والألفاظ التى كان يضغط على حروفها . كونت فكرة عن محتويات الورقة . وخمنت ما فيها . ولكنى كنت أفتح الورقة فى بطء شديد . وهو ينظر إلى بعيون زائغة . وفتحت الورقة . ودارت عيناى على سطورها . كانت وصية عبد الحليم ، وبخط يده . وفى آخر سطر من الوصية ، كتب هذه العبارة : أخى مجدى أرجو أن تنفذ هذه الوصية ، كما عودتنى دائما .



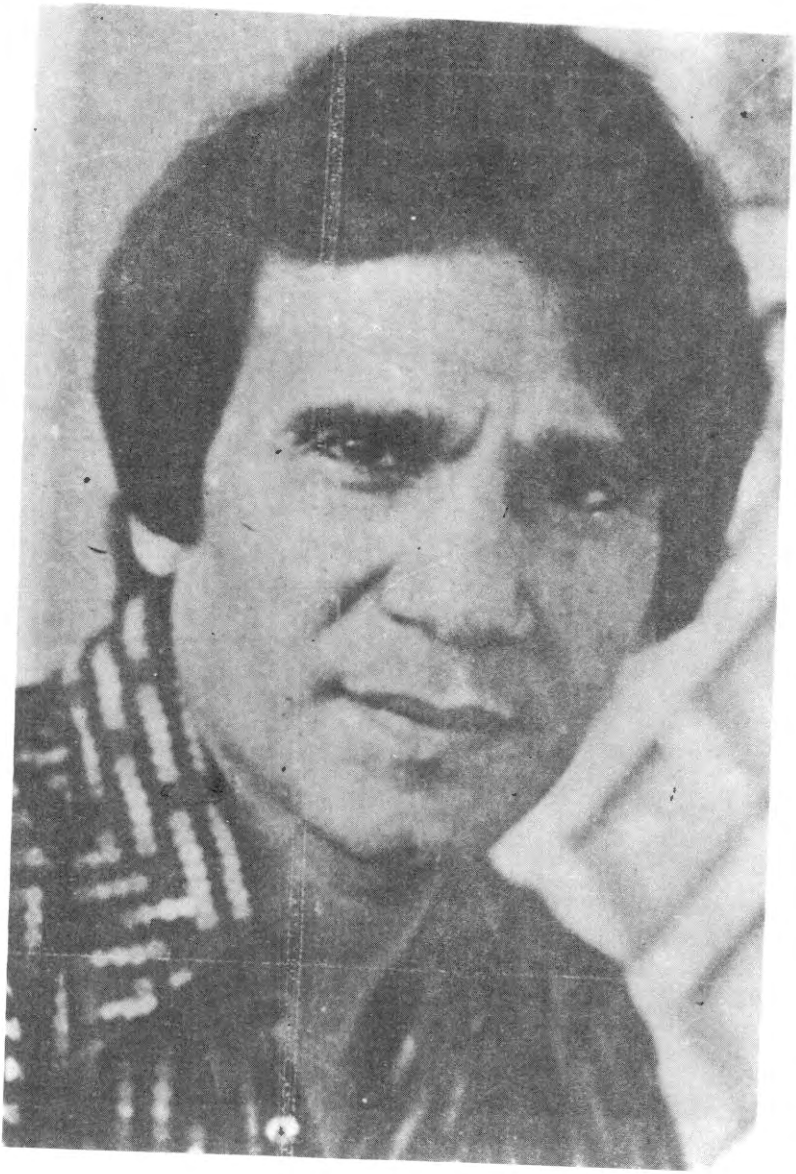
عبد الحليم حافظ ، وكوب عصير .



قبل اجراء العملية ، عبد الحليم مع د . روجرز ومساعده ود . يس عبد الغفار ،



على الكرسى المتحرك أثناء البروفات



الوصية .. !

صباح الخير .. ياوش الخير . هذه التحية القلبية العميقة لم يسمعها مجدى العمروسى من رفيق الشارع الطويل عبد الحليم حافظ منذ عام ١٩٧٧ . ولن يسمعها منه بعد اليوم . ولكنه يضع صورة عبد الحليم حافظ فى قلبه . وصورته التى رسمها له المصور المبدع جمال كامل فوق رأسه . وقد نذر مجدى العمروسى أن تظل الصورة وصاحبها فوق رأسه طول العمر . وهذه الصورة كانت تزين حجرة الصالون فى بيت عبد الحليم فى الزمالك . وكانت الشىء الوحيد الذى طلبه . وقال إنها من حقى . وقد رحل عنى صاحبها . أن أحتفظ بصورته لتظل دائما أمام عينى وفوق رأسى ..

والعلاقة

بين مجدى العمروسى وعبد الحليم حافظ لم تكن علاقة صداقة قوية فقط . ولا علاقة عمل مشترك وحده . ولكنها كانت مزيجا رائعا من الصداقة والأخوة ، والمحبة والإخلاص . والوفاء . ويمكنك أن تضيف الكثير من المترادفات . ولن تصل بها إلى عمق العلاقة بين الرجلين .

المنافس الوحيد لمجدى العمروسى فى حب عبد الحليم ، كان الاستاذ محمد عبد الوهاب . وعلى هذه الصفحات . كانت لنا حكايات ونوادر ، حكاها مجدى العمروسى . وأسرار كشف أبعادها ربما لأول مرة . ونقاط كثيرة وضعها على حروف حياة عبد الحليم حافظ ، من أول درجات السلم الموسيقى الذى صعد به عبد الحليم إلى القمة بسرعة الصاروخ .. وكيف واجهه الجمهور فى أيامه الأولى . ثم تعلق به وأحبه ، وأحب أغانيه ، وحكى عن الصداقة القوية التى ربطت عبد الحليم بعدد من الملوك والرؤساء العرب ، حبهم لفنه ، واحترامهم لشخصه . والحوادث والأحداث التى عرضت له ، وتعرض لها . والحكايات المرة المؤلمة التى عاشها عبد الحليم مع المرض ، والتى لم يصدقها كثير من الناس عندما كان عبد الحليم يعيش معنا وبيننا والتى انتهت فى حجرة صغيرة فى مستشفى فى لندن . لم يكن أحد يتمنى له هذه النهاية أو يتوقعها . ولكنها ارادة الله . ولا راد لقضائه . واحد فقط كان يشعر بهذه النهاية . وكان يحس بها كلما اقتربت منه . وربما كان عبد الحليم يستعمل هذا التعبير فى أيامه الأخيرة : احنا فى العد التنازلى . وربما جمع كل شجاعته وقوته . وأمسك بالقلم ليكتب آخر كلمة فى حياته وكانت وصيته . ثم طلب حضور مجدى العمروسى من دبى إلى لندن ليسلمه الوصية الأخيرة . كانا وحدهما فى حجرته بالمستشفى عندما قدم له هذه الورقة . وكأنه يضع فى يده قنبلة كادت تنفجر عندما فتح الورقة .

ويتذكر مجدى العمروسى هذا الموقف المؤلم فيقول :

كنت أتعمد البطء فى فتح الورقة التى سلمها لى عبد الحليم ، كنت أعرف محتواها من طريقة تطبيقها ، وأسلوبه فى تقديمها إلىَّ ، ونظراته وهو يتابعنى وأنا افتحها ، وكنت أتعمد هذا البطء وعقلى يفكر فى الرد المناسب عندما أقرؤها أمامه . وأخيرا فردت الورقة أمام عينى ، وبدأت أقرأ ما فيها . انها وصية عبد الحليم كما خمنت . والوصية تبدأ بهذه العبارة : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ سبحان الله . شعرت بالدم يصعد مندفعا إلى رأسى . وشعر رأسى كله يقف كأنما تجذبه يد عملاق إلى أعلى ، مع أنى قرأت هذه الآية مرات ومرات قبل ذلك . ولكنها فى هذا الموقف كان لها تأثير مختلف علىَّ . وراحت عيناى تجرى على سطور الوصية : أنا عبد الحليم شبانه وشهرتى عبد الحليم حافظ ، و أنا بكامل قواى العقلية ، أوصى بكل ثروتى وما أملك لأخوتى ، وابن خالتى شحاته ، وزوجته فردوس بالتساوى فيما بينهم . وأن تظل شقتى فى الزمالك ، مفتوحة ، باسم شقة عبد الحليم ، لمن يحب أن يزورها من جمهورى ومن المعجبين بفنى ، على أن يسكنها من يشاء من أخوتى مع شحاته ، وفردوس أولاد خالتى .. وكان شحاته وزوجته قد عاشا مع عبد الحليم فى هذه الشقة بعد انتقاله من عمارة السعوديين ، وقاما على خدمته طوال هذه الفترة . ثم ختم وصيته بهذه الجملة : أخى مجدى أرجو أن تنفذ هذه الوصية كما عودتى دائما .

ليه يا عبد الحليم ؟

وكان عبد الحليم أثناء قراءتى للوصية وكنت أقرؤها على مهل وأضغط فيها على مخارج الألفاظ ، ومداخلها . وأتوقف أحيانا أثناء القراءة ، لثوان خاطفة ، ولكنها ثقيلة ، طويلة . كان عبد الحليم ينظر إلى وعيونه

تتسع ، وأنفاسه تتلاحق .. وكأنه متهم يستمع إلى حكم بالإعدام . وكانت نظراته تزيد حيرتى وارتباكى . وحاولت أن أتماسك . وأن أفرض على وجهى نوعا من الهدوء . وعلى صوتى الكثير من الاتزان والثقة .. وخرج صوتى أخيرا : سبحان الله يا عبدالحليم ، ولا اله الا الله . لسه فاكر دلوقت تكتب وصيتك .. ياراجل ، بعد كل هذه العمليات الجراحية . وبعد النزيف الطويل القاسى . وكل مستشفيات العالم التى دخلتها فى مصر ولندن وباريس وواشنطون ، يعنى فى اركان الدنيا الأربعة . دلوقت بس بتكتب وصيتك .

وأخذت أذكره بالاصدقاء الذين كتبوا وصاياهم قبله ، وقلت له : فاكر أحمد فؤاد حسن لما سافر لندن ، عمل عملية ترقيع للثقب فى رقبته . وكتب وصيته ، وسلمها لك . و الحمد الله صحته زى البمب . وبليغ حمدى ترك عندى وصية . كان يخاف من كثرة سفرياته . وأنه يتغيب خارج بلده شهورا وسنوات . و يقول دائما لا يعلم الغيب ، الا الله . وأنت يا من عشت كل أيام حياتك تواجه الخطر فى كل لحظة ، وأنت تعرف مرضك ، والنزيف فى أعماقك وتعرف سببه . ولكنك لم تكتب وصيتك الا فى هذا الوقت بالذات . ليه يا عبد الحليم ؟! وكنت أحاول أن أصبغ صوتى ببعض ألوان السخرية . وبعض التأنيب . وأظهرت عدم الاهتمام . وأنا أعيد طى الورقة على ما كانت عليه . وبهدوء وضعتها فى جيبى ، وأنا أقول : ياسيدى أمرك ، أمرك ياسيدى . حاضر على عينى وراسى . بس كده ياسى عبده . وأهاج هدوئى المفتعل ، وبرودى المتعمد ، ثائرة عبد الحليم . وإذا به ينفجر فى وجهى ، ويعلو صوته برغم مرضه وهزاله ..

زرع الكبد

وجمع عبد الحليم كل مالديه من قوة ، ووضعها فى حنجرته . وهو يقول

لى : عارف يا مجدى ، يعنى أيه أزرع كبد . يعنى كبدى بقى لا يصلح . وعمليات الكبد دى نتيجتها بالكثير ٥ ٪ . لكن د . روجرز عايز يعملها للشهرة . ولن يخسر شيئا . سوف يكسب على طول الخط . وهى بالنسبة له تجربة من عشرات التجارب على أجسام المرضى . وإذا نجحت العملية فإن شهرته سوف تغطى كل البلاد العربية . خصوصا السعودية . لأنه عايزهم يغطوا له مصاريف المعهد الجديد اللى عايز يعمله لعلاج البلهارسيا . والكبد . وإذا لم تنجح العملية يبقى مع السلامة ياكبدى ! وصاح عبد الحليم فى وجهى : أبدا .. مش ح احقق له غرضه . وأخذت أربت على كتفه ، ورأسه فى حنان وأقول : يا عبد الحليم .. انت معاك طبيب مصرى شاطر ، وهو مرافق لك ، وصديق صدوق . وهو فى المستشفى معنا الآن . وعندك طبيب كبير فى القاهرة د . يس عبد الغفار . ولن يغشوك ، أو يخدعوك . وليس لهم مصلحة فى مكاسب د . روجرز أوغيره . أسألهم . ولو وافقوا على العملية ، وقالوا انها ضرورية ، ليه ما نعملهاش ! وأنا على العموم ح أقعد مع د . روجرز . وأحاول أفهم منه الحقيقة . بس أنت هدى نفسك ، لا تغضب ، ولا تزعل . وكل ما تريده سوف ننفذه ، وخرجت من الحجرة ، الوصية فى جيبى ، وكلمات عبد الحليم ترن فى أذنى ، وصورته لا تفارق عينىَّ . وقابلت د . شاكر سرور المرافق لعبد الحليم . وسألته . فأخذنى من يدى وقال لى : أحسن تسمع بنفسك من د . روجرز . الذى أكد لى أن كبد عبد الحليم فى أسوأ حالاته . وأن الأمل الوحيد . هو زرع كبد جديدة وأن من يحب عبد الحليم ، وتهمة مصلحته ، وحياته ، عليه أن يقنعه بإجراء العملية . ولكى يطمئننى د . روجرز قال لى إنه حتى الآن - وكنا فى سنة ١٩٧٧ - أجرى ٢٠ عملية لزرع الكبد نجحت منها ١٢ عملية . وأصحابها فى حالة صحية تتحسن باستمرار . وفى صحة عال العال ، وبدون أيّة مشاكل .

وقال إنهم يعيشون بعيدا عن لندن . وإنه يمكن احضارهم إلى المستشفى لتروا بعيونكم حالتهم ، وأسألوهم بأنفسكم . وفرحت لهذه الأخبار السعيدة ، واطمأنت نفسى . وحاولت أن أطمئن عبد الحليم ونقلت له كل ما قاله الطبيب الانجليزى . ولكن شيئا فى داخل عبد الحليم كان يبعث فى نفسه القلق والخوف ، وغضب من كلامى ، وأعطى وجهه للحائط . وكان يخفى عنى دموعه عندما أدار لى ظهره . ولكن جرس التليفون مسح الدموع من عينيه ، وأزال الخوف من وجهه . كان الاستاذ عبد الوهاب . يطلبه من القاهرة ليطمئن عليه ، وعلى صحته .

رأسان فى طربوش

ويمكننا أن نصف العلاقة القوية بين الاستاذ عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ بأنهما كانا رأسين فى طربوش ، أو شىء من هذا القبيل . وقد ظهرت هذه العلاقة فى أقوى وأسمى مواقفها فى مرض عبد الحليم . وعرف الذين يحيطون بهما مدى حب الاستاذ لعبد الحليم . ومدى تقدير واحترام عبد الحليم لأستاذه . وفى العمليات الجراحية التى كان يجريها عبد الحليم كان الأستاذ عبد الوهاب حاضرا طوال اليوم طول النهار ، وعندما يأتى المساء لم يكن الاستاذ عبد الوهاب يغيب عن عبد الحليم لحظة . كان يطلبه بالتليفون . ويسألنا عن صحته . ويسأل الأطباء . ويسهر طول الليل لا ينام حتى يطمئن إلى أن العملية انتهت بنجاح . وفى مرضه الأخير - مرض عبد الحليم - كان يناقش الأطباء . ويسألهم عن كل صغيرة وكبيرة . كأنه هو نفسه المريض . وعندما يحس من عبد الحليم اهمالا فى صحته أو يخيل اليه . كان الحديث يطول بينهما . وعتاب الأحبة . وغضب الصديق .

وقلبى وعقلى لا ينسيان أبدا موقف الأستاذ عبد الوهاب فى رحلة

مرض عبد الحليم الأخيرة إلى لندن . لم يستطع الاستاذ السفر معه ، بسبب ظروفه الصحية . فطلب من زوجته السيدة نهلة أن تبقى إلى جوار عبد الحليم . وكان الشهر الأخير فى حياة عبد الحليم . ولم تفارقه السيدة نهلة ، ولا قريبتها السيدة الفاضلة زين الرفاعى . وهى التى كانت تشغل منصب سفيرة الأردن فى لندن فى ذلك الوقت لم يفارقاه لحظة . وفى يوم طلب عبد الحليم من السيدة نهلة أن تسجل له صورة . قبل اجراء العملية الجراحية . وقال لها . ربما تكون آخر صورة تتذكرونى بها . وامتقع لون السيدة نهلة . وقالت له لا يمكن أصورك الصورة دى . والقت الكاميرا على السرير إلى جواره . ولكن عبد الحليم ألح عليها . وهى ترفض . ثم طلب من طبيبة مصرية كانت تقيم فى لندن فى تلك الأيام ، وتتردد على المستشفى . طلب منها أن تلتقط له آخر صورة . وكان يردد دائما هذه الكلمة .. آخر صورة . وأمسكت الطبيبة المصرية بالكاميرا وكانت آخر صورة فعلا . وما زلت احتفظ بها . لم يشاهدها انسان غيرى . وأرجو ألّا يشاهدها أحد بعدى .

فى بطن الطائرة

أما الأستاذ عبد الوهاب فكان على الطرف الآخر من خط التليفون فى القاهرة . يسأل ، ويستفسر ، ويطمئن ، وينزعج ، ويقلق ، ولكنه يعاود الاتصال مرات ، ومرات فى اليوم الواحد . حتى عدنا جميعا إلى القاهرة فى طائرة واحدة . السيدة نهلة عبد الوهاب ، والسيدة الفاضلة زين الرفاعى ، وأنا . ولكن عبد الحليم فى هذه المرة لم يكن يجلس إلى جوارنا . كان فى بطن الطائرة داخل صندوق مغلق . وعندما علم الأستاذ عبد الوهاب برحيل تلميذه وحبيبه وشريكه عبد الحليم . تحامل على نفسه ، ونزل من بيته برغم المرض والألم . وتوجه إلى بيت عبد الحليم فى

الزمالك . وطلب من أهله أغرب طلب رأيته وسمعته . قال لهم : افتحوا لى حجرة عبد الحليم وفتحوها . ودخل الأستاذ إلى الغرفه وأغلقها عليه ، ساعة كاملة . لم يجرؤ أحد على أن يقترب منه . حتى خرج الينا فى حالة يرثى لها من البكاء والحزن . وعلمت بعد ذلك أنه كان فى هذه الساعة يشم كل شىء فى الحجرة ، ملابس عبد الحليم ، وفراش عبد الحليم ، وأدوية عبد الحليم ... كان يتزود من عبد الحليم ، وأشيائه الصغرى فى الحجرة التى لن يدخلها صاحبها بعد اليوم . وحاسة الشم عند الأستاذ عبد الوهاب كانت تقوم مقام باقى الحواس ، اللمس ، والنظر ، والذوق أيضا . كانت أقوى الحواس عنده . أما فى شركة صوت الفن . فقد رفض الاستاذ عبد الوهاب أن يغير فيها أى شىء بعد رحيل عبد الحليم حتى أوراق الشركة ، ولافتتها الخارجية ظلت تحمل اسماء الشركاء الثلاثة محمد عبد الوهاب ، وعبد الحليم حافظ . ووحيد فريد . وأما الأغنية التى كان مقررا أن يغنيها عبد الحليم من تلحين الأستاذ عبد الوهاب . فقد طلب كثير من المطربين أن يغنوها بعد أن انتهى الأستاذ من تلحينها ، وألحوا فى الطلب والرجاء . ولكن الاستاذ رفض أن تخرج الأغنية من حنجرة مطرب آخر غير عبد الحليم وظلت حبيسة خزانته الحديدية ١٣ سنة . حتى غناها الاستاذ نيابة عن تلميذه وحبيبة وشريكه ، عبد الحليم .

● ● ●

ولم يكن عبد الحليم مجرد مطرب جرت على فمه أعذب الألحان . ولكنه والحق يقال كان جزءا من تاريخ مصر . وثورة مصر . وما قدمناه على هذه الصفحات . كانت لمسة صغيرة من التحليل الفنى لتاريخنا . وربما كان هذا هو واحدا من الأسباب التى ربطت

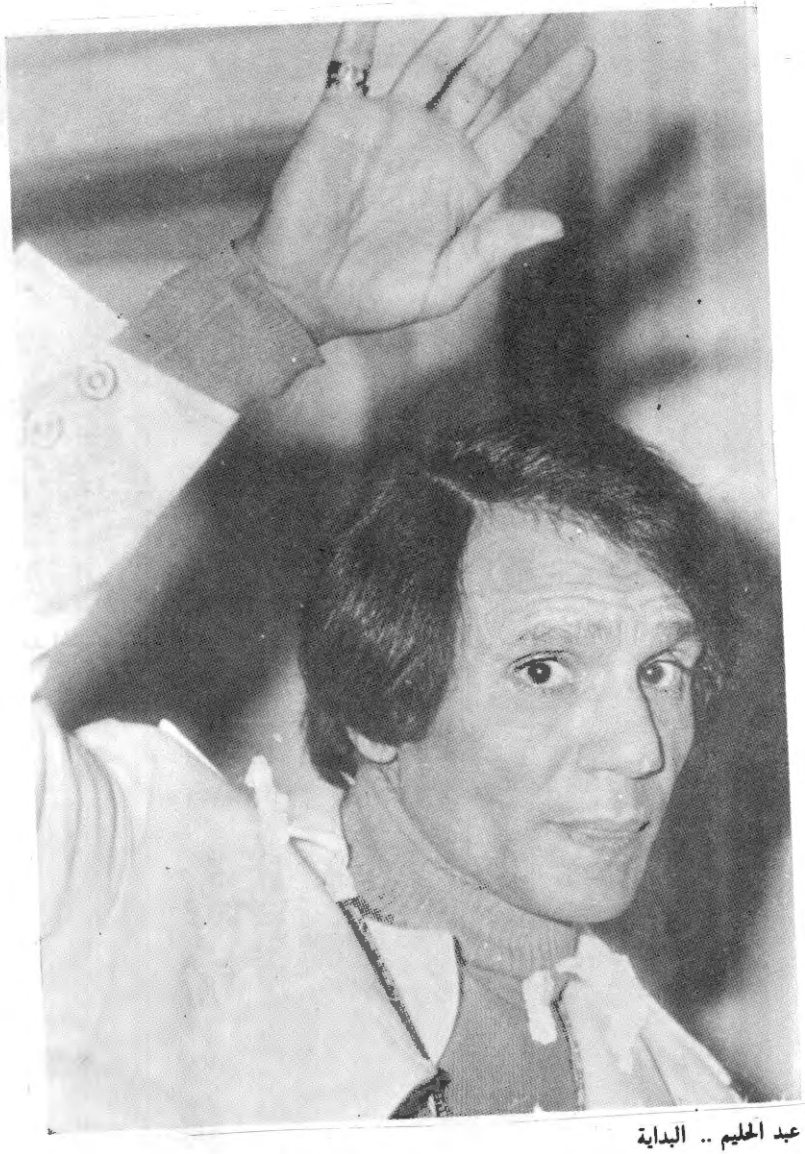
عبد الحليم حافظ ، أو عبد الحليم شبانه بالجمهور العربى العريض . ولا تكفى هذه الصفحات القليلة لكتابة تاريخ ٢٥ سنة عاشها عبد الحليم فى عيوننا ، وسنوات قادمة يعيش فيها فى قلوبنا ودمائنا . فحكايات عبد الحليم لا تنتهى . ولن تنتهى !



عبد الحليم وآخر جملة موسيقية



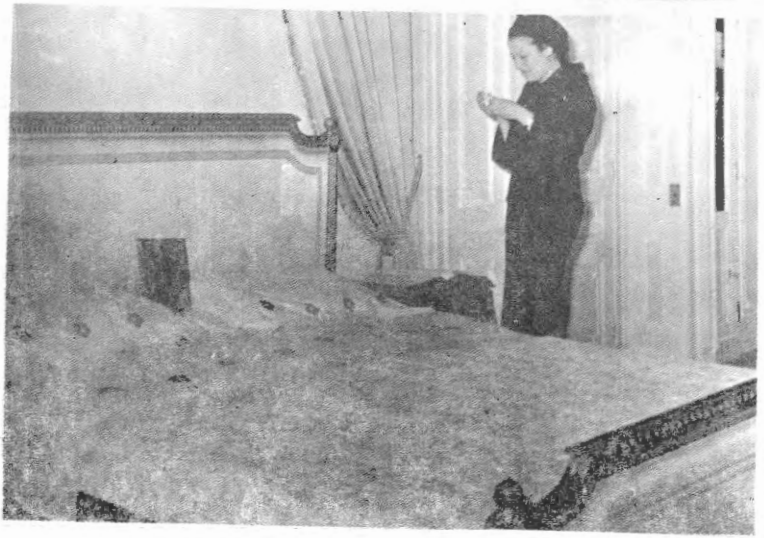
عبد الحليم .. الشارع الطويل



عبد الحليم .. البداية



عبد الحليم .. الوداع .



رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٤٨٢٢
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4094 - X ISBN

١ / ٩٣ / ٣٩
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)